عالم المعرفة

الكويت
والتنمية الثقافية العربية

تأليف د. محمد حسن عبدالله

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
ص.ب ٢٣٩٩٦ الصفاة / الكويت - 13100

الكويت

والتنمية الثقافية العربية

المحتوى

أربع مقدمات صغيرة ١٥

القسم الأول : بدايات مستمرة ٣١

الفصل الأول : ١٩٥٨ .... ٣٣

الفصل الثانى : الكويت : بعض الأسئلة

بعض الوثائق ٥٧

القسم الثانى : المحتوى : بين الوسائل والأهداف ١٠١

الفصل الثالث : رسالة الكويت الثقافية

« تحليل المحتوى » ١٠٣

الفصل الرابع : مستويات الخطاب الثقافى ١٤٥

القسم الثالث : تناغم الأداء ١٨٥

الفصل الخامس : الشعر والتنمية . . عربيا ١٨٧

الفصل السادس : آفاق أخرى ٢٢٧

استفتـاح ٢٧٢

فهرس الوثائق ٢٧٦

إلى القارىء العربى فى كل مكان ..

غياب قهرى إستمر عاما كاملا ، توقفنا فيه عن إصدار كتابك الشهرى « عالم المعرفة » الذى كان يصلك فى مطلع كل شهر منذ « مائة وأربعة وخمسين شهرا » بلا تأخر أو إنقطاع ، يصلك حيثما تكون من أرض بلاد العرب .

وعندما كان عدد « اغسطس ١٩٩٠ » يشحن بالطائرات من كويت العرب ، إذا بمئات الألوف من جيوش « طاغية بغداد » محمولة بمئات الدبابات والعربات والطائرات والزوارق والبوارج الحربية تصب جام عنفها المجنون على الكويت الغارقة فى المحبة والسلام والعمل من أجل الإنسان ، لتحيلها خرابا ودمارا ، وتحيل أهلها إلى مشردين أو معذبين مقهورين ومنتهكين فى أموالهم وأعراضهم وبيوتهم .

إنه طوفان مدمر ، لم تحكمه مبادىء أو قيم إنسانية ، ولم تردعه روابط الدم والدين والثقافة الواحدة ، فدمر ما استطاع تدميره ، واحرق ما لم يحرق مثله هولاكو وجيوشه الغازية الجاهلة ، فأغلق دور العلم ، ومنع تداول الثقافة وألغى الصحافة ، ومنع نشر الكتب وخلع المطابع لينقلها إلى العراق ، وأوقف الاذاعة والتلفاز ، وصادر حرية خطيب الجمعة فى مساجد الله ، وكمم الأفواه ، بل وقطع الألسن أحيانا ، وصادر المعرفة بكل أنواعها ، حتى حرية الصلاة صودرت فى بعض مناطق الكويت ، ومنع الناس من دخول المساجد .

كل ذلك بدافع الجشع وحب المال والجاه ، وجنون السيطرة الغاشمة ، ومنبع هذا انما هو الجهل الفاضح بقوانين العالم الذى نعيش ، وتخلف عن فهم ما يجرى حولنا فى دنيا البشر .

ومع كل ما حدث للكويت وشعبها من آلام وجراح فى العقل والوجدان ، الا اننا نعود اليك أيها القارىء العزيز ، بعدد « سبتمبر ١٩٩١ » وبعد إنقطاع

عام كامل عن الصدور ، وسيكون هذا الحدث ـــ الفاجعة علامة فارقة فى تاريخ الأمة العربية ، وستسجله كتب التاريخ فى عداد أعوام الفواجع والكوارث التى ألمت بهذه الأمة ، وما أكثر ما ابتليت به فى تاريخها الحديث من جراء جرائم المغامرين والجهلة من ابنائها أمثال صدام حسين ، ممن عرضوا مصالحها الحيوية للضياع والدمار ، ومزقوا تضامنها ، وحفروا الفرقة بين أبنائها .

لكن تبقى « الكويت .. الدولة والشعب » تواصل الطريق ، وهى منشغلة بتضميد جراحاتها العميقة بين أبنائها فى الجسد والنفس ، للعمل لما فيه مصلحة هذه الأمة ، وتقريب التفاهم والمحبة بين أبنائها من خلال بناء الثقافة الأصيلة ، لكى تتمكن إن شاء الله من العودة إلى طريق الخير لصالح مستقبل أبنائها ودورهم المنتظر فى المساهمة فى بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة .

رئاسة التحرير

تقـــديم

« إننى لا أعرف الكويت إلاّ بوصفها منبعا للثقافة » .. هكذا قال لى شاب عربى لم يزر الكويت ولا يعرف عنها إلاّ أقل القليل ، غير أن صلته بها تتوطد من خلال تلك الأعمال الثقافية التى ينتظرها فى مواسمها بلهفة ، والتى تكاد تكون مصدر معرفته الوحيد بهذا البلد . أمثال هذا الشاب فى العالم العربى عشرات الألوف ، ومن المؤكد أنهم جميعا قد شعروا طوال ذلك العام المشئوم الذى بدأ بالثانى من أغسطس ١٩٩٠ ، أنهم افتقدوا ذلك الزاد الثقافى الخصب الذى كانت تمدهم به تلك المؤسسات الثقافية الكويتية التى اكتسبت ، فى طول العالم العربى وعرضه ، ثقة الإنسان المثقف أو المتطلع إلى الثقافة . ففى تلك المجلات والدوريات وسلاسل الكتب كان الإنسان العربى يجد أقرب النماذج إلى تحقيق هدف « المعرفة لأجل المعرفة » ، وهو فى بلادنا العربية هدف عزيز المنال ، بعد أن اعتدنا طويلا ألاّ نتلقى سوى أنواع المعرفة التى تستهدف الشهرة أو الدعاية أو غسيل المخ .

وحين يرى مثل هذا الشاب سلسلة « **عالم المعرفة** » تعود بعد عام واحد

من التوقف القسرى ، فسوف يكون اليوم الذى يقلب فيه صفحات عددها الأول بعد الغزو ، أحد أيام أعياده . ولا بد أن يشعر بالزهو حين يرى بلدا يستمد مصدر دخله الوحيد من النفط ، يعود إلى الإنفاق على مشروعات ثقافية تستهدف نفع العالم العربى كله ، وهو لم يطفىء بعد نصف آبار البترول التى أحرقها المحتل الغاصب ، ولم يبدأ فى إنتاج مصدر دخله بالقدر الذى يفى بحاجاته الضرورية . وسوف يدرك عندئذ أن عودة الثقافة النابعة من الكويت ، وعودة الحياة النابضة إلى الكويت ، هما مسميان لشىء واحد .

عام كامل توقفت فيه سلسلة « **عالم المعرفة** » رغما عنها ، بعد أن صدر آخر عدد منها يحمل عنوانا تنبؤيا : « التلوث مشكلة العصر » . كان ذلك بالفعل عام التلوث : تلوث سياسى وعسكرى أصابنا منذ اللحظة التى فكّر فيها بلد عربى فى أن يحل مشكلته مع بلد آخر بالغزو ، وتلوث أخلاقى تمثل فى تلك الممارسات الهمجية التى تفوق كل ما يخطر ببال الخيال المريض ، وتلوث مادى فى عمليات التلغيم والهدم والتخريب ، ثم الإحراق الكامل لأشد المواد قابلية للاحتراق ، ولثروة عربية آثر الغزاة أن يبددوها فى الهواء ما داموا قد وجدوا أنفسهم عاجزين عن الاستحواذ عليها ..

غير أن أفدح أشكال التلوث التى لحقت بنا خلال هذا العام المشئوم ، والتى ستظل تشوه وجه حياتنا بعد وقت طويل من انتهاء آثار التلوث السياسى والأخلاقى والمادى ، هو التلوث الفكرى . فقد انشقت تلك الأرض الطيبة التى سقاها رواد الحضارة العربية الحديثة بنور عقولهم ، والتى أخصبها كل مشروع ثقافى نبيل نبع من وطننا العربى ، كمشروع « **عالم المعرفة** » ـــ انشقت تلك الأرض عن كيانات فكرية شوهاء توظف عقولها من أجل دعم العدوان ، وتكدس الحجج المغلوطة من أجل التستر على الجرائم الشنعاء التى كانت ترتكب

يوميا فى حق الإنسان الكويتى ، والعراق ، والعربى أينما كان .

لقد كانت أشد اللحظات إيلاما هى تلك التى اكتشف فيها كل من أسهم بجهده وفكره فى إنجاح مشروع ثقافى مثل « **عالم المعرفة** » ، أن تلك المعانى التى حاولنا قدر استطاعتنا أن نغرسها فى النفوس طوال ثلاثة عشر عاما ، قد انكسرت عند القشرة الخارجية لعقول الكثيرين ، وأن قيما كالحرية وحقوق الإنسان والتضامن والتفاهم والعقلانية لم تجد من يدافع عنها بين شعوب عربية كاملة ، بل لقد وجدت ، بين أشهر « المثقفين » من يعد هذه القيم رخاوة وطراوة ، ويسمى الفاشية الدموية الغاشمة « صرامة » . فى مثل هذه اللحظات قد ينتاب المرء شك قاتل ، حين يتساءل : هل كنا نحرث فى البحر ؟ وهل تغلغلت الثقافة حقا فى نفوس أولئك الذين صفقوا للطغيان وفلسفوا جرائمه وغضوا أنظارهم عن كل ما يتصل من قريب أو بعيد بإنسانية الإنسان ؟!

على أن صدمة الكشف الأليم سرعان ما تتحول إلى مزيد من الإصرار . فالطريق ما زال طويلا ، هذه هى الحقيقة الأساسية التى أثبتها ذلك الإنشقاق الفكرى الذى أصاب العقل العربى منذ الثانى من أغسطس . ولكن هذه الحقيقة بعينها هى التى تجعل « **عالم المعرفة** » أشد ضرورة ، وتجعل أهدافها أشد إلحاحا . فالتنوير الذى اتخذته هده السلسلة هدفا لها ، لا بد أن يخوض معركته ، وفى نهاية المطاف لن يصح إلاّ الصحيح .

* * *

وبعد ، فإنه لمما يسعدنى كل السعادة أن تكون حلقة الوصل بين أعداد السلسلة السابقة ، التى أربت على المائة والخمسين ، وبين ما تقدمه هذه

السلسلة من نتاج ثقافى رفيع فى أعقاب تحرير الكويت ، كتابا يتناول موضوعا ذا دلالة بالغة ، هو الدور الثقافى للكويت على الصعيد العربى . ففى هذا الكتاب تذكير بتلك الحقيقة التى ربما غابت عن أذهان الكثيرين من فرط اعتيادهم عليها ، وهى أن الدور الحقيقى للمشروعات الثقافية التى تنبع من أرض الكويت هو دور عربى فى المحل الأول ، وأن تلك المشروعات تحظى بقدر من الحرية ، فى اختيار موضوعاتها ، ومؤلفيها ، وتوجهها العام ، يندر أن نجد له نظيرا فى عالمنا العربى ، وهو بالقطع يمثل الوجه الآخر والمضاد ، لتلك « الثقافة » الدعائية الموجهة توجيها فجاً ، والتى تصدر عن أجهزة النظام الشمولى فى البلد المغتصب .

ولقد كان الأستاذ الدكتور محمد حسن عبد الله ، مؤلف هذا الكتاب ، هو الأجدر حقا بأن يتصدى لهذه المهمة فى ظروف شاقة لا يُتاح فيها للكاتب فى مثل هذا الموضوع سوى القدر اليسير من مصادر البحث . فقد عرف مؤلفنا الكويت ، واندمج فى حياتها الثقافية ، طوال ما يربو عل العشرين عاما ، عاش فيها معلما ، وأستاذا جامعيا ، وناقدا أدبيا ، وكاتبا مسرحيا ، مما أتاح له أن يطل بنظرة « بانورامية » شاملة على جميع آفاق الثقافة فى هذا البلد الذى يؤدى فى هذا الميدان دورا يفوق حجمه بكثير . ومما يحمد لمؤلفنا أنه ، على الرغم من الظروف الخاصة التى يقدم فيها كتابه ، قد صان قلمه من الوقوع فى هوة الدعاية المتشنجة أو الهجوم العدائى على الخصوم . وكم أود أن يتأمل القارىء بإمعان تلك الصفحات التى ترد قرب نهاية الكتاب ، والتى يتحدث فيها بأمانة عن تلك القصائد العديدة التى كتبها شعراء كويتيون عن بغداد ، فيعرضها بموضوعية تامة ، ويترك لذكاء القارىء أن يستخلص ما يشاء من الدلالات .

وبعد ، فإنى إذ أعود فى السطور الأخيرة من هذه المقدمة إلى هذا الشاب

العربي الذى لا يعرف الكويت إلاّ بوصفها منبعا للثقافة ، أزجى إليه التهنئة لأن صرحا من الصروح الشامخة لهذه الثقافة قد ارتفع من جديد ، ولا تملك أسرة تحرير « **عالم المعرفة** » إلاّ أن تعد هذا الشاب بأنها ستواصل مسيرتها على النهج نفسه الذى أتاح لها أن تكتسب ثقة جيله بأكمله ، وتعمل ما فى وسعها كيما يستوعب العقل العربى تلك الدروس البليغة التى علّمتنا إياها أحداث مشئومة حرمت شبابنا ، إلى حين ، من منابع ثقافتهم الأصيلة .

مستشار السلسلة

أغسطس (آب) ١٩٩١

أربَع مقدمَات صغيرة

(١)

هذه الصفحات عن « دور الكويت فى التنمية الثقافية العربية » تستبعد تماما ـــ ما أمكنها ذلك ـــ الظروف المؤلمة التى وجدت فيها الكويت صبيحة الخميس الموافق الثانى من أغسطس (آب) عام ألف وتسعمائة وتسعين . وهذا الاستبعاد ـــ فى حدود الممكن ـــ لا يرتكز على قاعدة من الاستهانة بما جرى ، أو تهوينه ـــ ولو ظاهريا ـــ فى عيون الآخرين ، فالأمر على عكس ذلك بكل اليقين ، لأن القاصمة التى أصابت الجسد العربى وحالة الاختلاط العقلى التى أصابت فكره ، والغيبوبة التى تكاثفت طبقاتها على وجدانه ، قد أضافت عطبا فى التكوين العربى جسدا وفكرا ووجدانا ، وهو عطب نشاهد بداياته ولا يلحق الخاطر باحتمالاته ، ولا تجد النفس ـــ مهما أضناها الشوق واستبد بها تتبع سراب الأمل ـــ سبيلا إلى احتوائه وإزالة آثاره . لهذا نعتقد أن الكارثة التى لحقت بالثقافة العربية قد نزلت ، واستحكمت ، ورسخت مرارتها فى النفس ، وانتشرت أشواكها فى منافذ الإدراك العربى . وليس يعنى أنه بعودة الكويت إلى قرارها ، وصدور ما تعودت أن تصدره من فكر وفن وثقافة إلى سائر أنحاء الوطن العربى ، يكون كل شىء قد عاد كما كان ، وكأن شيئا لم يكن .. الخسارة راسخة حتى بعد أن تعود « عالم الفكر » و « عالم المعرفة » وتستمر هيئة الجنوب والخليج فى أداء دورها .. إلخ ، لأن الضربة الطائشة أصابت فى الصميم مبدأ الحرية ، وأصابت فى القلب مبدأ الأمان العربى ، والحرية ركيزة الثقافة ، والأمان ضمان التنمية . وإذا كانت الكويت تقول فى نفسها

ــ مستقبلا ــ « كيف أعاودك وهذا أثر فأسك » (على عنقى) ، فقد رأى الآخرون آثار الفأس ، ودخل ذلك فى حساباتهم . لقد كان للعرب عدو واحد يحذرونه ، وهو خصم تاريخى وإن تفاوتت الرؤى والحسابات فى توقيت أو أسلوب مجابهته ، فأصبح لهم عدو آخر « من أنفسهم » لا يعرفون كيف يتعاملون معه .

يقول الأستاد محمود شاكر : « إن هذه المحنة سيمتد تأثيرها على الثقافة إلى عشرات السنين ، بشكل خارج عن المنطق والعقل . المسألة تجاوزت حدود الثقافة والمثقفين إلى ما هو أعم من ذلك وأشمل ، فالوضع الموجود الآن يدل على أن رجلا واحدا استطاع أن يستغل حالات الجهل وعدم الوعى ، المتفشية فى الأمم النامية للسيطرة على العقول ، بحيث يوجهها فى بلده التوجيه الذى يريد ، دون نظر إلى مصالح هذه الأمة » ثم يتعجب الأستاذ شاكر (صحيفة الأهرام ١٩٩٠/٩/١٤ صفحة فكر ثقافى) من مقدرة حاكم العراق على تدمير الحرية والاحتماء بالإسلام فى نفس الوقت وهو ما لم يسبقه إليه غير نابليون فى مصر ، على أنه قد تجاوز « مقدرة » نابليون ، فهو لم يدخل الكويت محتلا ، وإنما دخلها مخربا مدمرا ، فلو كان محتلا لأبقى الأمور على ما هى عليه » ثم يجمل رؤيته الناقدة لما كان من أمر ثقافتنا العربية ، والمتشائمة لما سيؤول إليه مستقبلها فيقول : « إن ثقافتنا العربية المعاصرة كانت ثقافة مهلهلة ، والمثقفون لهم شواغلهم الخاصة والعامة ، والقائمون على أمرها غير جادين . والثقافة بوجه عام غير مبنية على دراسات ومناهج أو حتى تقاليد كنا نعرفها نحن أبناء الأمس . وفى ظل هذا الوضع الراهن تأتى هذه المحنة ليقضى شبحها على ما كان قد يرجى من هذه الثقافة بعد عشرات السنين ، بشكل خارج عن المنطق العقلى . فالمسألة فى رأيى تتجاوز الثقافة ومستقبلها ، إلى القضاء على العلوم

والفنون ، بل القضاء على أمة بأكملها وليس الكويت وحدها » .

ليس شرطا أن نبلغ المدى الذى بلغه الأستاذ شاكر فى نظرته اليائسة من المستقبل لكى ندرك فداحة ما جرى للثقافة العربية ، متضمنا فيما جرى للكويت ، أو شناعة المصير الذى ستلقاه الثقافة العربية ترتيبا على سكوت الكويت — كرها — عن أداء دورها الثقافى ، ولو إلى حين .

نحن إذًا ، فى هذه الصفحات ، نتوقف عن ذكر ما سيكون من أمر الثقافة ، مكتفين بقدر من الوصف والتحليل ، يساعد على تقريب صورة الدور الكويتى فى التنمية الثقافية العربية ، دون أن نسحب أشجان وآلام ما جرى فى الثانى من أغسطس على هذه الصورة الوصفية التحليلية .

غير أننا لا نستطيع أن ننظر إلى ما جرى ، وكأنه لم يكن (ولو على سبيل الافتراض التعسفى) حين ننظر إليه من زاوية موضوعنا بصفة خاصة ، فنحن لا نبالغ إذا اعتبرنا « الثقافة » أو الاختلال الثقافى العربى ، والشرخ الواضح فى أسس نظرتنا إليها ، وقيمنا المستخلصة منها ، أحد الأسباب الهامة ، إن لم يكن السبب الرئيسى لما حدث من فواجع واضطراب عام ، وأيضا فإننا نعتبر الثقافة العربية على رأس الضحايا المهددة فى المستقبل . مهددة بالمقاطعة والخصومة السياسية ، مهددة بتصاعد موجة الاقليمية ، مهددة بيأس الانسان العربى من تشكيل مستقبله ، وتحقيق أهدافه البعيدة ، بعد أن رأى أهدافه القريبة تتحطم بين يوم وليلة ، ومسلماته تتحول إلى أخطاء فى التصور ، وعجز عن الفهم . من واجبنا أن نقاوم هذه الاحتمالات الممكنة ، القريبة الامكان ، ولكن .. إذا لم يكن فى استطاعة هذه الصفحات أن تطرح مشكلة الثقافة العربية بتصور كلى وشامل ، فإن فى استطاعتها أن تكون بداية لطرح هذه القضية الشديدة التأثير على المستقبل العربى . ،

(٢)

فى هذا العصر الشديد التعقيد ، لم يعد مثقف يجهل أهمية التخطيط ، لا مكان فى عالم اليوم لمن يترك الأمور تمضى كيفما اتفق ، إن مدى الرؤية أمام العين الطبيعية أصبح محدودا جدا ، بتكاثف المؤثرات وتعارض المصالح ، وتداخل المشاهد ، والحل أن تتجمع عيون كثيرة ، لترى أكثر من خلال « الخطة » ، التى تقوم على « التحليل » ثم إعادة « التركيب » من خلال تحديد الأهداف . ولهذا كان التخطيط أحد شعارات العصر الحديث ، غير أننا ـــ كبلاد نامية ، متخلفة إداريا ، سرعان ما تتراخى قبضتها عن خططها ، ثم تنساها ، وتصطنع أهدافا جديدة ، تأخذ فى التخطيط لها ـــ ينبغى أن نقرن شعار التخطيط بشعار المتابعة ، أو مراقبة التنفيذ ، بل إننا نرى أن المتابعة أهم من التخطيط .

هذه توطئة أراها ضرورية ونحن نتعرف ـــ أو نحاول ـــ على « دور الكويت فى التنمية الثقافية العربية » . وقد يكون السؤال المهم : هل انبثق هذا الدور من تلقاء نفسه ، وتنامى وتفرع بتداعيات الظروف وميول الأشخاص (أو القيادات الثقافية فى الكويت) أو كان ثمرة لرؤية ، تشكلت فى خطة ، تنامت وتفرعت بفعل المتابعة وقياس الجدوى وردود الأفعال ؟

هذا أمر لا يسهل القطع به ، ولكننا سنجد عليه علامات مبكرة، فبعض المشروعات الثقافية المؤثرة إلى اليوم ، المستمرة إلى اليوم ، بدأت عام ١٩٥٨ بل إن مساعدات هامة بدأت قبل ذلك ، ومع هذا قد تكون الفصول القادمة محاولة لتقريب الجواب ، أو تقريبه إلى الدقة والتوثيق ، وإذا كان « التخطيط » (وهو هنا التخطيط الثقافى قصدا) ركيزة السؤال ، فإن « التوثيق » برهان

الجواب . ولابد أن نعترف بأنه ـــ فى الأوضاع المرحلية الراهنة ـــ لن يتاح لنا توثيق بعض ما نروم ذكره أو التذكير به . ومع هذا فربما خفف من غياب هذا الجانب أو عدم اكتماله أننا نجد له البديل ، وهو البديل الأقوى ، لأن « الفعل » أهم من « القول » . وليس من شك فى أن ما بين أيدينا من مطبوعات الكويت ، وما عاينا من أنشطتها الثقافية فى المجالات المختلفة أصدق دلالة من أرقام الملايين التى أنفقت ، ومحاضر الاجتماعات التى عقدت .

بعبارة أخرى موجزة وبعيدة تماما عن الادعاء : إن الوثائق الخاصة « بدور الكويت فى التنمية الثقافية العربية » عندك أنت ، مثلما هى عندى فإذا عدت إلى مكتبتك ووجدت من بين مقتنياتها العزيزة عليك أعدادا من « عالم المعرفة » ، أو « عالم الفكر » أو « من المسرح العالمى » ، أو « الثقافة العالمية » أو مجلة « العربى » إلخ ... فإننى أرجو أن تعتبرها الوثائق ـــ الفعل الثقافى ، الذى يتفوق على كل قول ، وإن كان براقا وزاعقا . على أن هذه الوثائق الحاضرة ليست إلا بعض ما تؤدى الكويت من خدمة ثقافية لأمتها العربية .

أذكر أننى كنت ضمن وفد من جامعة الكويت قام بزيارة الجامعات والمعاهد العليا السودانية عام ١٩٨٠ ، وفى الخرطوم ألقيت محاضرة عن الحركة الأدبية فى الكويت ، وكما هو العادة ، يتاح وقت لتلقى أسئلة الجمهور ، وكانت المفاجأة أن عددا من هذه « الأسئلة » كان رجاء موجها إلى المشرفين على المطبوعات الكويتية سالفة الذكر ، أن يضاعفوا من كمياتها المرسلة إلى السودان ، حتى لو أدى هذا إلى مضاعفة السعر ، ليتسنى للراغبين الحصول عليها ، لأنها تنفد فور وصولها .. ولقد ضمنت هذا المطلب تقريرى إلى الجهة التى أوفدتنى ، وبلغته أيضا إلى الجهة المعنية به ، وهى المجلس الوطنى للثقافة ، فكان رد مسئول كبير فيه : بل نضاعف الكمية ، ولا نمس الثمن .. إنها خدمة

ثقافية ينبغى أن تصل إلى مستحقها دون مقابل . وقال الدكتور سليمان الشطى أحد أعضاء المجلس الوطنى للثقافة ، البارزين ، ورئيس تحرير مجلة البيان (الأدبية) تعليقا على الرغبة السودانية : فى الخمسينيات وما قبلها تثقفنا مجانا على يد مصر ، كانت تؤلف وتطبع وتوزع وتبيع « أعلام العرب » بخمسة قروش ، و «المكتبة الثقافية » بقرشين و « تراث الانسانية » بمثل ذلك . كانت مصر تكتب والعالم العربى كله يقرأ ، وتغيرت الأحوال وأصبحت ميزانية مصر مثقلة بواجبات أخرى ، فلا أقل من أن تتقدم الكويت وتحمل عنها جانبا من هذا الواجب القومى ..

أتذكر الآن ، أنه فى أعقاب تلك الفترة ارتفع عدد المطبوع من « عالم المعرفة » من ثلاثين ألف نسخة ، إلى خمسين ألفا ، وظل ثمن النسخة أقل من ثمن الورق فيما لو كان دفترا أبيض ، أقل من ثمن مجلة أسبوعية ، تشتريها صباحا ، وتلقى بها فى سلة المهملات قبل المساء ..

ومع هذا فالأمر أعمق من أن يكون مجرد توصيل المعرفة ، أو تيسير الثمن بحيث يكون فى متناول جميع الراغبين .

ستكون لنا وقفة مع خطة الكويت الثقافية ، أو رسالتها ، فى محورها القومى المتوجه به إلى الأمة العربية (بصرف النظر عن رعايتها للثقافة داخل الكويت أو على مستوى العلاقات الدولية ، فهذا ليس موضوعنا الآن) ولهذه الخطة ـــ الرسالة محتوى فكرى ، ولها وسائل (مستويات ، وقنوات توصيل) تجعل منها عملا شاملا ذا أهداف قيمة حاليا ، ومستقبلا ، غير أننا ينبغى أن نعرف أن الجامعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) هى الجهة المنوط بها وضع ورعاية خطة ثقافية عربية شاملة . وهذه الخطة قد وضعت بالفعل ، بعد انتظار طويل ، وقد كان للكويت (كما سنرى فى الفصل الرابع) فضل رعايتها ، والخروج بها من حيز الأمل إلى مستوى الوثيقة المحددة المعلنة التى تستوجب العمل . لن نشغل هذه الصفحات بإجراء مقابلات أو موازنات بين الهدف العربى الشامل (كما تبنته الخطة) وما حققته الكويت فى رسالتها الثقافية إلى أمتها العربية ، لنرى مدى التوافق أو المخالفة ، إننا بعد قراءة فى المضمون ، وتعرف على المستويات ، لن نكون بحاجة إلى مثل تلك المقارنات .

على أننا لا نرى داعيا ـــ مرة أخرى ـــ إلى الدخول فى تشقيقات نظرية حلو مفهوم أو مفاهيم الثقافة ، وهل هى مرادفة للجانب المعرفى ، القيمى ، أو القيمى والمادى ، أو أنها تشمل السلوك والعمل أو طريقة الحياة ، وهل هى مرادف للحضارة ، أو تخالفها من حيث تتعلق الحضارة بالماديات ، وتقتصر الثقافة على المعنويات من المفاهيم والعلاقات . إن التعريفات والأقسام كثيرة جدا ، ومتداخلة جدا بدرجة تغرى بالتغاضى عنها جميعا ، أو اعتبارها جميعا ، من منطلق تحصيلى واحد ، وثابت ، نجده فى صيغة هذا السؤال : « ماذا

صنعت الكويت فى هذا المجال فعلا ؟ وكيف نتصوره » ؟ أما إلى أى مدى يتطابق هذا مع مفهوم ، أو مفاهيم الثقافة ؟ فإنه ــ قطعا ــ لن يخرج عنها ، ولكن الطريف حقا أنه سيستوعبها جميعا ، ليس لأن الأجهزة العاملة فى الثقافة بالكويت استعانت بمنظرين وخبراء وضعوا لها أطر العمل ومحاوره (ولعلها لو فعلت لاضطربت لغياب تعريفات مقطوع بها غير مختلف عليها) ولكن لأن العمل الثقافى الموجه إلى الأمة العربية تداخل ــ فى حالات كثيرة ــ مع الرغبة فى الانتشار الفنى ، والمساعدة الاقتصادية والتنوير الدينى ، بل التنوير بشكل عام . وعلى سبيل المثال : أقامت الكويت ــ منذ فترة مبكرة ــ محطة تلفزيون دبى (قبل قيام دولة الامارات) وظلت تشرف عليها إلى عام ١٩٧٢ ، وأقامت مبانى جامعة صنعاء (أمدتها بالأساتذة وهذا عمل ثقافى لا خلاف عليه ، ولكننا هنا بصدد المبانى) وأقامت فى جوبا (جنوب السودان) مساكن لموظفى الحكومة ، ومساكن شعبية (بينها مدارس ومساجد مما لا خلاف عليه) فإلى أى مدى يمكن اعتبار هذه « المبانى » من أعمال الثقافة ، وخدمة ثقافية موجهة لتلك الجهات ، ومن ثم لمجموع الأمة العربية ؟ بل إن الكويت أقامت وتقيم عشرات المدارس فى اليمن الشمالى ، واليمن الجنوبى ، مما جرى التقسيم المنهجى على اعتباره « تعليما » والتعليم غير الثقافة ..

لكننا إذا كنا نتحدث الآن ــ بكثير من الألم ــ عن أمية المتعلمين ، فإننا لن نفخر كثيرا بثقافة الجهلاء . وهذا يعنى أن التعليم هو بالضرورة خطوة أساسية نحو الثقافة ، وإذا كانت كافة نظريات التثقيف لا تستطيع أن تفصل بين الثقافة والاقتصاد ، وتبحث عن أسباب التخلف الثقافى فى التخلف الاقتصادى ، فلا شك أن بناء مستشفى للأطفال فى عدن ، أو جوبا (كما سنرى) هو عمل ثقافى ، أو خطوة نحو الثقافة .

لن نختلف على أهمية أن جامعة الكويت ــ مثلا ــ أرسلت بعثات لتصوير

المخطوطات العربية ، التى لا يسهل تيسيرها للباحث العربى ، فى بعض مراكز انجلترا ، وإيرلندا ، وتركيا ، وغيرها ... ولكننا قد نختلف على أهمية أن الكويت ترعى قسما لدراسات الأدب العربى فى إحدى الجامعات البريطانية أو مركزا للدراسات فى سويسرا ، من حيث أهمية هذا العمل بالنسبة للتنمية الثقافية العربية بالذات (وليس العلاقات الثقافية الدولية ، وهذا محور مستقل) ومع هذا فالمردود الايجابى ليس موضع خلاف ، لأننا متفقون ــ فى النهاية ــ على أن تنمية الوعى الانسانى بالتاريخ والحاضر والمستقبل ، وتوازن قوى الفرد المادية والعقلية والروحية ، وانسجامه سلوكيا وعمليا مع مجتمعه بأداء دوره الصحيح المنوط به ، يدعمه ويتممه اطمئنانه إلى موقعه من عالمه وعصره ، وقدرته على فهم ما تصل إليه مداركه ، وإشباع إحساسه بالاعتبار فى زمانه ، بحيث نجنبه الشعور بأنه منبوذ ، أو مستبعد ، أو سلبى فى تشكيل حياته ، من خلال مساهمة « عالمية » فى صنع العصر . سأقدم مثلا قد يبدو ساذجا ، أو بسيطا جدا ، أو إننا تعودناه بحيث لم نعد نتأمله : حين شارك فنان مثل عمر الشريف فى فيلم عالمى ، وانتقل إلى هوليود .. كم لهذا العمل الخاص بشخص من مردود نفسى ، ومردود ثقافى على مجمل المشتغلين بالفن فى مصر ، وفى البلاد العربية عامة ؟ قس على هذا الجيولوجى العالمى فاروق الباز والجراح العالمى مجدى يعقوب ، والعداء المغربى عويطة الذى حقق تفوقا عالميا لعدة أعوام ، بل ماذا أحسسنا حين عرفنا أن أميرا سعوديا كان بين قادة إحدى المراكب الفضائية الأمريكية ؟ على أية حال لن نفكر فى احتساب العلاقات الثقافية الدولية للكويت كفعاليات ذات مرود قومى ، بل لن نتطرق بغير الاشارة العابرة التى يحتمها تداخل المعلومات والبيانات أحيانا إلى المساهمات الاقتصادية (فلها مكانها وأصحابها القادرون على توضيحها) وسنكتفى بما صنعته الكويت ، قصدا ، فى مجالات الثقافة ، التى لا يختلف عليها أحد .

(٤)

إجمالاً ، يمكن أن نقول إن هذه الدراسة سترعى ثلاثة جوانب أساسية : أولها : كيف كانت بدايات الدور الثقافى للكويت ، وتحت أى ظروف نشأ هذا الدور ، ومن ثم كيف اكتسب ملامحه المستمرة . وثانيها عن ماهية هذه الملامح ، ومدى ثباتها ، وما بينها من تكامل فى سبيل تحقيق غايات محددة . وثالثها : إلى أى مدى يتحقق التناغم بين رسالة الكويت الثقافية ، الموجهة إلى أمتها العربية ، والأنشطة الثقافية الإبداعية فى الإطار الكويتى الداخلى . وهذه المحاور الثلاثة تكشف عن طبيعة التكوين الثقافى التلقائى الذى يمارسه مفكرو الكويت وأدباؤها فى بيئتهم الخاصة ، وصلة هذا التكوين — ومن ثم درجة مصداقيته — بالأنشطة الثقافية (من مطبوعات وندوات ومعارض ومعونات فنية متنوعة) التى تصدرها الكويت وتراعى فيها أنها — أولا : صنعت من أجل المواطن العربى خارج الكويت ، على امتداد الوطن العربى .

وإجمالاً أيضا ، سنشير إلى بعض مواد الدستور الكويتى ، التى تحدد الهوية والانتماء ، والقيم الأساسية للمجتمع ، وفى مقدمتها الحرية والعدالة والديمقراطية . إن هذا الدستور وقد صدر فى ١١ نوفمبر ١٩٦٢ هو الأول فى الجزيرة العربية والخليج ، وقد أقره المجلس التأسيسى المنتخب ، وارتضاه شعب الكويت ، فهو — من جانب — المعبر عن ضميره وحسه الفطرى ، وانتمائه الواعى ، وهو — من جانب آخر — المحدد للاتجاه ، والمشكّل للسلوك والحركة والأهداف فى المستقبل . إن البدء بالدستور هو فى صميم قضية الثقافة ، ليس لأنه يشتمل على « مواد » تشير إلى حق المواطن فى أنواع من الرعاية ، وتمتعه بحقوق هى جوهر البناء الثقافى للإنسان ، وحسب ، وإنما لأنه

ــ بالإضافة إلى هذا ــ يكشف عن نوع ، ومدى العلاقة ، وطاقة التفاعل بين الكويت وأمتها العربية ، وهذا هو الأساس الذى يعطى الدور الثقافى الكويتى فاعليته ، واستقراره ، واستمراره .

لقد انتهت مهمة المجلس التأسيسى ــ وهى وضع دستور لدولة الكويت ــ بانعقاد جلسة ختامية فى ١٥ يناير ١٩٦٣ ، وفى تلك الجلسة قال الشيخ جابر الأحمد الصباح (وقد ألقى كلمة الحكومة حيث كان سموّه نائبا لرئيس مجلس الوزراء بالوكالة) : « ... كلمة أخيرة أود أن أقولها فى هذا المجال ، وهى أن الكويت أميرا وحكومة وشعبا يؤمن إيمانا راسخاً بأن القومية العربية ، والوحدة العربية هما الطريق الصحيح الذى يجب أن تسير فيه الأمة العربية لتصل إلى الهدف الذى يصبو إليه كل فرد من أفرادها . وإن الكويت فى سبيل ذلك لن يوصد أبوابه فى وجه أشقائه العرب فى حدود طاقته ... » هنا نتأمل أولا النص على التوجّه القومى واعتباره الطريق الصحيح لتحقيق الأهداف التقدمية التى يسعى إليها الشعب العربى ، ولا شك أن هذا الإعلان فى تلك الفترة كان يعنى الكثير ، ويكلف الكثير فى ظل الصراع الذى كان سائدا عبر الستينات . ونتأمل ثانيا الربط بين استقدام العمالة العربية وهدف الوحدة العربية .

ولكن : ماذا يقول الدستور الكويتى ؟

يقول فى مادته الأولى : « ... وشعب الكويت جزء من الأمة العربية » .

ويقول فى مادته السادسة : « نظام الحكم فى الكويت ديمقراطى ، السيادة فيه للأمة مصدر السلطات جميعا ... » .

ويقول فى مادته السابعة : « العدل والحرية والمساواة دعامات المجتمع .. » .

ويتنفس هذا المبدأ فى عدة مواد :

« لا يجوز إبعاد كويتى عن الكويت أو منعه من العودة إليها » [المادة ٢٨] .

« حرية الاعتقاد مطلقة ... » [من المادة ٣٥] .

« حرية الرأى والبحث العلمى مكفولة » [من المادة ٣٦] .

« حرية الصحافة والطباعة والنشر مكفولة » [من المادة ٣٧] .

ومن حرية المواطن الكويتى ، إلى حرية المواطن العربى فى الكويت :

« للمساكن حرمة ، فلا يجوز دخولها بغير إذن أهلها ، إلاّ فى الأحوال التى يعينها القانون ، وبالكيفية المنصوص عليها فيه » [المادة ٣٨] .

« تسليم اللاجئين السياسيين محظور » [المادة ٤٦] .

والأمن العربى لا يتجزأ ، فأمن الكويت مرتبط بأمن أمتها :

« السلام هدف الدولة ، وسلامة الوطن أمانة فى عنق كل مواطن ، وهى جزء من سلامة الوطن العربى الكبير » [المادة ١٥٧] .

والدستور يوجه المشرع إلى توسيع دائرة الحرية ، ويحظر عليه انتقاص مكتسبات الشعب ؛ إذ تقول المادة (١٧٥) صراحة وتحديدا :

« الأحكام الخاصة بالنظام الأميرى للكويت ، وبمبادىء الحرية والمساواة المنصوص عليها فى هذا الدستور لا يجوز اقتراح تنقيحها ، ما لم يكن التنقيح خاصًا بلقب الإمارة ، أو بالمزيد من ضمانات الحرية والمساواة » .

ستكون لنا وقفة مع بعض طبائع المجتمع الكويتى ، لنرى بالاستناد إليها — مدى قدرة التكوين الخاص ، واستعداده لاكتشاف دوره الثقافى وتحمل تبعاته . وقد تكون كلمات أمير الكويت (الشيخ عبد الله السالم الصباح) التى قدم

بها لتصديقه على الدستور دقيقة جدا فى بلوغ مرادها من ردّ كل فضائل الدستور العصرية إلى موروث النفس العربية وما جبلت عليه ، إذْ جاء قوله :

« رغبة فى استكمال أسباب الحكم الديمقراطى لوطننا العزيز ، وإيمانا بدور هذا الوطن فى ركب القومية العربية .. وسعيا نحو مستقبل أفضل ينعم فيه الوطن بمزيد من الرفاهية ، والمكانة الدولية ، ويفيء على المواطنين مزيدا كذلك من الحرية السياسية ، والمساواة ، والعدالة الاجتماعية ، ويرسى دعائم ما جبلت عليه النفس العربية من اعتزاز بكرامة الفرد ، وحرص على صالح المجموع ، وشورى فى الحكم مع الحفاظ على وحدة الوطن واستقراره ... » .

سنكون بحاجة إلى تذكر هذه العبارات ، فلعلها تغنى عن جهد كثير ، فى اكتشاف منطلقات الرسالة الثقافية الموجهة إلى الأمة العربية .

القسم الأول

بدايات مستمرة

الفصل الأول

١٩٥٨

ليس فى اختيار هذا الرقم عنوانا ميل إلى الإثارة أو رغبة فى التعمية ، إنه تاريخ ، قد يحمل معنى البداية ، ولكن : أية بداية ؟

عام ١٩٥٨ يسبق عام اعلان الاستقلال فى الكويت بثلاثة أعوام تقريبا (أعلن الاستقلال فى ١٩٦١/٦/١٩) ، وكانت الكويت ـــ حتى ذلك الحين تعج بنشاط متنوع عظيم ، فى مجالات شتى ، فى مقدمتها بناء المؤسسات التعليمية والثقافية ، لكنها ـــ فى الجسم العربى العام ـــ تكاد تكون غير معروفة إلا لجيرانها من إمارات الخليج والسعودية والعراق . ولم يكن للكويت (فى العام ١٩٥٨) أى تمثيل سياسى أو مكاتب قنصلية على مساحة الوطن العربى ، وبالنسبة للقاهرة كان هناك « بيت الكويت » الذى اختص بالاشراف على طلاب الكويت فى القاهرة ، ومعاملات البعثة التعليمية ، ثم تدرج لتكون له صفة التمثيل القنصلى ، وقد أصبح نواة لسفارة الكويت فى القاهرة ، بعد إعلان الاستقلال . أما فى العواصم العربية القريبة من الكويت ، التى كان لها معها ارتباطات تجارية أو عملية ، فكان للكويت ممثل يتحدث باسم هذه المصالح المحددة ، أو المحدودة ، مجرد شخص (غالبا هو من أهل تلك البلاد) كما كان لتلك العواصم أشخاص يمثلونها ؛ مجرد أشخاص ، فى الكويت ، قد يكونون من أهل الكويت ذاتها .

أما وقد تشكلت فى الكويت أسس الحياة الحديثة ، وتكامل هيكل دولة عصرية ، فقد تطلعت ـــ قبل أن تعلن ميلادها السياسى العالمى من خلال اعلان الاستقلال ، وإرسال سفرائها واستقبال سفراء الدول ـــ تطلعت إلى أن تعلن هذا الميلاد لأمتها العربية أولا ، وبإشراف وسائل الإعلام (وليس الإعلان) ثانيا ، وهى الثقافة . وكان شهر ديسمبر ١٩٥٨ هو الموعد ، إذ شهد اليوم

الأول منه ميلاد عمل ضخم ، لا نزال نشهده ونقدر مكانته فى رسالة الثقافة والتنوير ، كما شهد الأسبوع الأخير من الشهر نفسه حدثا لا يقل — فى مغزاه — عن أن يعتبر علامة رامزة إلى دور الكويت الثقافى المنتظر ، والدى سبقت به دولا لها تاريخها الثقافى ، ومؤسساتها الراسخة ، وثرواتها الواسعة ، ولكنها لم تتطلع بنفس القوة إلى أداء هذه الخدمة الأساسية بالنسبة للطموح القومى إلى التقدم ، وإلى الوحدة العربية .

فى الأول من ديسمبر صدر العدد الأول من مجلة « العربى » .

فى العشرين من ديسمبر انعقد المؤتمر الرابع للأدباء العرب فى الكويت . عملان طموحان ، يحتاجان إلى سعة الأفق أكثر مما يحتاجان إلى سعة المال ، ويدلان على الوعى الاستراتيجى بمتطلبات المستقبل العربى والأسلوب الأمثل لخدمته ، أكثر مما يدلان على التلهف على الدعاية الوقتية أو تأليف الأصدقاء . « العربى » خدمة ثقافية قومية مستمرة ، و « المؤتمر » حلقة ضرورية فى عمل ثقافى قومى ، يحتاج إلى دعم كل الأطراف . وكانت الدولة الجديدة ، التى لم تعلن ميلادها السياسى بعد ، هى الطرف الثقافى الرابع بعد لبنان ، وسورية ومصر ، الدول التى استضافت المؤتمر فى دوراته الثلاث الأولى وكان يجتمع على مائدته كل عام نحو خمس عشرة دولة عربية ، ممثلة فى أدبائها ومفكريها .

غير أننا — ونحن نحاول أن نتخلل عبر تفاصيل بعض الجوانب من رسالة الكويت الثقافية — لا نريد أن نسجل خبرا مؤداه « صدور مجلة العربى » فى عالم يعج بالمجلات ، ولا أن نعيد إلى الذاكرة تلك الاستضافة المبكرة لمؤتمر أدبى ، فى عالم لا تنقضى مؤتمراته ولا تغيب أخبارها ، ولكننا نريد أن نتوقف قليلا عند المحتوى ، والمعنى ، لنكون أقرب إلى إدراك أهداف الرسالة ، ومن ثم الاقتراب من الوعى بها ، وتصورها تصورا صحيحا .

العربى : من العدد الأول إلى عدد أغسطس

صدر العدد الأول من مجلة العربى أول ديسمبر عام ١٩٥٨ أى قبل إعلان الاستقلال وإلغاء المعاهدة مع بريطانيا بثلاثة أعوام تقريبا ـــ كما قدمنا ـــ وقد أريد للعربى أن تكون صوتا ثقافيا ، تكتبه أقلام عربية خالصة ، توجهه إلى أمتها العربية كافة ، بمعزل عن صراعات السياسة ، وخلافات الملل والنحل . انها مجلة كل العرب(١) ، كتابا وقراء ، ويتأكد هذا المنحى المميز بتحليل محتوى العدد الأول ، تتصدره كلمة رئيس التحرير « الدكتور أحمد زكى » الافتتاحية(٢) .

« باسم الله نفتتح هذا الحديث الأول .

وباسم العروبة خالصة ، بحتة محضة ، نخط أول سطر يقع عليه البصر من هذه المجلة الوليدة .

وأسميناها العربى ، وماكان اسم بواف بتحقيق مايجول فى رؤوس رجال الوطن العربى كله ورؤوس نسائه ، من معان ، وماتستدفىء به قلوبهم من آمال وأمانى ، كاسم « العربى » فى حسمه وإيجازه .

ولقد كان جاز للعربى أن تتخذ لها منزلا ، أى قطر من أقطار العروبة ، فبغداد جازت ، وجازت القاهرة ودمشق ، وجازت الخرطوم والرباط وتونس ، جاز كل بلد له اللسان العربى لسانا ، والبيان العربى الناضح بعروبته بيانا . ثم تشاء الأقدار أن يكون منزل العربى بلدا من أصغر بلاد العرب حجما ، وليس بأصغرها خطرا ، فكان الكويت للعربى منزلا .

وخير ماشاءت الأقدار .

فالكويت — لو أن بلاد العرب جميعا قعدت إلى مائدة مستديرة ، وكشفت بالحساب عما أدته للعروبة من خير ، لتهلل وجه الكويت ، على صغره ، للذى صنع .

بذلك شهدت بورسعيد ، وبذلك شهدت الأردن ، وبذلك شهدت الجزائر ولا تزال تشهد ، وبذلك شهد ما تعاور العرب من أزمات .

والكويت يسخو مما حباه الله من مال ، ولكن من وراء المال عاطفة تخرج من القلب كريمة ، هى التى تحرك المال إلى أين يتجه . فالكويت فى وضع معروف ، يكاد يتناقض وما يسخو به الكويت فى كل أزمة عربية ، ولكنه من الإيمان بعروبته فى موضع هو فوق الأوضاع جميعا » .

لقد أطلنا الاقتباس عن افتتاحية العدد الأول من العربى ، لنتعرف على المناخ السياسى والفكرى السائد فى الوطن العربى ، ونثبت تجاوب الكويت معه ، وإمداده بوقود من الثقافة رشيد ، يعلى من قدره ، وقدرته . أما الإشارة إلى وضع الكويت المعروف ، فقد كانت إلى ذلك العام (١٩٥٨) محدودة الموارد ، كان ما تحصله من عائدات النفط لا يكاد يفى بحاجات مجتمع طال حرمانه من التعليم والإسكان والرعاية الصحية والاجتماعية ، مع ما تتطلبه عاصمة حديثة الظهور على خارطة التواصل العربى من تنظيم وإعداد مكلف ، وما يحتمه التطور السريع من تعويضات وتضحيات ، ومايمليه إعلان الاستقلال وما يتبعه من التزامات التمثيل السياسى ... الخ من باهظ النفقات ، هى إذاً إشارة موجزة ، يفهمها اللبيب ، ويقدرها ذو المروءة ، وخلاصتها أن الكويت — أواخر الخمسينيات — بكل ما كانت تعانى من قلة الموارد وكثرة المطالب ، لم تكن تقبض يدها عن العون فى الأزمات ، ثم كانت « العربى » يدا مبسوطة مفتتح كل شهر ، بزاد ثقافى نقى وفير .

ثم نتأمل المحتوى — فى هذا العدد الأول — لنكتشف من خلاله محاور

الاهتمام ، من الناحية الموضوعية ، وجهات الكاتبين ، من ناحية الانتماء الإقليمى ، لنختبر على ضوء هذين المحورين ، إلى أى مدى كانت « العربى » من العرب ، وإليهم ...

لقد توالت الموضوعات على هذا الترتيب :

١ ــ تحية إلى جيش التحرير الجزائرى (استطلاع ومقابلات مع مقاتليه) .

٢ ــ القومية العربية كما ينبغى أن نفهمها : محمد أحمد خلف الله .

٣ ــ الزيت أو الذرة : أحمد زكى .

٤ ــ قصة ٣٢ مليون نخلة تنتج أحلى تمور العالم (استطلاع مصور عن العراق) .

٥ ــ التطور والثورة يتآخيان فى العمل لخير الإنسان : كامل عياد ، أستاذ فى كلية التربية بالجامعة السورية .

٦ ــ صلاح الدين : عباس محمود العقاد .

٧ ــ التبادل الثقافى بين الشرق والغرب : جميل صليبا .

٨ ــ آن للعرب أن يستردوا أمجادهم (حوار) فيليب حتى (طليعة المؤرخين العرب) .

٩ ــ البحرين : هذه الجزيرة تجمع أربع حضارات قديمة .

١٠ ــ وقفة فى معرة النعمان على قبر أبى العلاء : زكى المحاسنى .

١١ ــ غيرة : (قصيدة) حسن كامل الصيرفى .

١٢ ــ الحقيقة المرة (قصيدة) للشاعر العراقى أحمد الصافى النجفى .

١٣ ــ الإذاعة العربية أقوى سلاح لتوحيد الوطن العربى : فاروق خورشيد .

١٤ ـــ القاهرة فى منتصف الليل (استطلاع) .
١٥ ـــ نجاح مائة فى المائة (قصة) محمود تيمور .
١٦ ـــ شيطان فى صورة شجرة (القات) محمد محمود الزبيرى .
١٧ ـــ المسرح العربى فى خطر : أنور محمد .

هذه أهم عناصر العدد الأول ، أو مكوناته الثقافية . وهناك عناوين ثابتة قد تعمق الإحساس بالمغزى ، مثل « أيها العربى إعرف وطنك » ، « العلم والطب » . وفى دراسة مركزة[٣] ، من موقف الخبرة المباشرة يقول كامل زهيرى عن مجلة العربى أنها ماكانت لتولد وتستمر « لو لم يتوفر لها المثلث الذهبى من حرية ، وعلاقة حميمة بالقارىء ، وإدراك ذكى للأحداث » .

وقد يفسر صاحب الدراسة « الحرية » بمفهومه الخاص ، وهذا حقه ، فيقول عن هذا العنصر الذى جعله أول أضلاع مثلثه الذهبى : « فقد أدرك مخططو العربى قبل إنشائها أن حرية العربى عنوان حرية الكويت ، وقد أخذت حرية العربى من حرية الوطن ، وشاع هذا الحماس للحرية بنوع من السماحة الفكرية ، التى تحفظ استقلالية الكاتب ومكانته الأدبية وزهوه بما يكتب » . ويقول كامل زهيرى أيضا أن العربى ، فى توجهها ومحتواها قد احتضنت « الحلم العام » للمثقف العربى ، وللأمة العربية ، وللوطن الكويتى على سواء . غير أننا نشير إلى وجه آخر من وجوه استخدام تلك الحرية المشار إليها استخداما إيجابيا فى صالح تنمية الكوادر الثقافية العربية ، وتنمية الحس القومى المشترك ، القائم على تقارب الأفكار ، وانحسار مساحة المجهول ، واتساع دائرة المعلوم بين أبناء الأقطار العربية ، فقد كانت العربى تستكتب ، وتستقبل المقالات والأعمال الإبداعية من أى قطر ، ومن أى كاتب ، فمع أحقية المشاهير وأصحاب الخبرة فى أن يكون لهم اعتبار خاص ، فإن المحاولات الجديدة وجدت

لها على صفحات العربى فرصة عادلة للإعلان عن نفسها[٤] ، ويقول كامل زهيرى عن الباب الشهرى « أيها العربى : اعرف وطنك » إنه صيغة مبتكرة ميزت العربى عن كافة المجلات الشهرية الثقافية ، ويتخذ من تحليل محتوى العدد الأول مؤشرا على حجم هذا الباب ، وأهميته ، ثم يستخرج دلالته ، فيلاحظ أن به خمسة « استطلاعات » أو تحقيقات مصورة : واحد عن الكويت ، وثان عن القاهرة بالليل ، وثالث عن نخيل العراق ، ورابع عن شجرة القات ، وخامس عن جيش التحرير الجزائرى . وقد ظل الاستطلاع بابا ثابتا فى عهد أحمد زكى ، وأحمد بهاء الدين ، ومحمد الرميحى فى حجمه ، وأهميته ، ورسالته ، التى يجملها زهيرى فى قوله : « إن الاستطلاع المصور ، وتحت شعار « أيها العربى اعرف وطنك » لعب دورا ثقافيا وتثقيفيا ، لأنه أشبع حاجة القارىء العربى الشغوف الذى كان فى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ، يسمع حديثا مدويا وملحا عن القومية العربية ، والعروبة ، وسهلت المجلة للقارىء أن يسافر على الورق بين ربوع الوطن العربى ، ويكتشف خفاياه وأركانه وجوانب من الثقافة والعادات والتاريخ والمكان . فهو ينتقل مع العدسة المصورة ، ويرى باللون ــ وقد يكون لأول مرة ــ جربة ، أو سد مأرب ، أو موريتانيا أو زبيد ، أو ظفار ، أو جيبوتى أو تافرا ورت ، أو جزيرة سوقطرة ، أو أماكن غيرها يندر الوصول إليها أو يتعذر » .

هذا كله حق ، ولعله يحتاج إلى شيء من التوضيح ، فهذه الاستطلاعات ليست مجرد تعريف ، أو سياحة بالكاميرا ، إنها سياحة واعية ، موجهة بنائيا لتنقية الواقع العربى ، وتقوية الشعور الجماعى القومى ، وتنبيه الأفكار إلى السلبيات ، وتأكيد الوحدة الشعورية العربية . إن استطلاعا عن جيش التحرير الجزائرى لا يمكن أن يدخل فى باب السياحة بالصورة ، وكذلك القات

أو نخيل العراق ، أو موريتانيا .. فكل معرفة فى هذه المجالات هى تحريض على فعل ، أو دعوة للامتناع عن فعل ، وتوسيع لمساحة الوطن فى الضمير العام ، والوعى .

وكما كان مفهوم الحرية يتسع لطرح الأفكار ، فكذلك كان يتسع لإبراز كل الأقطار العربية من زاوية حفية محبة ، ويتسع لاستكتاب أهل المعرفة أينما وجدوا من بلاد العرب ، فكانت تنمية الكوادر الثقافية من خلال التقاء الأقلام العربية من كل الأقطار على صفحات العربى ، مناظرا ومكتملا بتنمية الثقافة ذاتها ، كما يعكسها المحتوى الذى نجد ملامحه الثابتة منذ صدور العدد الأول .

وتكتمل تحليلات كامل زهيرى بشهادة أحمد بهاء الدين ، رئيس التحرير الثانى لمجلة العربى ، فى مقالته الوداعية ، أو شهادته على تجربته مع المجلة وما يساندها من أجهزة ثقافية ، إذ يقول : « كان مفتاح نجاح هذه المطبوعات الثقافية شيئا أساسيا : إنها خالية تماما من أى رائحة دعاية ما ، أو توجيه ما ، إنما هى ثقافة للثقافة ، ولولا ذلك السطر النحيل الذى يقول إنها صدرت عن كذا بالكويت ، فى مكان غير بارز ، لما عرف القارىء الجديد فى أى بلد صدرت »(٥) ، ثم يمضى الزمن ، يتدفق لا يتوقف ، ليصل « العربى » إلى العدد رقم (٣٨١) .

ويطرح آخر أعداد « العربى » ظهورا فى عواصم الأمصار العربية ، وقد استحكمت المحنة وألقت بكل قتامها ، يحمل تاريخ أغسطس (آب) ١٩٩٠ فيكون بظهوره أول وأقدم شاهد صدق على أن هذه المجلة الثقافية الجامعة أولها كآخرها ، فهى مجلة كل العرب ، يحررونها ، ويقرؤونها ، لا تنحاز لغير الثقافة الواعية النقية ، فلا إقليمية ، ولا حتى الدعاية المقبولة للبلد الذى يتحمل تكاليفها ، ولا أفضلية لكاتب على آخر إلا بمستوى ما يكتب استنادا لطاقة

المجلة : على الغلاف الأول لهذا العدد صورة فتاة يمنية ، رمز اليمن العصرية الناهضة ، وتحت الصورة تعليق يدعوك إلى موضوع بالداخل ، عن « جامعة صنعاء : اشعاع حضارى من بلاد التاريخ العريق » وفى لقاء محرر الاستطلاع بمدير جامعة صنعاء الدكتور عبد العزيز المقالح ، يسأله عن رؤيته للجامعة وهى تخطو نحو أبواب القرن الحادى والعشرين ، فيذكر جهود البناة الأول ، ويأتى ذكر ما بذلته الكويت فى السياق ، فى مدى سطرين ، ولكنهما سطران يحتويان سر إنشاء الجامعة أصلا ، ويحولان الأمنية ــ الحلم ــ إلى حقيقة ، سطران يحتاجان إلى تأمل وجهد ، لنرى كم من ملايين الدنانير تكلفت دولة الكويت ، وكم من الجهود بذلت لإنشاء هذا الصرح العلمى الثقافى ، ولعلها لم تفكر طويلا فى الحصول على هذا التمن « الباهظ » ، سطرين قالهما مسئول الجامعة الكبير لمجلة كويتية ، سعت إليه ، لتقدم تعريفا بمؤسسته إلى القارىء العربى ، عبر أوسع الدوريات العربية انتشارا .

قال الدكتور المقالح : « كانت البدايات صعبة عند إنشاء الجامعة ، وقد استغرقنا سنوات طويلة فى استكمال البنية الأساسية التى تمثلت فى استكمال المنشآت والمعامل والمرافق اللازمة للجامعة ، ولا ننسى هنا فضل دولة الكويت التى ساهمت بدعم كبير للجامعة ، تمثل فى منشآت أقامتها كهدية للشعب اليمنى ، وتكفلت برواتب أعضاء هيئة التدريس المتعاقد معهم من الخارج » ..

وكما كان الغلاف الأول عن اليمن ، فقد كان الغلاف الأخير من العراق ، لوحة زيتية للفنان العراقى راكان دبدوب ، عن « ليلة الحنة » فأية مفارقة ، وأية مصادفة ؟!

وتتأكد المفارقة ، وغرابة المصادفة معا ، فى افتتاحية العدد ، التى كتبها محمد الرميحى تحت عنوان « سفر الصيف وإكرام الضيف » فيسوقه تداعى الحديث

إلى كرم العرب ، ووفاء العرب ، وحقوق الضيوف تحت حماية المضيف ، ويقتبس من شعر حاتم قوله أن المال غاد ورائح ، « ويبقى من المال الأحاديث والذكر » ..

وليس من مهمة هذه الصفحات أن تستعرض محتوى العدد أو تعرف بكتّابه ، وكل ما أردناه أن نؤكد من خلال تحليل المحتوى رسوخ التوجه القومى للمجلة ، وثبات الهدف الحضارى الذى تحتضنه رسالتها الثقافية ، فقد ساهم من العراق (غير لوحة الغلاف الأخير) يوسف الصائغ ، الفنان والشاعر المعروف ، بمقالة من دفتر ذكرياته ، وفؤاد التكرلى بقصة قصيرة . ومن المغرب الدكتور مصطفى رمضانى ، والدكتور عبد الرحيم الرحمونى ، ومن سورية عبد الكريم فتح الله ، وسمير عبده ، ومن البحرين الدكتور محمد جابر الأنصارى ، والقاص محمد عبد الملك ، ومن مصر محمود المراغى ، ومحمد سيد أحمد ، والشاعر أبو سنه ، والدكتور عبد الستار ابراهيم ، ومن فلسطين الدكتور محمد على الفرا ، والدكتور حسن عباس ، والدكتور حسن فريد أبو غزالة ، ووليد أبو بكر ، وحسن سعيد الكرمى ، وطاهر سكر القيسى ، والدكتور عبد الله سليم أبو رويضة ...

هناك أسماء أخرى مشاركة ، لا نعرف يقينا البلاد التى جاءت منها مساهماتها ، وقد كان من دأب « العربى » أن يعرف بموطن الكاتب إذا كان اسمه جديدا على قارىء المجلة ، فينسبه أولا إلى أمته العربية ، ثم إلى الموقع الذى نشأ فيه ، فهذا من القطر العربى المغربى ، وذاك من القطر العربى السورى ... الخ . والمهم أننا فى هذا الرصد السريع لأسماء المشاركين فى تحرير أول إصدار للمجلة ، والمشاركين فى تحرير العدد الذى أعقبه التوقف ، لا نجد ـــ بأى درجة ـــ انحرافا عن رسالة الجماعية العربية ، ومبدأ تفضيل الكتابة المتميزة

أيا كان صاحبها ، ومهما كان موقعها ، وإعطاء الأدباء والمفكرين من جميع أقطار العروبة فرصا متكافئة فى المشاركة ، لم تختلف سياسة مجلة العربى فى هذا الموقف المبدئى حين صدرت عام ١٩٥٨ ، وتعداد الكويت بكل من عليها من البشر (كويتيين وغير كويتيين) لا يتجاوز المائتى ألف نسمة إلا قليلا ، وتمثل مدارس المرحلة الثانوية وما يواريها أعلى مستوى تعليمى فى نظامها الدراسى الداخلى (بصرف النظر عن المبعوثين للدراسة الجامعية خارجها) لم تختلف سياسة مجلة العربى فى هذا الموقف المبدئى عنها ، وهى تصدر عام ١٩٩٠ مستندة إلى تكوين سكانى يتجاوز المليونين (حسب توقع المجموعة الإحصائية السنوية الصادرة عام ١٩٨٨ يكون سكان الكويت عام ١٩٩٠ من الكويتيين ٨٢٧ ألفا ، ومن غير الكويتيين مليونا و ٣١٦ ألفا ، وبذلك يصل التعداد العام إلى مليونين و ١٤٣ ألف نسمة) ولم تختلف العربى كذلك وهى تصدر عام ١٩٥٨ وليس فى الكويت كلها من يحمل درجة الدكتوراه فى أى تخصص (باستثناء عدد قليل من حملة بكالوريوس الطب ، وهو غير ما نعنى بلقب الدكتور) عنها وهى تصدر عام ١٩٩٠ ولديها ثلاث مؤسسات أو نظم للتعليم العالى : الجامعة وبها تسع كليات نظرية وعملية وكلية للدراسات العليا ، ووزارة التعليم العالى ولديها كليتان وعدد من المعاهد العليا للمسرح والموسيقى والتربية الرياضية ، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية . هذا فضلا عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، والمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، وغير هذا كثير من الأجهزة المعاونة فى مؤسسات أخرى . ويكفى أن نذكر هنا رقما له دلالته ، أمدتنا به المجموعة الإحصائية السنوية ، الصادرة عام ١٩٨٨ ففى هذا العام ، كان فى جامعة الكويت وحدها ، من الكويتيين وحدهم (فضلا عن المؤسسات العلمية الأخرى المشار إليها آنفا) ١١ أستاذا ، و ٥٥ أستاذا

مساعدا ، و ٢٢٢ مدرسا ، والمجموع ٢٨٨ من حملة درجة الدكتوراه فى تسعة تخصصات كبيرة (بعدد كليات الجامعة) وأضعاف هذا العدد من التخصصات الدقيقة . ألم يكن فى استطاعة المجلة أن تستكتب هذه الأعداد الوفيرة التى درست فى أرقى جامعات العالم ، وأن تجزل لها المكافأة ؟ ولكن هذا يغير من « شكل » العربى ، ومحتواه ، ويؤثر ــ سلبا ــ على ما حدد له من رسالة ثقافية أن يكون مركز لقاء للفكر العربى ، على مساحة الأرض العربية ، وأن يكون بوتقة تصهر جميع الأقلام فى قلم واحد عربى الوجه واليد واللسان ، متوجهة إلى قارىء واحد هو عنوان المجلة ذاتها : « العربى » .

لقد أشارت دراسة كامل زهيرى إلى مثلث ذهبى يمثل عناصر النجاح للمجلة ، فبعد الحرية تأتى العلاقة الحميمة بالقارىء ، والإدراك الذكى للأحداث ، وإننا نستطيع أن نضع هذين العنصرين تحت عنوان واحد هو متطلبات التنمية الثقافية فى العالم العربى ، ومتابعة وإذكاء التقدم باطراد . وإلى هذا المعنى نجد ــ فى مجال التراث العربى مثلا ــ تكتفى المجلة فى زمن أحمد زكى (الذى رأس تحرير ٢٠٤ عددا) ــ بالاتجاه إلى تقديم التراث والتعريف به ، أما فى زمن أحمد بهاء الدين (وقد رأس تحرير ٨٠ عددا) فقد تجاوز التعريف إلى التقويم ، أو المناقشة والتأمل والاقتراح ، وعلى حد تعبير بهاء الدين « حتى يعود النبض الحىّ إلى كل ماهو صالح وأساسى » . وفى مجال آخر مثل الاستطلاعات المصورة ، فإنها لم تعد تقدم مناطق أو دولا معزولة ، أو فرادى فى حدود التعريف بها ، وإنما تقدمها من خلال « علاقات » بما يكشف عن سياسات وخطط ، فهناك سلسلة استطلاعات عن « المضايق العربية » و « البحار العربية » ويقول بهاء الدين كاشفا عن رؤيته لهذه الإضافة : « وهى عناوين تستدعى بطبيعتها المزج فى الاستطلاع بين التقرير الجغرافى والسكانى

إلى الآفاق الاستراتيجية والسياسية والتكاملية فى العالم العربى » .

قد يؤخذ هذا ــ مهنيا من وجهة نظر الصحفى ــ أنه نوع من الإدراك الذكى لما يحتاجه القارىء ، أو : كيف تعزف النغمة المناسبة ــ ولكنه من وجهة ثقافية قومية ، هو تنمية لحس المثقف العربى ، وبناء فوق المرحلة الأولى ، بناء مستمر يعلى من الأساس ولا ينكره . كما كان صنيع محمد الرميحى (رئيس التحرير الثالث) بناء إضافيا فوق مرحلتين ، لا يتنكر لأى منهما ، بل ينطلق إلى أفق جديد ، هو إضافة ودعم للسابق ، لكنه بتعبير كامل زهيرى ، علاقة حميمة بالقارىء وإدراك ذكى للأحداث وكما نتصوره : إضافة طبيعية لخطة التنمية الثقافية ، واكتساب قارىء جديد هو أكثر وعيا ، وأقوى تنوعا ، من قارىء الخمسينيات ، الذى بدأت به ومعه المجلة ، ومن هنا شهد عصر الرميحى ميلاد شعبتين مستقلتين : الأولى فى اتجاه القارىء الأكثر ثقافة ، الذى يحتاج إلى رؤية كاملة ، وشاملة فى موضوع واحد ، فكان ميلاد « كتاب العربى » والثانية : القارىء الصغير ، الطفل ، الذى ينعقد على نهوضه وتنويره أمل المستقبل بعد أن أهدرت آمال كثيرة للأمة العربية ، علقت بأعناق الكبار ، فلم يكونوا على درجة الوفاء بها ، وحسن الأداء لما تتطلبه منهم ، فكانت « العربى الصغير » ، محاولة أولى نادرة ، فى بابها ، فلم يعهد فى الأجهزة الثقافية « الرسمية » أن تصدر مجلات للأطفال ، وهى تفكر فى المثقفين ، لكن الكويت صنعت ذلك ، لكل الأطفال العرب ، وبهذا أصبحت « العربى » مؤسسة ، ولعلها تستكمل رحلتها بتصور جديد ، ظهرت بشائره . ستكون لنا وقفة مع كتاب العربى ، والعربى الصغير ، حين نتعرف على مستويات الخطاب الثقافى الكويتى ، وكيف توجه إلى مجموع الأمة العربية .

ثم نصل إلى مؤتمر الأدباء العرب الرابع ، وكانت رياح القومية فى عنفوانها ، بل كان انبعاث تلك المؤتمرات إحدى الاستجابات الثقافية والفكرية لتلك الصحوة القومية الرائعة ، والشعر الكويتى ـــ وهو الثقافة السائدة فى الكويت حتى ذلك الحين ـــ قومى فى صميمه ، فى مجموعه وتفاصيله ، وقصائد أحمد العدوانى ، وأحمد السقاف وأبناء جيلهما ، ومن قبلهم أشعار صقر الشبيب ، وخالد الفرج وأبناء جيلهما قومية كذلك ، ولم يكن التوجه القومى الشامل قد استطاع أن يسفر عن نفسه ثقافيا ، وبشكل مباشر ، حتى ذلك الوقت (١٩٥٨) إلا فى أمرين واضحين ، يضافان إلى هذا الإبداع الشعرى الخاص لشعراء الكويت :

الأول : تأسيس الصحافة القومية التى تتبنى الموقف القومى صراحة وتدعو إليه وتدافع عنه ، وفى مقدمتها مجلة الرائد (١٩٥٢) ومجلة الفجر (١٩٥٦) ومجلة الشعب (١٩٥٦) وتوجهات هذه الصحف واضحة فى اختيار أسمائها ، كما تظهر فى القائمين على أمرها ، ونوعية ما تنشره ، وهو بعض مافصلناه فيما كتبنا عن هذه المجلات[٦] وقد كانت هذه المجلات بدورها صدى لتجمعات قومية أخذت شكل الجمعيات أو الأندية (مثل نادى المعلمين الذى أصدر مجلة الرائد ، وهو نواة جمعية أو نقابة المعلمين الآن) .

الثانى : تأسيس دائرة الأنباء والصحافة (وهى نواة وزارة الارشاد التى تحمل الآن اسم وزارة الإعلام) ومن بين أقسامها قسم التراث ، وقد وضع هذا القسم خطة مبكرة لتحقيق مخطوطات التراث العربى ، ونشرها ، وقد بدأ فعلا بتحقيق عدد من الدراسات الحضارية واللغوية ، ونشرها بدءا من عام ١٩٥٥ كما سنرى .

وإذاً فإن مظاهر الثقافة القومية فى الكويت أصيلة ، مستمرة ، وكانت « العربى » بمثابة إعلان موسع عن شيء موجود بالفعل ، كما كانت استضافة المؤتمر بمثابة خطوة أخرى على نفس الطريق ، واحتفال اتفاقى (بالمصادفة) فى عاصمة « العربى » بمناسبة ظهور العدد الأول .

هى مجرد مصادفة — لا شك — أن ينعقد المؤتمر فى نفس الشهر ، ومصادفة أيضا ، ولكنها أشبه بالعمد — أن يكون هذا المؤتمر الرابع تحت شعار « البطولة فى الأدب العربى » نستطيع أن نعود إلى العدد الممتاز — كما سجل على غلافه — الذى أصدره سهيل إدريس من مجلة « الآداب »(٧) ويحوى وقائع المؤتمر ، وتوصياته ، وبعضا من بحوثه وقصائده ، وقد حضرته تسع عشرة دولة عربية ، ووفد من الجامعة العربية ، تكلم باسمه الأستاذ سعيد فهيم ، وذكر أن الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، تعتبر التقافة والإيقاظ القومى من أسمى رسالاتها ، ومن الطريف حقا ، وهو يلقى كلمة الجامعة فى مؤتمر عن البطولة أنه « حث المؤتمرين على أن يهتموا بالعمل على وصل النهضة الأدبية بتراثنا ، وتوجيه العناية بالأدب الخاص بالأطفال »(٨) . فكأنما كان يصع أصابعه على نقاط رئيسية فى رسالة الكويت الثقافية ، التى بدأت بالاهتمام بالتراث ، وتشعبت — مع إطراد التجربة — ليأخذ الطفل العربى أقصى مدى أتيح له من الاهتمام ، حتى نجد دراسات عن الأطفال ضمن السلاسل الثقافية كلها (عالم المعرفة ، عالم الفكر ، المسرح العالمى ، كتاب العربى ، الثقافة العالمية) ثم بلغت ذروتها بصدور العربى الصغير (عام ١٩٨٦) فى مجلة شهرية كاملة بعد أن كان مجرد ملحق يوزع مع « العربى » مجانا .

لسنا بسبيل عرض أو تحليل ما ألقى فى المؤتمر من بحوث أو ابداعات فنية ، لكننا نشير إلى أربعة أمور :

١ ــ فى التوصية الخامسة من بين توصيات المؤتمر إشادة صريحة بتلك الحرية المتاحة للحوار الثقافى فى الكويت ، تلك الحرية التى أشار إليها من قبل كامل زهيرى فى معرض تنويهه بالطابع التنويرى فى محتوى « العربى » ودوافع إصدارها أصلا ، وما تقوله التوصية الخامسة هو أن المؤتمرين « ينتهزون فرصة انتهاء الدورة الحالية ليشكروا لحكومة الكويت حرصها على تأمين الصورة المثالية لمؤتمر الأدباء العرب ، بما ساد هذه الدورة من الحرية الكاملة فى إبداء الآراء ، وإدارة المناقشات ، وبما أتيح فيها من الفرص المتساوية بين أصحاب البحوث والمعلقين والمناقشين على السواء فى جو من الحرية الفكرية المطلقة » .

ان تكرار الإشارة إلى « الحرية الكاملة » و « الحرية الفكرية المطلقة .. » فى فقرة واحدة ، قصيرة ، لا يمكن أن يكون من قبيل « الكلاشيهات » أو العبارات الجاهزة التى تجرى على أقلام المثقفين دون قصد أو تحديد للمعنى الحرفى ، لابد أن شيئا ما ، كان لافتا تماما ، فى دورة المؤتمر فى الكويت ، وأنه استحق التنويه ، من حيث نبه إلى مناخ عام قادر على تحمل أعباء عمل ، أو رسالة معينة .

٢ ــ إن إدارة المؤتمر الكويتية ، المسؤولة عن الدعوات وكافة مراحل العمل ، وهى تعرف جيدا مشكلات المثقفين العرب مع حكومات بلادهم ، ومابين بعض هؤلاء المثقفين والأجهزة الرسمية من جفوة وتنافر ، لم تكتف بمن رشحتهم تلك الأجهزة ليمثلوا مثقفى بلادهم ، وإنما قامت بتوجيه دعوات شخصية ، لمن تعرف أنهم لن يكونوا من بين تلك الوفود الرسمية ، وتعرف أن وجودهم يكسب المؤتمر مزيدا من الجدية وسلامة التوجه ، وتعرف أيضا أن غياب هؤلاء الأعلام بأشخاصهم فيه تجاوز

لحقائق لا يصح تجاوزها ، وقد ذكر رجاء النقاش[١٩] وذكرنا بأن الكويت — فى ذلك العام — وجهت دعوة شخصية لأحد رواد النقد الحديث وهو محمد مندور ، الذى لم يكن ضمن الوفد المصرى — الذى اختاره يوسف السباعى ، برياسة مهدى علام ، ويذكر النقاش فى مقاله أن مندور — طيب الله ثراه — اكتشف أنه ممنوع من السفر أيضا ، وقد استطاع — فى النهاية — أن يسافر ويشارك . لابد أن هذا ومثله قد تكرر مع أشخاص كثيرين لم نعرف قصتهم بعد ، ولكن هذا مسلك كويتى مستمر فى الحقيقة : لا تحجر على رأى ، ولا تقف عند ما تريده « الحكومات » لا بالنسبة لنفسها ، ولا لغيرها . ونستطيع أن نعود إلى قوائم الذين استعانت بهم فى وضع الخطة الشاملة للثقافة العربية (وسيأتى الحديث عنها) لنجد أن نسبة عالية منهم من مثقفى مصر ومفكريها (بعضهم من العاملين فى الكويت وأكثرهم وجهت الدعوة إليهم فى القاهرة) .

ولم يكن قطع العلاقات السياسية (فى ذلك الوقت) ولا الجفوة بين الحكومتين مبررا ، أو مشجبا ، يعلق عليه التجاهل أو التغافل عن هذا القطاع الضخم المؤثر من المثقفين .

٣ — أن أحد البحوث التى ألقيت ونوقشت فى المؤتمر قام به عبد الرزاق البصير ، وهو واحد من المثقفين الكويتيين ، وكان بحثه بعنوان : « البطولة فى الشعر الحديث »[١٠] ، وفى هذا البحث الحاح على أن الثقافة حق للشعب ، لأنه لا بطولة دون ثقافة ، « إذ البطولة تنبثق عن الإيمان بالهدف » وهذا الإيمان لا يتحقق للفرد أو للجماعة إلا إذا أدركت قيمة الحياة ، وهذا لا يكون إلا إذا حصل الشعب على نوع من الثقافة » . ويعود إلى مبدأ ضرورة « جماعية » الثقافة وأنها حق

من الثقافة » . ويعود إلى مبدأ ضرورة « جماعية » الثقافة وأنها حق للشعب من زاوية أخرى حين يقرر أن الإضافة الحقيقية التى أضافها الشعر العربى الحديث ، وخطا بها خطوة أبعد من شعرنا القديم هى تصويره وتمجيده وريادته لبطولة الشعب « فلم يعد أمر البطولة مقصورا على القادة والحكام ... وهذا هو شعرنا الحديث يتحدث عن البطولة الشعبية فى الجزائر وبورسعيد ، فيحسن الوصف ، ويكشف عن معدن العروبة الأصيل » .

ان عبد الزراق البصير هنا يعكس ملمحا أساسيا فى التصور العام لدى الشعب الكويتى ، ولدى مثقفيه بصفة خاصة ، لمفهوم العروبة ، والبطولة ، والعمل ، والمستقبل ... فهذا كله من حق الشعب العربى ، ولا يصح الاكتفاء فى تصويره أو تصوره بالحديث عن القادة والحكام ...

وفى بحث البصير ، الموجز ، اشارتان ، أخذت بهما التوصيات ، وليس هذا مايهمنا من أمرهما الآن ، ولكن يعنينا ما تدلان عليه من صدق التوجه ، ومؤشرات العمل فى المستقبل . الإشارة الأولى عن أهمية تحقيق وطبع ونشر التراث العربى القديم ، لما لهذا من « الأثر البالغ فى تطوير الاحساس بالعزة والانتقاض على المظالم » . أما الإشارة الثانية فهى عن أهمية « اختيار نشيد قومى عربى يصبح شعارنا جميعا فى المناسبات المختلفة ، على أن يكون مصورا لأهدافنا ، معبرا عن أمانينا ، مفصحا عن بطولاتنا ، وأن هذا النشيد سيكون بمثابة إيذان بسعينا الحثيث نحو الوحدة الشاملة وهى آتية لا ريب فيها إن شاء الله » . وقد لا نشارك البصير فى تفاؤله العريض بأن النشيد القومى سيكون محركا فاعلا فى التوجه نحو « الوحدة الشاملة » ، ولكننا نقول إنه ـــ فى الحد الأدنى ـــ لو أن هذا النشيد تحول إلى حقيقة شائعة لخفف من غلواء الإقليمية

ومن شعارات العصبية المعلنة فى ملاعب الكرة ، ومهرجانات المسرح ، والسينما ، حين ترتفع أناشيد العواصم والحكام ، فيحدث ما نعرفه جميعا ونأسى له جميعا .

٤ — وقد انتهى المؤتمر بوضع توصيات — كما هى العادة — لن يتحول منها إلى عمل إلا القليل جدا . كما هى عادتنا أيضا ، بل قد لا يعود إليها أحد إلا حين يقترب المؤتمر التالى ، ليضمّن شيئا منها كلمة الافتتاح ، أو يجدد التوصية بها ، لكن المثير للتأمل حقا أن هذه التوصيات التى يفترض أنها موجهة إلى الأجهزة الثقافية فى الجامعة العربية ، والحكومات العربية ، ثم إلى كافة المثقفين والأدباء العرب ، هذه التوصيات كأنما اعتبرتها الكويت موجهة إليها قصدا ، أو أنها « دليل عمل » عربى عام ، على من يستطيع القيام به أن ينتدب نفسه ويتقدم .

أ : فمن توصياته فى مجال التأليف والنشر دعوة المتخصصين من الأدباء فى أدب الأطفال إلى العناية بتثقيف الطفولة ، عن طريق التاريخ العربى بكل ما يهذب النفس من المثل العربية العليا .

ولقد كانت الكويت ، دعامة ومقرا ، لمؤسسة الإنتاج البرامجى المشترك(١١) ، لدول مجلس التعاون الخليجية ، التى جعلت من صميم رسالتها إعداد برامج الأطفال العرب ، كل العرب ، فكان برنامجها الحافل « افتح يا سمسم » وغيره ، وان محتوى هذا البرنامج ، ولغته ، ليدل على أصالة التوجه القومى ، والاهتمام بتكوين الطفل العربى علميا وسيكولوجيا فى مستوى الوعى بالماضى ، والتفتح للمستقبل ، والتفاعل مع الحاضر . كما كان إصدار مجلة « العربى الصغير » إسهاما مهما جدا فى هذا السبيل كما سنرى فى فصل قادم ، ولسنا نشير إلى الاهتمام بمسرح

الطفل فى الكويت ، أو مجلات الأطفال التى تصدرها المؤسسات الخاصة ، إننا نحصر الرصد وتحليل التوجه معتمدين المؤسسات الحكومية وحدها . كما ينبغى أن نضيف كيف أن الاهتمام بالطفل (العربى) لم يغب عن مخططى السلاسل الثقافية ، كما سنرى فى موضعه .

ومن التوصيات العامة التى قررتها فى هذا المجال التوصية الخامسة ، ويقول نصها « مناشدة حكومات الدول العربية فى رعاية المتعلمين من أبناء فلسطين الذين لا يجدون عملا ، تخفيفا من حدة البطالة التى يخيم شبحها على الجزء الباقى من أرض فلسطين » وإن إحصائيات السكان فى الكويت لتدل بيقين لا يقبل التردد كم كان يعيش فى الكويت من أبناء فلسطين ، وماذا كانوا يشغلون من وظائف ... الخ .

أما التوصية الحادية عشرة فتدعو إلى أو تتمنى « إنشاء مصرف ثقافى عربى ، يقوم بتمويل المشروعات الثقافية فى البلاد العربية ، والمساهمة فى طبع الكتاب العربى ونشره على أوسع نطاق » .

هذه الأمنية ، الحلم ، حققتها الكويت بإنشاء « مؤسسة الكويت للتقدم العلمى » التى تمول البحوث ، وتمنح الجوائز على المستوى الإقليمى الكويتى ، والقومى العربى فى الآداب ، والعلوم ، وتصدر المطبوعات كما أن سلسلة « عالم المعرفة » التى يطبع العدد الواحد منها خمسين ألف نسخة تنتشر على مساحة الوطن العربى ، كان إسهاما فى « طبع الكتاب العربى ، ونشره على أوسع نطاق » فى أهم الموضوعات ، وأنقى الأهداف ، وأرخص الأسعار .

ب — ومن توصيات المؤتمر (لجنة الترجمة) أن تكون الترجمة أساساً نقل

الروائع العالمية من مختلف الأقطار إلى اللغة العربية ، والعمل على تصحيح أخطاء الترجمات السابقة .

لقد تولت الكويت ، فيما يتصل بالفن المسرحى بخاصة ــ أداء هذا الدور بكفاءة مشهودة ، إذ قامت على تجنيد المترجمين ، حتى تم نقل مائتين وخمسين مسرحية عالمية ، من لغات مختلفة ، منذ أقدم العصور ، وحتى اليوم ، إلى اللغة العربية ، ولم تتقيد بتجاوز ماسبق ترجمته (مثل مسرحيات شكسبير وموليير وبرخت مثلا) وإنما قدمت مكتبة مسرحية شاملة ، واصلت إضافاتها الشهرية ، حتى اليوم الأول من أغسطس المشهور ، هذا فضلا عما نجد من ترجمات فى السلاسل الأخرى ، مما هو معروف .

جـ ــ أما لجنة التراث ، فيتبنى المؤتمر توصيتها الوحيدة : « يوصى المؤتمر جامعة الدول العربية بتوسيع اختصاصات معهد المخطوطات الموجود بها ، بحيث يشمل خدمة التراث بتحقيقه ونشره ، كما يوصى بجمع الفهارس المكتوبة لهذا التراث من جميع المكتبات العامة والخاصة فى كل قطر من الأقطار » .

وسواء كانت الكويت مصدر هذه التوصية ، أو لم تكن ، فقد كانت خطتها لتحقيق التراث ونشره قد بدأت تتجسد عمليا ، بصدور عدة أعداد من المعجم الضخم « تاج العروس » ، وكتب تراثية أخرى ــ كما سنرى ــ غير أنها فيما بعد أنشأت مركزا للمخطوطات فى الجامعة ، استطاع أن يصور (على أفلام) ليس فهارس المكتبات فى الأقطار المختلفة ، بل المخطوطات نفسها ، فى جستربيتى ، وبعض مراكز تركيا ، وجمع وفهرسة مخطوطات اليمن الخ . وفى الكويت الآن ثلاث جهات

تتولى العناية بالتراث فهرسة ، وتحقيقا ، ونشرا : جامعة الكويت ، المجلس الوطنى للثقافة ، مؤسسة الكويت للتقدم العلمى .

* * *

هذه ملامح بداية ، كانت فى الشهر الأخير من عام ١٩٥٨ ، وكانت الكويت فى ذلك الحين دولة محدودة السكان جدا . محكومة الاستطاعة المادية والإدارية ، ولكنها كانت تتطلع إلى القيام بدور عربى أصيل فى مجال الثقافة ، وكانت قد بدأت بالفعل ، بأن أصدرت مجلة العربى ، واستضافت مؤتمر الأدباء العرب الرابع ، وإنها لبداية ذات معان ... أكد الاستمرار والحرص على السداد أنها جديرة بكل الاهتمام والتقدير .

* * *

الهوامش والمراجع :

١ ــ طرحت مسابقة لاختيار اسم المجلة ، على مستوى الوطن العربى ، ففاز اسم « العربى » على « الخليج العربى » و « شاطىء الخليج » راجع مقالة بدر خالد البدر : مجلة العربى فكرة إصدارها وكيف ولدت ؟ فى العدد التذكارى بمناسبة مرور ٢٥ عاما : يناير ١٩٨٤ .

٢ ــ كانت افتتاحية العدد توضع تحت عنوان ثابت ، لم يتغير مع اختلاف رؤساء التحرير ، وهو « حديث الشهر » .

٣ ــ دراسة قدمها فى احتفال « العربى » بمرور ربع قرن على صدورها (الكويت ١٩٨٣) وهى بعنوان : « الدور الثقافى الذى قامت به مجلة العربى خلال ربع قرن ، مع تقويم للمجلة تبويبا وتحريرا وإخراجا » .

٤ ــ لصاحب هذه الدراسة تجربة لا ينساها ، فقد كان طالبا بالسنة الرابعة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة عام ١٩٦٠ وكان قد نشر عددا محدودا من القصص القصيرة فى مجلات القاهرة ، ثم أرسل واحدة إلى مجلة العربى دون سابقة ، وكانت تنشر لتيمور ومن فى مستواه من الكتاب ، ولكنها نشرت قصة « قلبى معك » فى عدد أكتوبر ١٩٦٠ ، لهذا الطالب ، وأرسلت إليه مكافأة تعتبر سخية جدا فى ذلك الوقت ، ومعها رسالة مشجعة من رئيس التحرير ..

٥ ــ أحمد بهاء الدين : حديث الشهر ، العربى : يوليو ١٩٨٢ وهذه سياسة ثابتة ولدت مع المجلة وفى حسبان المخطط لها . أنظر مقالة بدر خالد البدر المشار إليها سابقا .

٦ ــ فى كتاب : الصحافة الكويتية (كشاف تحليلى) منشورات جامعة الكويت ١٩٧٣ ، وكتاب : صحافة الكويت : رؤية بين الدوافع والنتائج ، منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ١٩٨٢ ، وكتاب : الصحافة والصحافيون فى الكويت ١٩٨٧ ، مشورات دار السلاسل بالكويت .

٧ ــ وقد خصص هذا العدد من الآداب لأبحاث المؤتمر ، وتوصياته (يناير ١٩٥٩) العدد الأول من السنة السابعة ، وقد عقد المؤتمر بالكويت (٢٠ ــ ٢٨ ديسمبر ١٩٥٨) .

٨ ــ مجلة الآداب (البيروتية) يناير ١٩٥٩ ص ٩٣ .
٩ ــ فى مقالة له بمجلة أدب ونقد : العدد ٦٣ نوفمبر ١٩٩٠ ــ ونضيف أن الناقد الكبير الدكتور عبد القادر القط كان ممن دعتهم الكويت دعوة شخصية كذلك .
١٠ ــ مجلة الآداب (البيروتية) يناير ١٩٥٩ ص ٢٦ ــ ٢٨ .
١١ ــ مؤسسة الإنتاج البرامجى المشترك إحدى مؤسسات دول مجلس التعاون الخليجى ، ومقرها الكويت ، وقد استعانت بفنانى وأدباء الوطن العربى أينما تحققت الكفاءة .

الفصل الثانى

الكويت : بعض الأسئلة .. بعض الوثائق

بعض الأسئلة :

حين يكون البحث عن « دور الكويت فى التنمية الثقافية العربية » فان البداية هى « الكويت » ..

لابد أن نملك تصورا واضحا بدرجة ما عن الكويت ذاتها ، ومدى قدرتها على صنع « دور » وأدائه ، لنتمكن بعد ذلك ـــ كخطوة تالية ـــ من التعرف على طبيعة هذا الدور ، وخصائصه ، أو توجهاته وملامحه ، لنقتنع بعد هذا التعرف بانتسابه الى صانعيه وصدوره صدورا طبيعيا عنهم، أو نحكم بأنه دور هجين أو منتحل أو ليس بدور أصلا ..

ولن تتمكن هذه الصفحات المحدودة (ولعله ليس مطلوبا بالحاح) من تقديم صورة تفصيلية لواقع الكويت عبر ثلاثين عاما أو تزيد قليلا وهى تخوض تجربة اللحاق بالقرن العشرين فى أهم منجزاته الحضارية ، فلا يكاد يقارب عقده الأخير حتى تكون الكويت ـــ كما وصفها صديق ظريف ـــ « دولة خمسة نجوم » .. (مستخدما وصف فنادق الدرجة الأولى ، وما تتسم به من أناقة ونظام وراحة وأمان ..) بدرجة قد تجعل البعض يميل الى تعليل ذلك الشعور الجارف الشديد المباهاة لدى الكويتيين بوطنهم أنه نابع مما يحقق لهم هذا الوطن من رفاهية وامتيازات مادية .. وأعتقد أن هذا تعليل ينم على الكسل فى البحث ، والقناعة بالاقوال القريبة والحاهزة والحقيقة أن الكويتيين طوال

مائتى عام لم يكن عندهم شيء من الرفاهية ، كان عندهم الجهاد المستميت فى سبيل أدنى العيش ، والغربة الطويلة على شواطىء أفريقيا وآسيا فى سفن بدائية غير آمنة ، والأوبئة الماحقة بين فترة وأخرى .. مع هذا تمسكوا بالوطن ، وتأصلت النسبة « الكويتى » لاحقة بأسمائهم قبل ظهور النفط بعشرات السنين .

لا بد أن هذه « المكابدة » قد اكسبتهم صلابة الصبر على الشدائد ، والرغبة فى الكسب ، وعلمتهم المرونة وحسن التأتى للأمور ، فهم دائما الأقل عددا ، فان لم يحسنوا استخدام الوقت ، وتوجيه الامكانيات ، وادارة ما يملكون .. لن يلتفت اليهم أحد ، ولن يبقى لهم شيء .

واذا كان الكويتيون بحاجة الى تعميق انتمائهم العربى فى نفوسهم ، وضخ مزيد من الدماء فى شرايين تواصلهم مع بقية أنحاء الوطن العربى ، فليس هذا بدافع من عودة أصول غالبيتهم الى قبائل الجزيرة العربية فحسب ، وقد لا يرجع الى كونهم ــ من حيث الموقع ــ على حافة القومية ، ومن شأن بلاد الحافة ، المواجهة لقومية أو قوميات أخرى أن يكون شعور الانتماء فيها ساخنا ، سحونة القلق على وجودها ، وانما (بالاضافة الى العاملين السابقين) لأن عددهم القليل ، مع ثرواتهم المتنامية يمكن أن يؤدى بهم الى نوع من العزلة ، ويضعهم فى صورة صاحب رأس المال المستغل ، وهى صورة كريهة لا تتفق وطبائع أهل الكويت البسيطة ، التى تحتفظ بالكثير من ملامح البداوة حتى بعد سكنى القصور والفيلات ، كما أن « العزلة » لا تناسب المزاج الكويتى ، لأنه مزاج انبساطى ، يحب الغناء ، والمرح ، وليس مصادفة أن فنون الترفيه من الرقص والغناء والموسيقى فى الكويت يتجلى فيها بوضوح هذا الطابع الجماعى .(١)

لا نريد أن نطيل فى هذا الجانب (السيكولوجى) فهو ليس هدفنا ، وانما

الهدف أن نمعن النظر قليلا فى « النسيج الاجتماعى » لنرى كيف استطاع أن يكتشف لنفسه دورا ثقافيا عربيا ، وكيف استطاع أن يؤديه بكثير من الكفاءة والنجاح .

وهنا نقطتان سلبيتا الدلالة ، وان بدت احداهما سلبية ، والأخرى عكس ذلك ، ونعنى بهما : قلة العدد ، ووفرة المال . وهذا صحيح ، فقد تدفق النفط وآتى ثماره وتعداد الكويت دون المائة ألف نسمة(٢) ، (وكان المقيمون من غير أبناء البلاد يقلون عن عدد الكويتيين بضعة آلاف) وعدد الكويتيين الى الآن دون المليون ، وان ارتفعت الأرقام الى ما يجاوز المليونين باضافة المقيمين العرب وغير العرب . والخلاصة أن عدد السكان — مهما تعاظم — لا يزال قليلا وبخاصة حين يوضع ازاء الدور الثقافى الذى تؤديه الكويت فى الوطن العربى . ولسنا نملك أرقاما محددة أو شبه محددة للدخل العام فى الكويت ، قبل النفط حين كان التعامل ، والثروات تحصى بالروبية الهندية ، وبعد النفط ، حيث التعامل بأرقام جليلة .. فمن ناحية يمكن أن يقال أن الطاقة السكانية فى الكويت أقل من أن تتحمل مسئولية خدمة ثقافية تستطيع أن تغذى بالمعرفة أمة متلهفة اليها ، تتجاوز مائة مليون من البشر .. كما يمكن أن يقال أن ثروات الكويت هى التى صنعت دورها الثقافى ، فليس لها من فضل غير أنها دفعت ، وهى مهما دفعت ، فان ما دفعته قليل الى جانب ما تملكه ..

وفى مجال الثقافة — فيما نرى — لا أهمية للعدد ، ولا يمكن توزيع الأدوار تبعا لاحصائيات تزايد السكان . قد يختلف « انتاج » الثقافة عن « صناعة » الثقافة ، فى بعض الأمور ، فالانتاج الثقافى نوع من الابداع ، ولا يرتبط امتياز المبدع بالتكوين العددى الذى يرتكن اليه ، فكم من شاعر عظيم نشأ فى أرض صغيرة ، أو معزولة ، وكم من ملايين البشر يزحمون الوجود بحركتهم دون أن

يقدموا ابداعا يدل على مكانهم ... وفى نطاق الوطن العربى سنجد هذه الملاحظة صحيحة الى حد كبير ، ولقد استطاعت الحركة المسرحية فى الكويت ــ على سبيل المثال ــ أن تؤكد شخصيتها ، وتثبت جدارتها ، فى مهرجانات دمشق السنوية ، حين عرضت مسرحية « ألفريد فرج : » على جناح التبريزى وتابعه قفه » (عام ١٩٧٦) وحين نالت احدى فرقها كأس الابداع كأحسن عمل مسرحى فى مهرجان بغداد (عام ١٩٨٨) عن مسرحية « رحلة حنظلة » ، وليست فرق الكويت المسرحية من أصحاب السابقة فى هذا الفن ، ولا تنتخب هذه الفرق عناصرها العاملة من بين أعداد وفيرة تعطى خيارات واسعة ، وانما هو الاخلاص وبذل الجهد والرغبة فى التعلم . وبالمناسبة ، فقد طافت الفرق المسرحية الكويتية طوال ربع قرن بين العواصم العربية ما بين فاس ، والرباط ، وحتى صنعاء والخرطوم ، فهل كان المسرحيون الكويتيون وهم يجوبون آفاق الوطن العربى ويعرضون فنونهم ، هل كانوا يتعلمون ، أو كانوا يعلمون أو كانوا يعملون ويؤدون وجها من أوجه التنمية الثقافية ؟ لعلهم كانوا يصنعون هذا كله فى وقت واحد ، دون أن يتعمدوا الدعاية أو الاعلام .

ولا يصح ــ ونحن نعرض لايجابية الثروة التى تتحول فى نظر البعض الى نقطة سلبية ــ لا يصح أن نقلل من أثر الانفاق ، والحقيقة ، كما يلاحظ المتعامل العادى مع بعض الخدمات الثقافية التى تؤديها الكويت ، أن ميزانية الدولة تتحمل ملايين الدنانير ، كى تصل مجلة العربى الى القارىء فى أقصى المغرب العربى بسعر أقل من نظيرتها التى تصدر فى دولته أو مدينته ، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع بلاد الوطن العربى ، فتحديد أسعار المطبوعات الكويتية لا يتحدد بالقياس الى التكلفة ، ولا حتى دون احتساب أرباح بالمرة ، ولا يتحدد

بالقياس الى النظير فى نفس بلد التوزيع ، ولا يتحدد على أساس سعر العملة محولة الى المقابل الكويتى ، وانما تحدده طاقة المواطن والمستوى العام للدخل ، وقدرة هذا المواطن على أن ينفق بعض ما يملك على مادة ثقافية . ويمكن أن نقرأ « ثمن العدد » المسجل على الغلاف الأخير لمجلة « الثقافة العالمية » ـــ على سبيل المثال . إنها تباع فى الكويت بربع دينار (وهو أقل من التكلفة قطعا ، بل لعله لا يبلغ ثلث التكلفة) مع هذا نجد ثمن العدد فى السعودية خمسة ريالات (فهو أكثر من الثمن فى الكويت ، وهذا طبيعى لأنه يضيف نفقات النقل ، ومن ثم يحاول أن يقترب من التكلفة الحقيقية ، وان كان لا يبلغها) ولكنه فى مصر يباع بربع جنيه مصرى ، فى حين أن ربع الدينار كان يساوى جنيها كاملا فى تلك الفترة . وفى السودان يباع بربع جنيه سودانى ، وهو أقل ـــ فى سوق العملات ـــ من الجنيه المصرى بكثير ، ومثل هذا يقال فى شمالى أفريقيا وفى أى مكان ، ولسنا نريد الاستطراد فى هذه المسألة ، وخلاصتها أن الخدمة فى مجال المطبوعات كانت مجانية تقريبا ، ولا تكاد توازى أجور النقل ومصاريف الموزع المحلى ، واذا بقى من هذا كله شيء ، فانه سيكون بالعملات المحلية ، غير القابلة للتحويل فى أكثر الدول العربية ، مما يتحتم معه أن تستهلك هذه الأموال داخليا ، وغالبا ما يكون هذا فى أعمال ثقافية أو اعلامية أيضا .

ونعود الى « سلبية » الثروة ، التى يرى البعض أنها هى التى صنعت هذا الدور الثقافى ، وأنه لا فضل للكويت فيه . ولكن يبقى سؤال :

« هل الكويت هى البلد الأكثر ثراء فى الوطن العربى ؟

وهل هى الأسبق الى الثراء ؟ وفى الوقت الراهن كما فى خمسة وعشرين عاما مضت ، هل كانت « الثرى » الوحيد فى الأسرة العربية ؟

اذا كانت هناك بلاد أكثر ثراء منها ، وهذه البلاد ـــ وغيرها ـــ سبقت الى الثروة النفطية وغير النفطية قبل أن تأخذ الكويت مكانها على خريطة الثقافة العربية فما الذى عطل سابقا ، أو يعوق حاليا ، أن تقدم هذه البلاد أو تلك خدمات ثقافية تشبه أو تتفوق على ما تقدمه الكويت ، « وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » ؟؟

ليس العدد ، وليس المال ، وانما هم الرجال ، الذين يملكون المقاصد ، الارادة وقدرة العمل .. قبل رغبة البذل . هذا هو المفتاح الحقيقى الذى حرك وصنع الدور الثقافى للكويت ، فى الوطن العربى .

أما ونحن نتكلم عن دور الكويت الثقافى فى الوطن العربى ، أما ونحن لا نملك أن نتوقف عند جوانب الشخصية الكويتية فى نوازعها المختلفة ، فانا نؤثر أن نختار جانبين فقط ، نرى أنهما عاملان شديدا التأثير فى توجيه الثقافة ، أو اسباغ لون ثقافى معين ، فضلا عن « السماح » لهذا الدور أن يتخطى الحدود السياسية للكويت ، والحدود الاقليمية للخليج ، الى مساحة الوطن العربى الشاملة . أما هذان الجانبان فهما : الحس القومى ، والنزعة الديمقراطية .

ان هذا الحس القومى يأخذ معنى الضرورة فى الوجدان الكويتى ، بعبارة أخرى : ليس أمام المواطن الكويتى ـــ بصفة عامة ـــ إلا أن يكون قوميا !! هناك « قوميون » بطبيعة الرابطة العرقية ، و« قوميون » عن طريق الثقافة السياسية ، أو الأحزاب خارج الكويت . ولسنا نقصد هؤلاء أو أولئك حين نشير الى « ضرورة الانتماء القومى » بل لعلنا نشير الى نقائضهما ، أولئك الذين ينحدرون من أصول غير عربية ، والذين لا يهتمون بالسياسة وقضاياها . أنهم يشعرون جميعا أن رابطة « الأرض » أقوى وأكثر رسوخا ، وأنهم مع العرب أكثر انسجاما ، وان بلادهم فى اطار الترابط العربى أكثر أمانا . ان الكويت ـــ

ككيان صغير — لا يخطر لأهلها أن يفضلوا العزلة ، حتى مع استغنائهم المادى ، أنهم فى حاجة الى « ظهر » « وظهير » . فتاريخهم فى الموقع لا يمتد كثيرا بعد القرنين من الزمان ، وحاجة الانسان النفسية الى « التاريخ » لا تقل عن حاجته الى « الجغرافيا » أو الأرض .. واذا كان مثلث الجيران (العراق — ايران — السعودية) يقوم على التوازن المطلق ، والاحتفاظ بالخصوصية لدى كل منها ، وهذا فى صالح الكويت ، فان « الظهير » — أو القوة التى يمكن أن تستند اليها الكويت فى حال حدوث خلل طارىء على ثلاثية التوازن ، لن تكون هذه القوة الا قوة الأمة العربية .

ان هذا التصور ليس « اقتراحا » أو « اجتهادا » ، وانما هو فكرة واعية يتحرك المثقف الكويتى فى اطارها حتى ولو لم تأخذ صورة المبدأ المعلن أو الشعار ، وهو نوع من « الحدس » الذى يومض (ابان الأزمات بصفة خاصة) فى الوجدان الشعبى العام .

لا يعنينا — فيما نحن بصدده — أن نتذكر كيف فتحت الكويت أبوابها لأبناء فلسطين ، بلا تحفظ ، منذ النكبة الأولى (١٩٤٨) وقدمت لهم من فرص العمل والاستقرار ما لم يتح لهم فى بلد عربى آخر ، ولم يكن متاحا لغيرهم بهذه الدرجة وبهذا الاتساع ، فى الكويت ، أو نتذكر موقف الكويت من الثورة الجزائرية ، وكيف فرضت على موظفيها ضريبة طوال أعوام الصراع مع المستعمر الفرنسى ، أو مسارعة الكويت الى حضور مؤتمرات القمة ، ومساهماتها المادية المساندة لدول المواجهة مع اسرائيل (مصر وسوريا والأردن) ... الخ اننا بصدد رصد انعكاس هذا الايمان القومى على خطط الكويت الثقافية وعلى مكونات الفكر الموجهة لتلك الخطط .

ستكون لنا وقفة مع المحاور المكونة ، أو توجهات الدور الثقافى للكويت ، وسنرى أن البعد العربى الخالص ، أو الممتزج بالبعد الاسلامى ، يشغل مساحة ضخمة ، وينطلق من قاعدة مستنيرة ، لم يتحول بها الى نوع حديث أو عصرى من « الجاهلية » ، ولم يقع فى مقولة أن خير ما لأمتنا قد مضى زمانه ، وأنه لا نجاة لنا الا اذا أعدنا مصب نهر الزمن الى منابعه (أو منبعه) لقد ظل هذا التوجه العربى الاسلامى على وفاق وتناغم مع المستقبلية ، والانسانية ، اللتين اتسمت بهما أنشطة الثقافة فى الكويت ، والممتدة الى خارجها .

قد تكون اطلالة على ابداعات أدباء الكويت وبحوث مؤلفيها دليلا مؤكدا على تطابق وانسجام التكوين الثقافى للكويت ، والرسالة الثقافية الكويتية الموجهة الى الأمة العربية . دون خطأ فى التعميم ما من شاعر كويتى إلا وفى ديوانه نصيب واضح لقصائد عن فلسطين أو الجزائر ، أو بورسعيد ، أو اليمن ، ودون خطأ فى التعميم لم يتغن شعر عربى بالعواصم العربية ، بكثير من الحنين والتمجيد كما تغنى الشعر الكويتى ، بل وضع شاعر كويتى ديوانا كاملا عن تونس ، وشاعر آخر عن الثورة المصرية ، وما قيل فى بغداد ابان حربها مع ايران لا يمكن تجاهله .(٣)

ان بحوث أو رسائل الدراسات العليا للشباب الكويتى ، وعناوين الندوات التى تدعوا اليها الكويت ، وتعقد على أرضها ، تأكيد آخر على هذا التوجه نحو الاهتمام بالوطن العربى ، والنظر الى قضاياه ومشكلاته على أنها تخص الجميع . وسنرى هذا فى مكانه .

وقبل أن ننهى هذه الاضاءة الخاطفة عن تمكن الحس القومى فى الكويت ، نسجل ملاحظتين جديرتين بالاهتمام . أولاهما أن هذا الشعور القومى الذى وقفنا عنده ليس ، أو لم نقصد أن نحصره فى كونه تيارا سياسيا . ان

الكويت — على المستوى الرسمى — لم تعرف الأحزاب ، وان عرفتها على المستوى الواقعى الشعبى ، فكان هناك القوميون ، والاخوان المسلمون ، والشيعة ، وقد يتشعب هؤلاء جميعا الى درجات أو طوائف تتمايز فى مواقف ، وتتقارب أو تتوحد فى مواقف أخرى مثل الانتخابات العامة . ان ما نقصده تماما هو أن الحس القومى يتجاوز هذه التقسيمات « السياسية » — ان صح القول — الى كونه نوعا من الايمان العام الذى يشمل الجميع ، ويعلو على كافة المبادىء السياسية ، وهذا الايمان العام يمارس قوته الضاغطة على قلة لا ترغب فيه لأسباب عرقية شعوبية ، أو ضيق نظر اقليمى ... ولنفترض أن احدى اللجان الهامة ، أو احدى الوزارات يرأسها واحد من هؤلاء . انه تحت ضغط هذا الايمان العام الذى يعرف قوته وتمكنه ، لا يستطيع أن يمارس شعوبيته أو نزعته الانطوائية الاقليمية إلا فى أضيق نطاق ممكن ، لأن الأجهزة المساعدة ، والجو العام الذى يتحرك من حوله لن يلبى الاشارة بكل ما يحتمل أن تنطوى عليه ، سيجد كثيرا من « حراس القومية المتحمسين » لا يعرفهم أحد ، ولا يصنفون كقوميين على المستوى السياسى ، يقولون له : « لا » ويقفون دون تماديه .

أما الملاحظة الثانية ، وهى ثمرة من ثمرات الملاحظة الأولى ، فهى أن الثقافة القابلة للتصدير من الكويت ، كانت دائما ثقافة قومية . وستكون لنا وقفة على جانب من التفصيل مع هذا الأمر . ونكتفى مؤقتا باشارة اجمالية توضيحية ، فالكويتيون من أشد الجماعات العربية اعجابا ببلدهم ، واسرافا فى ذكر اسمه واعلان الانتساب اليه ، بدرجة تجعل (الصفة — النسبة) « الكويتى » خاتمة لكثير من أسماء الاشخاص ، وحتى النبات وأسماك الخليج ، التى لا بد أن تكون متفوقة على غيرها طعما ، وثمنا . هذا مجرد مؤشر على

قدر من « الشوفينية » التى لا بد أن يشعر بها ، ويواجهها الزائر للكويت زيارة غير عابرة (وأين لا تجد هذا بدرجة ما ؟) وقد استتبع هذا اهتمام رائع حقا بالمكان ، والحفاظ على رموزه ، وطبائعه (بعد طبيعته) كجمع أمثاله العامة (فى دراسة موازنة شاملة مع الأمثال العربية فى بقاع أخرى ، قام بها الاستاذان صفوت كال ، وأحمد البشر الرومى ونشرته وزارة الاعلام ، مركز رعاية الفنون الشعبية ، فى ثلاثة أجزاء عام ١٩٨٤) وجمع أغانى الأطفال (فى الماضى) المصاحبة لألعابهم ، مسجلة بالصورة والنوتة الموسيقية ، ثم مسجلة بالحركة والصوت على شريط من أشرطة الفيديو (قام بهذا العمل أحمد على ، وباشراف المجلس الوطنى) ومثل « الموسوعة الكويتية المختصرة » التى جمعها حمد السعيدان ، وهى فى ثلاثة مجلدات كبيرة . وليس من هدفنا أن نحصى هذا الجانب الذى نجد عليه عشرات الأمثلة ، تنبع جميعا من الاهتمام « المحلى » بالمكان ، وبأهله ، وبالحرص على كل شاردة من شوارد تاريخه الخاص القصير المحدود . ومع هذا فان شيئا من هذا كله لم يحاول أن يفرض نفسه على مستوى الثقافة التصديرية ــ ان صح التعبير ــ التى تدفع بها الكويت الى كافة انحاء الوطن العربى . نستطيع أن نذكر هنا ــ على سبيل الاستطراف ــ بمقالات حاولت أن تهاجم سياسية مجلة « العربى » وتحولها الى محلة خاصة بالكويت ، معبرة عنها وحدها ، حدث هذا منذ صدور العدد الأول حتى كتب أبو كامل مقالا ساخرا يتضح فى عنوانه : « العربى ، أو « مجلة الدكتور »(٤) وبعد ذلك هاجم سيف مرزوق الشملان فى مقالين متتابعين ، وبتحديد أكثر ، حين كتب « مجلة العربى لا تشجع الأدب الكويتى ــ صدر خمسون عددا على أغلفتها صور خمسين فتاة »(٥) ثم عاد فكتب « أدباء الكويت والمجلة »(٦) (ويقصد العربى) . مع هذا وغيره ظلت سياسة المجلة ، فى توزيع أبوابها ، ومستوى



مادتها ــ كما رأينا ــ ثابتة ، سواء كان على رأسها « الدكتور » أحمد زكى ، أو الاستاذ أحمد بهاء الدين ، أو الدكتور محمد الرميحى . واذا كانت « الكويت » قد ظهرت عبر صفحات التحرير فى شكل دراسات أو قصائد وقصص (ولم تعد مجرد صور واستطلاعات) فليس لأن سياسة المجلة ومعايير النشر فيها قد تغيرت ، أو تنازلت ، وانما لأن الثقافة والمثقفين فى الكويت قد تغيرا ، وارتفع مستوى أدائهما ، وانه اذا ما قيس ــ من الوجهة الكمية ــ حجم ما نشر بأقلام كويتية ــ على صفحات العربى ــ فانه لن يتجاوز حجم الكويت نفسها بالقياس الى البلاد العربية الأخرى ، وهذا يعنى ــ فى المحصلة ــ أنها لم تعط لنفسها أية أفضلية ، مع انها « دولة المقر » ، ومالكة مفاتيح الانفاق ، وموجهة السياسة . وسيتأكد هذا المعنى النبيل الرفيع حين نتأمل عناوين سلسلة هامة ، وعظيمة فى غزارتها وتنوعها ، مثل « عالم المعرفة » لقد رسمت لنفسها اطارا ــ فيما يتعلق بالموضوعات العربية ، أن تكون المعالجة فى اطار قومى موسع ، غير محدد بأقليم . لقد تسامحت أو تنازلت عن هذا الشرط فيما يتعلق بالمناطق غير العربية فى العالم ، فهناك ما نجد عن الأدب اليوغسلافى ، أو البرازيلى مثلا . ولكن بالنسبة للعروبة فلن نجد غير مثل واحد فريد ، لا بد أن له ظروفه الخاصة ، وذلك هو « الشعر فى السودان » أما غير هذا فلن نجد غير « الطفل العربى » ــ « السينما العربية » « الموسيقى العربية » « جحا العربى » « الرواية العربية » « الشعر العربى » وهكذا ...

ليس مصادفة أن أقدم ناد ثقافى له طابعه السياسى فى الكويت أطلق عليه « النادى الثقافى القومى » وان المجلة التى أصدرها منذ مطلع عام ١٩٥٣ أطلق عليها اسم « الايمان » ..

سنؤثر ــ فيما يتعلق بالمحور الثانى بعد القومية ، وهو الديمقراطية ــ أن نختار جانبا قد يبدو ــ فى مناطق أخرى من الوطن العربى ــ هامشيا ، أو مرغوبا فى تهميشه ، لصعوبة انضباطه ، وخطورة انطلاقه ، وربما سهولة اختراقه والانحراف به أيضا ، ونعنى « الحركة الطلابية » ان اتخاذ ازدهار الصحافة ــ مثلا ــ قد يعطى مؤشرا ، وهو بالنسبة للديمقراطية فى الكويت مؤشر ايجابى بكل المقاييس(٧) (رغم وجود المادة ٣٥ من قانون الصحافة التى تعطى الرقيب حق تعطيل الصحيفة ، وتعطى وزير الاعلام (بعد حكم المحكمة) حق سحب ترخيصها) ، كما أن حوارات ، وحدود سلطات ، والتجارب المشاهدة لمجلس الأمة فى الكويت يعطى نفس المؤشر الايجابى (رغم اللجوء الى حل المجلس مرتين ابان ربع قرن من الحياة البرلمانية) ومع هذا فاننا نؤثر أن نكتفى بوقفة مع الحركة الطلابية فى الكويت ، رغم المحاذير التى قدمنا ، لأنها المساحة الأيسر مجابهة ، واشغالا بأمور أخرى ، وأيضا : لأنها البداية والتربية السياسية تبدأ بها وتستمر معها . ان المجتمع الكويتى ساكن المدن الأنيقة هو وريث البداوة ، وفى قيم البداوة ماهو أعلى من قيم الحضارة والمدنية ، وماهو منبوذ كذلك . ولن نفكر فى افتراض صورة مثالية من المساواة والعدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع الكويتى ، فهذا دونه حواجز كثيرة ومصاعب جمة ، وليس من شك فى أن المجتمع الكويتى (المحدود عددا) المتوحد ظاهريا ، والمتحد فى الأزمات ، وفى الأفراح أيضا ، ينطوى على انقسامات شتى (لا نريد أن نهون منها فنقول أن المجتمعات الأخرى تعانى منها ، أو من مثلها) وهذه ظروف خاصة بالكويت التى مثلت منطقة جذب فانهالت عليها الهجرات من أطراف بادية الجزيرة والشام ، والتسلل عبر الحدود المترامية برا وخليجا . وهكذا ينقسم المجتمع الكويتى الى كويتيين أصليين ، وكويتيين متجنسين .

وينقسم عرقيا الى عرب وعجم ، ومذهبيا الى سنة وشيعة ، وقبليا الى « أصيل » (وهو من ينتمي الى قبيلة) و« بيسرى » (الذى لا ينتمى الى قبيلة) .

مع هذا ، ودون أن نرمى الى مداراة السلبيات ، نقول أن هذه الفوارق كانت تختفى ، أو تتقلص ويخف وزنها أمام انتشار التعليم ، وتعمق الديمقراطية ، واتساع آفاق الخبرة بالحياة من خلال مخالطة الشعوب الاخرى (بالسفر للتعليم والتجارة أو السياحة) ويمكن القول بأن جيلا جديدا لم تحسم فى أعماقه حدود التمايز بين البدوى والحضرى ، والأصيل والبيسرى ، والعربى والعجمى والسنى والشيعى ، والأصلى والمتجنس .. هذا الجيل فى طريقه لأن يسود المجتمع العام .

هذا اذا هو المناخ العام فى الكويت ، يشعر بالفروق ، لكنه فى نفس الوقت شديد الاحساس بالتوحد شديد الاحتفاء بالتمايز الفردى ، ولهذا حظى كثير ممن يصنفون فى السلم الاجتماعى فى درجة أقل ، بوظائف قيادية مؤثرة ، واستطاع بعضهم — ممن يملكون المقدرة — أن يكونوا قيادات فكرية وثقافية لها وزنها ، ويعمل لها حساب لدى كافة المراجع فى الدولة . وأخيرا فانه مهما قيل عن تمايز نوعى ، فان الاحساس بالدونية — من بعضهم تجاه البعض — كان مستبعدا تماما ، كما أن الاحساس بالتكافؤ بين أبناء القبائل كان سائدا ومستقرا ، حتى ولو لم تكن هذه القبائل — عمليا وواقعيا — على مستوى واحد من الأهمية .

لقد ولدت الحركة الطلابية الكويتية فى مصر منتصف الأربعينات ، حين تكاثر عدد الطلاب الكويتيين فى القاهرة ، وانتشروا ما بين المرحلة الثانوية ، والجامعية ، فتجاوز عددهم الأربعمائة ، وتأسس « بيت الكويت » الذى أصبح — بعد اعلان الاستقلال — سفارة الكويت . فى تلك الآونة تجمع الطلاب حول الثقافة ، فكانت مجلة « البعثة » رمزا لهذا التجمع ، وشعارا

للتوجه ، لقد صدر عددها الأول فى ديسمبر ١٩٤٦ ، وقبل أن نستخلص المعنى المستفاد من هذه المجلة ، التى صدرت لتعبر عن الكويت ، وان تكن فى القاهرة ، نرى أن نضعها فى سياق الظاهرة الصحفية فى الكويت ، وهى ظاهرة تنفرد ـــ دون أية صحافة أخرى ـــ بايجابيات ذات دلالة ، فالمعروف أن نشأة الصحافة نابعة ومترتبة على وجود المطبعة . ولكن المجلة الكويتية الأولى « مجلة الكويت » أسسها واصدرها الشيخ عبد العزيز الرشيد عام ١٩٢٨ وهذا التاريخ يسبق ظهور أول مطبعة فى الكويت بعشرين عاما ، وصحيح أن مجلة الكويت عانت الكثير ، وكانت شهرية ، وتوقفت بعد بضع سنين ، ولكن « المحاولة » ـــ برغم هذا ـــ لا تفقد دلالتها ، أو جزءا من هذه الدلالة . ومعروف أيضا أن المهاد الطبيعى لأى صحيفة هو وطنها ، وبين جمهورها ، فاذا نشأت خارج الوطن فلابد أن تكون « المعارضة » هى شعار هذا الصدور المغترب . ولكن هذا المعنى لم يكن وراء صدور « البعثة » من القاهرة . لقد كانت مجلة كويتية وطنية ، وباستعراض الأقلام المحررة لمادتها ، والموضوعات المثارة فيها ، سنجد توازنا واضحا بين الانتماء الوطنى الكويتى ، والاهتمام الخليجى ، والاطار القومى العربى . وبهذا يمكن اعتبار « البعثة » النسخة التجريبية لمجلة « العربى » التى انتهجت نفس السياسة باقتدار أعلى ، وفن طباعى أرقى ، وهذا يعنى ـــ فيما يعنى ـــ أن الرسالة الثقافية للكويت ، أسبق فى التصدير من الرسالة السياسية ، وهذا ما يدل عليه ظهور مجلة البعثة (١٩٤٦) ثم صدور مجلة العربى (١٩٥٨) .

ولا شك أن التجمع الطلابى المبكر حول صحيفة خاصة يدل على رسوخ هذه الحركة واستقلالها ، وهى الى الآن ، ومن خلال الرصد والتحليل تتمتع بقدر من حرية الحركة والتعبير عن الرأى لا نكاد نجد له نظيراً لدى الاتحادات

الطلابية فى سائر البلاد العربية . ولكى يكون حكمنا دقيقا معللا ، فاننا قد نجد بعض الاتحادات تأخذ شكل المعارضة الحادة للنظام ، وتعبر عن هذه المعارضة بصحف حائطية استفزازية العناوين والموضوعات كما شاهدت (على سبيل المثال) فى جامعة الخرطوم ابان مرحلة من مراحل حكم الرئيس نميرى ، وهو مالم تصل اليه اتحادات الطلاب فى الكويت . وهناك عدة فروق حتى لا تختلط أمامنا الرؤى ، فالطالب الكويتى حامل ميراث المجتمع البدوى ، أو الرعوى البسيط ، ينشأ تلقائيا مفطورا على حرية التعبير وجرأة ابداء الرأى الصريح ، وهذا يعنى أن مواقفه مستمرة ، وليست وليدة فورة وقتية ، ولهذا لا تأخذ طابع الموجة الطاغية أو الصاخبة ، ويدعم هذا أن المعارضة فى الكويت ، طلابية أو غير طلابية ـــ ليست مشحونة بدوافع ايديولوجية تتغذى من الخارج بالفكر أو المال ، أو بهما معا ، انها ثابتة عل أرض وطنية ، ونابعة من رؤية قومية ، وهذا بدوره يعصمها من المبالغة والتطرف ، كما يحفظ لها حضورها الدائم ، وكأنها معارضة برلمانية لا يكتمل « الشكل » ولا تؤدى « الوظيفة » الا بوجودها .

ونتوقف قليلا عند بعض « وثائق » الدعاية الطلابية ، لانتخاب أعضاء اتحاد الطلبة (فرع جامعة الكويت) التى أجريت عام ١٩٨٧ ، ونختار هذا العام قصدا ، لأن الحرب العراقية الايرانية كانت تجتاز أعلى مد لها ، وكانت الكفتان الاسلامية والقومية تتبادلان الترجيح بايقاع محير . ولقد كانت الكويت (المتأثرة فى تكوينها السكانى بكلا الفريقين المتحاربين ، والمتاخمة حدوديا لكليهما) تستطيع أن تجد حججا مقنعة لايقاف عمل الاتحادات الطلابية مؤقتا ، أو اختراع صيغة بديلة لا تسمح باختيار الأعضاء على أساس حزبى (على نحو ما جرى فى الجامعات المصرية منذ عام ١٩٥٤ ولأعوام ليست

قليلة ، اذ اخترع نظام الأسر ، وحلت الأنشطة الفنية والاجتماعية محل التشكيلات الحزبية) ، أو على الأقل عدم السماح بالدعاية للمرشحين أو للاتجاهات ، بحيث تقل فرص الاحتكاك واحتمال الصدام . لكن شيئا من هذا لم يحدث ، لقد ترك الأمر كلية فى حماية التقاليد الجامعية ، وفى حدود الميراث الديمقراطى المتأصل . ان « المطبوعات » التى صدرت بقصد الدعاية والتعريف بالمرشحين من الطلاب ، والبرامج التى يتبعونها لتكشف عن المساحة الرحبة التى يتحرك فيها هؤلاء الطلاب ، وقدر الحرية المتاح لطرح الأفكار ، ومناقشتها ، وكما تتجسد حرية طرح الرأى ، فان هذه المطبوعات ذاتها ، من كتب ونشرات واعلانات لتدل على عفة اللفظ ، والتزام أدب الحوار ، والحرص على عدم تجاوز الموضوع أو المناسبة ، الى أبعد مما تدل عليه .

أما القوائم المتصارعة على نيل مقاعد الاتحاد فتتضح اتجاهاتها السياسية من أسمائها أو شعاراتها ، فهناك « القائمة القومية الطلابية » و« الوسط الديمقراطى » و« الائتلافية » ، و« القائمة الاسلامية الحرة » أما شعار القائمة الأولى أو خلاصة برامجها فهو « من أجل ترسيخ الوعى القومى ، من أجل عروبة واستقلالية القرار الطلابى » ، وشعار الوسط الديمقراطى تجمله عبارة : « من أجل ديمقراطية التعليم ، وحرية العمل الطلابى » ، أما « الائتلافية » التى تقوم على تآلف الاتجاهات الاسلامية (غير الشيعية بصفة خاصة) فشعارها أنها « قائمة كل مسلم محب لشرع الله ، وكل وطنى يسعى لمصلحة البلاد ، وكل طالب ينشد جامعة أفضل » ، وتبقى « القائمة الاسلامية الحرة » التى استقطبت (غالبا) الطلبة الشيعة ، وشعارها « فى سبيل الوحدة الاسلامية » وقد كان الفوز مرات متعاقبة من نصيب « الائتلافية » ، فى الثمانينات بصفة خاصة ، كما كان الفوز حليفا للقوميين عبر الستينيات وحتى منتصف

السبعينيات . أما القائمة الاسلامية الحرة المتشيعة فانها كانت مشاركة فى النجاح أو الاخفاق من خلال مشاركات مع هؤلاء وأولئك قبل أن تبرز الى الوجود ، وقد أفرزتها الحرب الايرانية ـــ العراقية ـــ كرد فعل يواجه الموقف العراقى الرسمى من الشيعة فى العراق ذاتها ، وخارجها ، فهى لم تكن تستند الى أسباب « كويتية » داخلية ، وقد كانت ـــ فى الكويت ـــ أنشط الجماعات دعاية ، وأعلاها صوتا ، وقد أصدرت مطبوعات متنوعة الوسائل ، هدفها أن تعدل الصورة العامة (المحرفة عند العامة وأشباههم) عن المذهب الشيعى ، وأن تروج ما تدعوه الصحوة الاسلامية الخمينية فى ايران ، وتصديها لمحاولات معاداة الاسلام من الغرب والشرق على السواء ، وتناقش بعض القضايا المثارة حول علاقة الدين بالقومية ، وهى قضية مشتركة بين القوميين على اختلاف منطلقاتهم ، ودعاة الدين ، على اختلاف مذاهبهم .

سنتوقف قليلا عند مؤشر على طبيعة الحركة الطلابية فى الكويت ، وما تتسم به من وعى ، وما تتخذ من خطوات التفاعل ، وما بين الوعى والعمل من منطلقات فكرية تقدمية . نجد هذا فى كتاب متوسط الحجم (من مائة وتسعين صفحة) طبع فى مصر ولا يحمل تاريخ صدوره (مطبعة نهضة مصر بالفجالة) ومن المؤكد أنه صدر عام ١٩٥٧ ، لأنه يشير إلى معركة بورسعيد (١٩٥٦) واختطاف فرنسا لزعماء الجزائر الخمسة . والإضراب العربى الشامل تأييدا لمصر والجزائر ، ولا يقيم تجربة الوحدة المصرية السورية (فبراير ١٩٥٨) مع أن الوحدة العربية هى الخطوة الأولى ـــ فى تصور مؤلف الكتاب ـــ لتحقيق باقى الأهداف ، وعلى رأسها العدالة الاجتماعية (الاشتراكية العربية) والتقدم . عنوان الكتاب : « مع القومية العربية » وشعاره : « نحو حياة عربية أفضل » يعلوه تشكيل فنى من أربعة ألوان ، هى التى تتكون منها

في سبيل
الوحدة الإسلامية

مايو ١٩٨٤ م ـــ جامعة الكويت ـــ رجب ١٤٠٤ هـ

وثيقة ٢

الإسلام والقومية

القائمة الاسلامية الحرة

جامعة الكويت

١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م

وثيقة ٣


قائمة كل
مسلم محب لشرع
الله
كل
وطني يسعى
لمصلحة البلاد
كل
طالب ينشد جامعة
افضل

وثيقة ٤



ما أخذ بالقوة ، لا يسترد بغير القوة

المعلم والقائد / **جمال عبد الناصر**

وثيقة ٥

الرأي الطلابي

العدد رقم (٨٨)

السبت ٩ ربيع الاخر ١٤٠٦ هـ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٨٥ م

نشرة اسبوعية تصدر عن الاتحاد الوطني لطلبة الكويت ـ فرع جامعة الكويت

المقالات التي تنشر باسماء اصحابها لا تعبر بالضرورة عن رأي النشرة

رسالة الى شباب اليسار «مجموعة الطليعة» ص ٨

* قضية توظيف الطلبة... الى اين؟!! ص ٦

الافتتاحية

سياسة القبول

اسدل مجلس الامة الستار حول قضية القبول في الجامعة والتي دار حولها جدل واسع في الكثير من المنتديات واللقاءات، واستطاع المجلس التوصية بتخفيض نسبة القبول الى ٦٥٪ للادبي، ٦٠٪ للعلمي.

نقول نحمد الله عز وجل ان خرجت هذه التوصية الى حيز الوجود بفضل تكاتف النواب الكرام مع طلبات ابناءهم المحرومين.

ولنا في هذا الموقع كلمه نوجهها الى نوابنا الافاضل والسيد وزير التربية والسيد مدير الجامعة اما بالنسبة للنواب الافاضل نقول جزاكم الله خيرا على موقفكم هذا ونامل منكم كما عودتمونا دائما الوقوف معنا في القضايا القادمة التي لا تقل اهمية عن سياسة القبول الا وهي توضيف الطلبة، الاعانات، الفصل الصيفي.

اما بالنسبة للسيد الوزير فندعوه للاستجابة الى طلب المجلس بتخفيض النسبة والسماح لابناءه الطلبة والطالبات في اكمال دراستهم الجامعية..

ونخاطب السيد مدير الجامعة بان ترشيد سياسة القبول مطلب جماعي لا نختلف عليه لكن نعتقد ان الترشيد يجب ان تسبقه دراسات مستفيضة وابحاث وتوعية وارشاد كما يجب ان يتلاءم الترشيد مع احتياجات البلد من الطاقات البشرية، والمهنية وهذا الامر كما هو واضح من تقرير اللجنة التعليمية وماكتبه بعض دكاترة الجامعة وخاصة د. مبارك العبيدي غير متوفر.. ومتى ما رافق القرار مثل هذه الدراسات والابحاث فاننا سنكون اول من يضع يده بيدك.. وليكن رائدنا.. نحو جامعة افضل..

للرأي كلمة

كلمة آخيرة ..

الى الادارة الجامعية.. ها قد انقضى الفصل الاول من العام الدراسي وجامعتنا في وضع لا تحسد عليه.. فمن سياسة قبول، وازمة التخطيط، وازمة فصل صيفي ـ الى الوضع الاداري المتخلف ـ الى كثير من المشاكل التي يعاني منها الصرح الجامعي.. نقول ان الاصلاح مطلوب ويستوجب من الادارة الجامعية الجديدة وعلى رأسها السيد مدير الجامعة ان تخطو الخطوة الاولى نحو اصلاح الاوضاع اخذين بالاعتبار رأي الطلبة ومصالحهم عبر ممثليهم الاتحاد الوطني.

والى اعضاء هيئة التدريس ـ نقول.. ان عليكم تقع مسئولية تنفيذ الاصلاح المنشود نحو اعادة ترتيب البيت الجامعي . لذا . نقدر فيكم ان تكونوا على مستوى المسئولية التي تتطلب النظرة العلمية اللازمة لحاجات البلد وتقاليده. وان تاخذوا بيد ابنائكم الطلبة نحو الرقي بالمستوى العلمي القادر على العطاء والابتكار.

واخيراً.. الى اخواننا الطلبة.. الذين هم لبنة هذا الصرح وثمرته.. نقول.. كان لزاما علينا ان نكون في مستوى التحدي وان نساهم بالرقي بجامعتنا نحو مستقبل افضل جاعلين نصب اعيننا خدمة كويتنا الحبيبة.

الى هؤلاء نقول.. نحو جامعة افضل.

والله الموفق

حمود القشعان

[illegible]

الطلابي صفحة ١

وثيقة ٦

أكثر الأعلام العربية ، وتشكل منها العلم الكويتى فيما بعد . لم يسفر مؤلف الكتاب عن نفسه ، لكنه نسب نفسه الى الجهة التى مولت صدور الكتاب ، فجاء على غلافه : « إصدار : اتحاد بعثات الكويت » !! وقد كان هذا الاتحاد — فى ذلك الحين — قاصرا على طلبة الكويت فى القاهرة ، حيث بدأت الحركة الطلابية وترعرت وأسست اسهاماتها بمجلة « البعثة » — كما قدمنا — ثم ظهر فرع جديد لطلاب الكويت فى المملكة المتحدة ، إذ اتجه اليها قدر من الدارسين بعد وضوح الصراعات السياسية فى مصر ، ثم أحداث بورسعيد المعروفة . والكتاب لم يذكر اسم عبد الناصر مطلقا ، مع أنه كان نجم المرحلة ، ولم يذكر اسم حزب البعث ايضا ، الذى كانت قواه تبزغ فى سوريا بصفة خاصة ، وهما القطبان الاساسيان فى رفع شعار الوحدة العربية ، والقومية العربية إبان الخمسينات . والكتاب يقتبس من أفكار عبد الرحمن الرافعى فى « تاريخ الحركة القومية » ، وسامى الكيالى فى « الفكر العربى بين ماضيه وحاضره » ، ومنيف الرزاز فى « معالم الحياة العربية » ، وساطع الحصرى فى « العروبة أولا » ، ونيقولا زيادة فى « العروبة فى ميزان القومية » وعبد الرحمن بدوى فى « روح الحضارة العربية » وجورج انطونيوس فى « يقظة العرب » وغيرهم .

إننا لا نهدف الى التعريف بمحتوى الكتاب ، المصادر التى اعتمد عليها تدل عليه ، والقصد انه يعبر عن رؤية متقدمة ، ونظرة شاملة لقضايا الواقع العربى ، حتى بالنسبة لما كتب فى تلك الفترة الملتهبة بالحماسة للمدّ القومى العربى ؛ فهو ينظر الى التاريخ العربى على أنه « وحدة اجتماعية » أساسها الاقتصاد والأخلاق ، ويكشف عن أوجه التكامل — ومن ثم ضرورة التكافل — بين فوائض واحتياجات الأقطار العربية ، ويرى أن الوحدة الاقتصادية خطوة أولى

أساسية نحو الاكتفاء الذاتى ، وفى اتجاه الوحدة الشاملة . ويرى أن الفساد الاقتصادى فى إدارة الموارد ، أو إنفاق ريعها هو المقدمة لكل فساد آخر . مع هذا فإنه لا يعمّم العامل الاقتصادى ، فإذ يفسر « الاستعمار » بأنه من أجل الهيمنة الاقتصادية ، وأن التجزيئية السياسية التى ابتلى بها الوطن العربى هى من وسائل هذه الهيمنة ، يرفض القول بحتمية الصراع الطبقى ، ويرفض اعتبار « اسرائيل » نتيجة المدّ الرأسمالى ، وإنما هى — فى رأيه — دعوى قومية دينية ، و« الإسلام انتفاضة عبرت عن حقيقة هذه الأمة . ومثلها العليا ، وعبقريتها ، وإمكانياتها ، ورسالتها ، ونظرتها للكون والحياة والانسان » .

أما طريق الخلاص للأمة العربية فهو النضال ، بشرائطه ، بأن يكون نضالا لا عقائديا يستند الي عقيدة قومية عربية تحدد أهدافه وأسلوبه ومفاهيمه ، وأن يؤسس على تحليل علمى موضوعى للواقع العربى ، وأن يكون نضالا شعبيا شاملا لا تحتكره فئة ، أو تستثنى منه أخرى ، فهذا الشمول (باستثناء الذين يرفضونه لأن الواقع المتخلف يخدم مصالحهم) هو الذى يعمق مفهوم الوحدة العربية ويثبته ، وهذا النضال الشعبى الشامل يبدأ من خطة ، ذات وسائل وأهداف ، وتنقسم إلى مراحل ..

هذه إلماعة سريعة إلى أحد إصدارات الحركة الطلابية الكويتية فى الخمسينيات ، وهى بقدر ما تدل على الجدية والتفاعل مع الواقع العربى والتطلع الى مستقبله ، تدل أيضا على مساحة الحرية المتاحة للفكر والعمل فى الكويت . ولقد أثمر هذا وذاك بصيرة مستنيرة ، واستقلالا فى الرأى ، وقدرة على تجاوز المقولات الجاهزة . ونختم إشارتنا إليه بهذا الاقتباس الدال العميق ، الذى لا يزال مضمونه يتردّد على أقلام المفكرين العرب إلى اليوم ، كطريق وحيد للنفاذ إلى المستقبل :

« إن الاشتراكية القومية ليست نتاجا لصراع الطبقات ، وإنما هى نتاج تزايد نمو الوعى القومى الإنسانى السليم . إن تبلور مفهوم الوعى القومى الانسانى السليم سيؤدى الى فهم القومية كوحدة اجتماعية اقتصادية سياسية متفاعلة ، بالاضافة الى كونها وحدة تاريخية لغوية ثقافية ووحدة فى العادات والتقاليد . وهذه الوحدة من الصعب أن يوجد فيها التماسك الوثيق ، ومن الصعب أن تتجسّد تجسيدا شاملا يفجّر القوى والطاقات ، طالما بقى فيها أثرياء ومحرومون ، وطالما بقى فيها ظالمون ومظلومون ، وطالما بقى فيها مثقفون وأميون ، وطالما بقى فيها متحررون وآخرون يؤمنون بالعادات البالية والأساطير والخرافات » !!

سيكون من الطريف جدا ، لا نشك فى هذا ، أن نختبر هده العبارات ذاتها على ضوء محتوى رسالة الكويت الثقافية التى سنتعرف عليها ، لنرى درجة التوافق أو المخالفة أو التناقض بين هذه الدراسة القومية التى وقف خلفها « اتحاد بعثات الكويت » منذ خمسة وثلاثين عاما ، بما تضمنت من قيم وأفكار وأهداف ، وبين ما حققه هؤلاء الطلاب المجهولون المعروفون حين تسلموا مواقعهم الوظيفية فى وطنهم ، واكتسبت آراؤهم قوة القرار والتنفيذ !!

وخلاصة القول هنا أن التكوين الطلابى فى الكويت كان يمثل قاعدة راسخة ، للوعى الطلابى ، والجدية فى العمل الاجتماعى والسياسى معا ، وكان نموذجا متوازنا للتربية السياسية البعيدة عن الانتهازية والتجنيد (السرى) للسيطرة على القطيع . ان هذا يعنى ـــ فى النهاية ـــ أن الكويت المحدودة جدا من الناحية السكانية العددية ، كانت تنطوى على خمائر للقوة والوعى ، تستطيع ، وقد استطاعت بالفعل ، أن تحمل أعباء رسالتها الثقافية الى أمتها العربية .

بعض الوثائق والأرقام :

هل يكفى الإيمان القومى ،والحس الديمقراطى (مع وجود المال بالطبع) ليمكن أصحابه من تشكيل رسالة ثقافية « مقبولة » بل « مرغوبة » و « مطلوبة » على مساحة وطن عربى ، مترامى المساحة ، مترامى المشكلات ؟

إن « الإرادة » هى العنصر الفاعل فى كل مراحل العمل ، وإرادة الكويت فى صنع دورها الثقافى العربى واضحة قبل توافر كافة عناصر النهوض بالمهمة ، وكانت وقفتنا مع البشائر عام ١٩٥٨ بمثابة إعلام بوجود تلك الإرادة وإصرارها على تحقيق نجاح غير مسبوق (وغير مفروض لأن النجاح لايفرض) فارتفع توزيع « العربى » من ثلاثين ألف نسخة عند صدورها عام ١٩٥٨« ٨ » إلى أكثر من أحد عشر ضعفا (تحديدا ثلاثمائة وخمسين ألف نسخة) فى أغسطس ١٩٩٠ ، وقد بدأت « العربى الصغير » بخمسين ألف نسخة (فبراير ١٩٨٦) وتوقفت فى أغسطس ١٩٩٠ عند مائة ألف نسخة . وبالنسبة للعربى – بصفة خاصة ، فإن مايتجاوز ثلث المليون نسخة فى مطلع كل شهر لم يكن حجم الطلب على المجلة ، وإنما كان حجم طاقة مطبعة وزارة الإعلام ، المثقلة بالدوريات المتتابعة ، ولعل الطلب يزيد عن هذه الأرقام بنسبة غير قليلة .

ويظهر حرص الكويت على رعاية الجوانب الثقافية والارتباط بها فى استضافتها لبعض المؤسسات التى غادرت مقارها بالقاهرة عام ١٩٧٩ عند النقل المؤقت للجامعة العربية ، فكان ماآثرت الكويت أن تستضيفه : معهد المخطوطات العربية ، والمركز العربى للتقنيات التربوية . يضاف إلى هذين المعهدين المنبثقين عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التابعة للجامعة العربية ، ماستضافته الكويت من الهيئات الدولية ، أو ماأقامته بذاتها لأداء

خدمة عربية عامة ، مثل : الوحدة الاقليمية لتنسيق برنامج التجديد التربوى فى الدول العربية (ايبداس) وهى وحدة تابعة لهيئة اليونسكو الدولية « ومنظمة المدن العربية » و « المعهد العربى للتخطيط » وتشارك فيه الدول العربية ، بهدف دعم التعاون العربى من خلال دراسات التخطيط وتكوين المتخصصين العرب طبقا لأعلى المستويات .«٩»

سيكون تركيزنا ونحن نحاول تحديد ماهية أو معالم رسالة الكويت الثقافية ، – على المستوى القومى – على نشاط السلاسل الثقافية ، التى تصدرها وزارة الإعلام ، والمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، بصفة خاصة ، مع أن مفاهيم الثقافة تتسع ، بل توجب أن نعرض للفنون التشكيلية ، وما يقام لها من معارض ، والتأليف الموسيقى ، والإبداع الأدبى الخاص فى مجالات الشعر والمسرح والقصة ، ولكننا نكتفى حاليا برصد جهود المؤسسات الرسمية ، التى توجه أكثر نشاطها إلى أقطار الوطن العربى ، أكثر مما توجهه إلى الداخل ، على أننا لابد أن نشير إلى ثلاث مؤسسات هى بطبيعة تكوينها ، واتجاه نشاطها تعنى بالكويت أصلا ، ومايتجاوزها تعنى به تبعا ، وذلك لسببين : أولا – أنها مؤسسات ولدت قوية ، وأدت وظيفتها البحثية والثقافية بكفاءة واضحة ، مما يعنى أن الهيكل العلمى التنظيمى فى الكويت يتمتع بالحياة والصلابة ، التى تجعله قادرا على اكتشاف آفاق رسالته الثقافية القومية ، ورعايتها حتى تصل إلى مستقرها فى الوجدان العربى العام ، كخدمة واجبة نحو الأمة العربية . وثانيا – أن جانبا لايستهان به من نشاط تلك المؤسسات كان موجها إلى الأمة العربية ، وكان محركا للنشاط الثقافى والعلمى فيها ، وكان عاملا مؤثرا فى تقارب اتجاهات ، ودرجات الوعى العام ، بالتراث الحضارى العربى ، وبواقع العصر الذى نعيش ، وبصيغة المستقبل العربى المأمولة ، وهذا صميم جوهر

الرسالة التقافية فى الكويت .

أما هذه المؤسسات الثلاث فهى :

١ – جامعة الكويت

٢ – معهد الكويت للأبحاث العلمية

٣ – مؤسسة الكويت للتقدم العلمى

وبالنسبة لجامعة الكويت لن نشير إلى أعداد الطلاب ، وكيف اتسعت لتخريج آلاف من شباب العرب من أبناء العاملين فى الكويت منذ تأسيسها عام ١٩٦٦ ، مابين عام ١٩٦٩ و ١٩٨٧ تخرج فى جامعة الكويت ٢٠٥٠٣ طالبا وطالبة منهم ٦٧٣ ١٣ من الكويتيين ، وهذا يعنى أن نحو سبعة آلاف طالب عربى (غير كويتى) تلقى تعليمه الجامعى فى الكويت .(١٠) ولاحجم التجهيزات وتعدد المكتبات ، وخدمات الحاسب الآلى ، والميكروفيلم ، ومراكز الوثائق (مثل مركز دراسات الجزيرة والخليج) وسنكتفى بإحصائية واحدة عن أعداد هيئة التدريس بالجامعة ، لكل كلية على حدة ، من الكويتيين ، وغير الكويتيين ، وسيكون لأعداد الكويتيين فى كل كلية دلالة تزايد أهل الاختصاص ، ومدى نشاط القدرة الخاصة وسيكون لأعداد غيرهم دلالة اتساع بوتقة توحيد أو تقارب المناخ الثقافى العربى ، فليس من شك فى أن أكثر من ٩٠ ٪ من أعضاء هيئة التدريس ، من غير الكويتيين هم من العرب والنسبة القليلة الباقية (١٠ ٪) يتقاسمها الغربيون والباكستانيون والهنود . إن الاحصائية التى نكتفى بها مستمدة من آخر مجموعة أصدرتها وزارة التخطيط فى نفس العام (١٩٨٨) (١١) الذى نتوقف عند أرقامه بشىء من التأمل . غير أننا لابد أن نتذكر أن جامعة الكويت قد بدأت دون أن يكون بها عضو واحد بهيئة التدريس من أبناء الكويت ، كانت تستمد حاجتها من الأقطار

العربية ، كانت جامعة عربية علمية ثقافية ، وتزايدت أرقام القادمين من تلك الأقطار رغم تزايد أبناء الكويت ، لأن التوسع ، والرغبة فى أن تظل جامعة الكويت « عربية » قد حافظ على هذه الصيغة ذات المردود الثقافى القومى ، على حركة التأليف والبحث ، وعلى نمو الإحساس المشترك بين العاملين فى المجال الواحد :

١ – كلية العلوم :

	أستاذ	أستاذ مساعد	مدرس	الجملة
كويتى	٣	١٣	٤٨	٦٤
غير كويتى	٤١	٤٢	٤٤	١٢٧

٢ – كلية الآداب والتربية :

	أستاذ	أستاذ مساعد	مدرس	الجملة
كويتى	٤	١٩	٨١	١٠٤
غير كويتى	٤٧	٣٥	٥٢	١٣٤

٣ – كلية الحقوق والشريعة :

	أستاذ	أستاذ مساعد	مدرس	الجملة
كويتى		٦	١٣	١٩
غير كويتى	١٢	١٨	٢٩	٥٩

٤ – كلية التجارة والاقتصاد :

	أستاذ	أستاذ مساعد	مدرس	الجملة
كويتى	٢	٥	٢٨	٣٥
غير كويتى	١٩	١٩	٢٩	٦٧

٥ – كلية الهندسة :

	أستاذ	أستاذ مساعد	مدرس	الجملة
كويتى	–	٧	٣٦	٤٣
غير كويتى	١٦	٢١	٥	٤٢

٦ - **كلية الطب ، والطب المساعد :**

كويتى	٢	٦	١٦	٢٤
غير كويتى	٣٤	٤٤	٦٨	١٦٤

ونخلص من هذا - دون أن نسرف فى اثقال كاهل هذه الدراسة بالاحصاءات والأرقام ، إن جامعة الكويت ، فى عام ١٩٨٨ كان بها من الكويتيين ٢٨٨ عضو هيئة تدريس يحمل درجة الدكتوراه ، مابين أستاذ (١١) وأستاذ مساعد(٥٥) ومدرس (٢٢٢) .

وكان بها من غير الكويتيين : ٥٧٥ عضو هيئة تدريس يحمل درجة الدكتوراه ، مابين أستاذ (١٦٩) وأستاذ مساعد (١٧٩) ومدرس (٢٢٧) وهذا العدد الوفير ، مقسما على إحدى عشرة كلية وأكثر من ثمانية عشر ألف طالب وطالبة (١٢) له أكثر من مغزى ، فيما نحن بصدده

لقد حققت جامعة الكويت مستوى رفيعا فى التوجه والأداء منذ تأسيسها ، فلم تكن « معملا » لتخريج المتعلمين ، بل كانت أكثر تجاوبا مع متطلبات العصر ، جامعة للبحث العلمى ، وخدمة المجتمع والتدريس (١٣) . ولانستدل على هذا بمن خرجت من طلاب ، أو بما منحت من درجات علمية عالية (الماجستير والدكتوراه) أو من خلال شبكة العلاقات البحثية التى أقامتها مع مراكز البحوث المختلفة فى العالم ، مع مالهذا كله من دلالات ، ولكننا سنكتفى - مؤقتا - بوثيقة واحدة ، تبين كيف كانت جامعات تسبق جامعة الكويت وجودا ، ومع هذا ترسل إليها بحوث أساتذتها المتقدمين للترقية ، لتقويمها ، والحكم عليها . أما معهد الكويت للأبحاث العلمية ، فقد أنشىء عام ١٩٦٧ ، وتطورت أوضاعه حتى اكتسب شخصية اعتبارية ، وأصبح مؤسسة عامة عام ١٩٨١ ، يديرها مجلس أمناء برئاسة وزير الدولة . واهتمامات المعهد

كويتية خالصة ولهذا يحتسب نشاطه فى إطار دعم القدرة العلمية الخاصة للكويت ، وآخر ماتدل عليه إحصاءاته أنه فى عام ١٩٨٩ كان عدد الموفدين من باحثيه للحصول على درجة الدكتوراه (٣٧) موفدا ، وعدد الموفدين للحصول على الماجستير (٢٩) موفدا .(١٤)

ونصل إلى مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، وقد أسست عام ١٩٧٦ ، ونص المرسوم الأميرى بإنشائها على أهداف ، من بينها :

- تقديم المنح والجوائز والمكافآت لدعم التطور الفكرى والحضارى فى الكويت والأقطار العربية الأخرى .
- تشجيع ودعم وتنمية مشاريع البحوث والبرامج العلمية المشتركة بين الهيئات العلمية الكويتية من جهة ، والعربية والدولية من جهة أخرى . (١٥)

ومن الأساليب التى تنتهجها المؤسسة فى تشجيع العلماء والباحثين فى الكويت والبلاد العربية والإسلامية – غير تمويل ودعم البحوث المشتركة – تقديم جوائز سنوية (جائزة الكويت ، وجائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ، وجائزة معرض الكتاب العربى ، وجائزة أفضل باحث) وكل جائزة من هذه الجوائز تنقسم إلى شطرين ، ينالها فى كل فرع شخص كويتى ، وآخر عربى ، اذا ماتوافر من يرتقى عمله إلى مستوى الجائزة من كليهما .

لقد تنوعت أنشطة مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، وتشعبت لتصبح مشاركا أساسيا فى صنع الثقافة العربية ، وتشكيلها ، ولم نكن نعرف عنها فى سنواتها الأولى غير أنها تمنح الجوائز الأدبية والعلمية لكبار الأدباء والعلماء العرب ، كما تمنح جائزة لأحسن كتاب كويتى ، وأحسن كتاب عربى (غير كويتى) فى معرض الكتاب بالكويت ، كل عام ، وهى جميعها جوائز سخية ، ولكن الأمر تعدى هذا النشاط الرمزى الموسمى ، إلى المشاركة التأصيلية

الدائمة ، من خلال استضافة المحاضرين ، وتسجيل محاضراتهم صوتيا ، وبالفيديو ، لتصبح كتابا مسموعا مرئيا ، ومن خلال سلاسل مطبوعات متخصصة ، لدعم المكتبة العربية ، ومساندة حركة التعريب ، وقد أصدرت بالفعل السلاسل التالية :

١ - الموسوعة العلمية
٢ - كاتب وكتاب
٣ - الكتب المترجمة
٤ - المؤلف الناشىء
٥ - الرسائل الجامعية
٦ - الثقافة العلمية
٧ - التراث العلمى العربى
٨ - موسوعة الكويت العلمية للأطفال .

إن تحت كل محور من هذه المحاور عددا من المؤلفات القيمة ، التى عرفت طريقها إلى معارض الكتب فى الأقطار العربية ، وتدخل فى صميم النسيج الثقافى من باب الجودة الفنية ، والأهمية العلمية(١٦) . ومن الواضح - من مجرد قراءة العناوين والتعرف على المحاور - أن نشاط المؤسسة مناصفة بين خدمة البيئة الكويتية ، وخدمة الثقافة العربية والفكر العربى بوجه عام ، بل لعل هذا القسم الأخير يحظى بالقدر الأكبر من الاهتمام والرعاية .

الترقيات العلمية العدد ٥١٢٤٠ \ ٢ ((سـرى)) التاريخ ١٩٨٦/٩/٢٠

كلية الآداب مكتب العميد
وارد ٢٨٠٠ ٩/٢٨ ١٩٨٦

الى / الاستاذ الدكتور عميد كلية الاداب
جامعة الكويت
دولة الكويت

م/ تقويم ابحاث

تحية طيبة ..

لقد دأبت جامعة بغداد على ارسال ابحاث اعضاء الهيئة التدريسية فيها عند النظر في ترقيتهم لمرتبة الاستاذية الى اعلام من ذوى الاختصاص لدراستها وتقويمها من حيث الاصالة والابتكار وفيما اذا كانت تحتوى على اضافة جديدة للمعرفة.

ونظرا للمكانة العلمية التي تحتلونها بجامعتكم الموقرة، لذا فاننا نرفق لكم بعض من النتاج العلمي للدكتور جميل نصيف جاسم الاستاذ المساعد في كلية الاداب بجامعتنا.

راجين التفضل بتقويمها وفق الاستمارات المرفقة طيا وان تعذر ذلك عليكم نرجو احالتها الى احد التدريسيين ممن تتوسمون فيه الخبرة والكفاءة والمستوى العلمي في اختصاص طالب الترقية ممن هم بمرتبة استاذ.

نرجوان ينال هذا الموضوع اهتمامكم ، آملين استلام اجابتكم خلال شهر شاكرين تعاونكم معنا في هذا المضمار العلمي.

تفضلوا بقبول فائق الشكر والتقدير.

المرفقات

٧ ابحاث مع الاستمارات
السيرة العلمية

الدكتور حمدى عبد العزيز الفيا[illegible]
المساعد العلمي لرئيس الجامعة

نسخة منه الى /

سكرتارية لجنة الترقيات العلمية / ٢ / لصرف المكافأة المقررة وقدرها / ٣٠ ثلاثين دينار عند استلام التقرير.

ملفة الكتب السرية

خلود ٩/١١

وثيقة ٧

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الكويت
كلية الآداب
مكتب العميد

سري

التاريخ ٢٩/ ٩ / ١٩٨٦

الى : السيدة الدكتورة رئيسة قسم اللغة العربية وآدابها المحترمة

الموضوع : بحث الإنتاج العلمي للدكتور جميل نصيف جاسم الأستاذ المساعد بكلية الآداب من جامعة بغداد .

يرجى :

- [ ] الافادة بالرأي في موعد أقصاه
- [x] لاتخاذ ما يلزم والافادة .
- [ ] الرد مباشرة .
- [ ] الاحاطة علما .

العميد

كلية الآداب مكتب العميد
صادر داخلي ٨٩١ ٢٩/٩/١٩٨٦

الى الاستاذ الدكتور/ محمد حسن عبدالله
يرجى التفضل باتخاذ اللازم نحو موضوع ترقية الدكتور/ جميل نصيف والإفادة في أقرب فرصة ممكنة
٤/١٠/٨٦

المرفقات :
الاوراق المتعلقة بالموضوع ٢/١٠/٨٦
وعددها (٨) + النتاج العلمي .

وثيقة ٨

مؤشرات الأرقام :

إننا لانملك الآن أرقاما تفصيلية لميزانيات هذه المؤسسات العاملة فى خدمة الثقافة (على المستوى القومى) وأوجه إنفاق تلك الميزانيات ، ولعلنا — أيضا — لانرى ضرورة ملحة للإغراق فى حديث الأرقام أو الاستنتاج منها وحدها ، فمن جانب نرى أنه لاجدوى لقوائم الأرقام إن لم يصدقها عمل ملموس يجده المواطن العربى قائما بين يديه هو شخصيا أو شاخصا فى مرأى معلوماته اليقيبية ، بحيث لايختلف على وجوده ، كما لايختلف على أهميته ، ولن تكون أرقام المال — منفردة — دليلا على العمل ، أو على وجهة العمل ، والأهداف المرتجاة منه ، وكم من ميزانيات عظيمة الأرقام ، ثم هى عند التنفيذ تستهلك مابين رواتب الكبراء والخبراء ، وحيل السماسرة والمنتفعين ، فلا يصل منها فى النهاية — إلى مصبها الحقيقى — غير قطرات لاتروى ظمأ .

إن آخر ميزانية معلنة للمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب (عام ٨٧ / ١٩٨٨) تبلغ بالدنانير الكويتية ثلاثة ملايين ، وثلاثمائة وخمسة وستين ألف دينار . ونقرب هذا الرقم إلى الدولار الأمريكى (الدينار الكويتى ثلاثة دولارات أمريكية ونصف الدولار تقريبا) فيرتفع الرقم إلى مايقارب الاثنى عشر مليونا من الدولارات ، فى السنة — كما قدمنا (ولعل الرقم كان أقل فى السنوات الأسبق) ومهما يكن ، فإن هذه الملايين كانت وراء صدور « عالم المعرفة » و « الثقافة العالمية » وإقامة معارض الكتب ، والمعارض الفنية فى العواصم العربية ، واقامة الأسابيع الثقافية ، وسيل المطبوعات التراثية والمترجمات الثقافية(١٨) ولسنا نحاول أن نجمع أشتات ماتنفق الكويت من أموال فى سبيل الخدمة الثقافية على المستوى القومى ، فهو متعدد الجوانب ، ومتداخل أيضا مع خدمات أخرى ، ويكفى أن نتذكر أن هذه الخدمة الثقافية

لها أنصبة ثابتة فى مجالات وزارة التربية ووزارة الأوقاف ، ووزارة الإعلام ، ووزارة التعليم العالى ، بما يتبعها من معاهد وجامعة الكويت أيضا .

غير أننا نشعر بأهمية أن تكون لنا وقفة متأنية ـــ بعض الشىء ـــ مع جهود الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى ، وهذه الهيئة توضع ضمن العلاقات الخارجية ، وليس بدعا أن تكون أنشطتها ـــ فى صميمها ـــ ثقافية ، فهذا الوجه الحضارى هو الذى آثرته الكويت فى علاقاتها العربية . ومن الواضح فى تسمية الهيئة أنها خصصت لمساعدة إمارات الخليج التى لم يكن النفط قد ظهر بها ، وتحتاج إلى دعم مادى لتحافظ على سكانها ، وتواكب حركة التطور والتعمير فى الخليج ، ثم الجنوب العربى ، أو اليمن بشطريه ، ومايقاربه من مناطق نعرف مدى « الإهمال التاريخى » الذى تعرضت له ، والتخلف المضنى الذى فرض عليها طوال حقب وعصور . ومن المؤكد أن نشاط الكويت فى مجال تنمية الخليج ثقافيا وحضاريا سبق تكوين الهيئة ، التى أنشئت أصلا لتنظيم هذا الدور وافراده برعاية ومسئولية محددة .

لقد حفظت لنا المجموعة الإحصائية السنوية أرقام ميزانية الهيئة على مدار الخمس سنوات الأخيرة (مابين ١٩٨٣ ـــ ١٩٨٨) فكانت كالآتى :(١٩)

١ ـــ عام ٨٣ / ١٩٨٤ بلغت ميزانية الهيئة خمسة عشر مليونا ، وثمانمائة وخمسة وعشرين ألفا من الدنانير (١٥,٨٢٥,٠٠٠) دينارا كويتيا .

٢ ـــ عام ٨٤ / ١٩٨٥ بلغت الميزانية خمسة عشر مليونا ، وسبعمائة وعشرين ألفا من الدنانير (١٥,٧٢٠,٠٠٠) دينارا كويتيا .

٣ ـــ عام ٨٥ / ١٩٨٦ بلغت الميزانية ثلاثة عشر مليونا ، وأربعمائة ألف دينار (١٣,٤٠٠,٠٠٠) دينارا كويتيا .

٤ ـــ عام ٨٦ / ١٩٨٧ بلغت الميزانة تسعة ملايين دينار ، وتسعمائة وثلاثة

وستين ألفا من الدنانير (٩,٩٦٣,٠٠٠) ديناراكويتيا

٥ ــ عام ٨٧ / ١٩٨٨ بلغت الميزانية اثنى عشر مليونا وخمسمائة وخمسة وعشرين ألفا من الدنانير (١٢,٥٢٥,٠٠٠) ديبارا كويتيا .

ونحن نقرأ هذه الأرقام سنضع فى اعتبارنا أمرين لنتمكن من مقاربة ماتدل عليه :

١ ــ أن الدينار الكويتى يساوى ثلاثة دولارات ونصف الدولار الأمريكى ، وهذا يعنى أن الرقم (فى هذه السنوات الخمس التى تمدنا بها الاحصائية) يتحرك فى مستواه الأدنى حول الخمسة والثلاثين مليونا من الدولارات ، ويرتفع فى مده الأعلى (فى حدود الاحصائية) الى مايتجاوز الخمسين مليونا سنويا .

٢ ــ أن هذه السنوات الخمس كانت تشهد نوعا من الانكماش الجبرى فى بعض الأنشطة الكويتية الداخلية (الموجهة الى المواطن) والخارجية التى تبذل كمساعدات بسبب موقف الكويت (فى تلك السنوات خاصة) من الحرب العراقية الايرانية ، وماحملتها من أموال وجهود متنوعة ، والتزامات أدبية .

غير أننا نعرف ، وسنقدم وثائق هذا فى حين آخر ، أن ميزانية الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى تجاوزت فى بعض سنواتها ثمانية عشر مليونا من الدنانير . ومع هذا ــ فيما نرى ــ أن القضية الأهم هى : فيم أنفقت هذه الملايين عبر السنين ؟ وهل اتسع الخليج لهذا الكم الهائل ؟ وإلى أين ذهبت هذه الأموال بعد أن أصبحت امارات الخليج جميعها ــ أو فى مجموعها ــ امارات نفطية تستطيع أن تنفق على نفسها بسخاء وتحفظ مشروعاتها دون مساعدة ؟

تقول الحقائق والأرقام(٢٠) أن الهيئة ركزت جهودها منذ إنشائها لمساعدة الجمهورية العربية اليمنية ، وجمهورية اليمن الديمقراطية . ولكننا نجد لها جهودا واضحة فى إمارات الخليج ، التى أسفر اتحادها عن قيام « دولة الإمارات العربية المتحدة » ، ومن ثم فقد أنهت الكويت أعمالها ، وأغلقت ملف مساعداتها الفنية للدولة الجديدة الغنية بمواردها النفطية ، وهذه العبارة تحدد المدة ، كما تحدد مفردات « العمل » : فى اليوم الحادى والعشرين من شهر سبتمبر عام ١٩٧٢ تسلمت دولة الإمارات العربية من الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى ٣٣ مدرسة ، ومعهدين للمعلمين والمعلمات ، ومعهدا للدراسة التجارية ، وأربعة مستشفيات ، وخمسة مستوصفات ، عدا محطة التلفزيون ، التى استمرت إلى نهاية ديسمبر من عام ١٩٧٢ . هذه جهود الكويت فى النهوض بست من إمارات الخليج ، قبل اتحادها مع غيرها فى دولة الإمارات ، وقد بدأت هذه المشروعات منذ عام ١٩٥٣ (مما يعنى أنه لم يكن مر على تصدير النفط من الكويت ذاتها أكثر من سبع سنوات وكان نصيب الكويت من عائداته ضئيلا جدا ، ويعنى أيضا أن طريق المساعدات بدأ قبل إعلان الاستقلال بثمانية أعوام) وتدل العبارة أيضا – التى تنص على أن الدولة « تسلمت » أن الكويت لم تكن تنشىء فقط هذه المؤسسات ، وإنما كانت تنشئها وتديرها ، وتنفق على صيانتها .

وفى البحرين قامت الهيئة ببناء ٤٢ مدرسة ، وأربعة مبان لكليات جامعة البحرين ، و١٢ مركزا صحيا ، وتكملة مركز السليمانية الطبى ، ومجمع سكنى للممرضات ، ومحطة للإرسال التليفزيونى . ونقول ملحوظة تحدد مستوى العلاقة« هذه المشاريع يتم تأثيثها ، وتجهيزها ، قبل تسليمها لحكومة البحرين ».

وقد ارتبطت مساعدات الكويت لليمن باستقرار العهد الجمهورى ، وانتهاء نظام الإمامة الذى لم يكن ليسمح بأية محاولة للتنوير أو الإصلاح ، كما ارتبطت مساعدات اليمن الجنوبى برحيل بريطانيا وانتهاء الاستعمار . فبالنسبة للجمهورية العربية اليمنية كانت البداية عام ١٩٦٣ : ثمانى مدارس ، ومستشفى عاما ، وخمسة مستوصفات ، ودارا للمعلمين ، ومكتبة عامة (بالإضافة إلى مسجدين على نفقة أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم) .

وامتدت المساعدات الثقافية ، وتنوعت قنواتها ، حتى انتهت إلى الصورة الإجمالية التالية ، فى عام ١٩٨٨ :

١٦ مدرسة ابتدائية

٢٩ مدرسة اعدادية

١٣ مدرسة ثانوية

١٠ معاهد عليا وكليات

ثم ...

توجت الكويت مساعداتها بإنشاء جامعة صنعاء ذات الكليات الست : الشريعة والقانون ، والتربية ، والعلوم ، والآداب ، والتجارة ، والاقتصاد والعلوم السياسية ، والطب والعلوم الصحية .

لم يتوقف الأمر عند بند « الإنشاء » على ضخامته ، ومايعنى من تيسيرات فالكويت – وإلى اليوم – تقوم بالجانب الأكبر من الرعاية العلمية والمادية لهذه الجامعة ... فمنذ عام ١٩٧٢ والكويت تتكفل بهيئة التدريس ، التى بلغ مجموعها ٢٧١ عضوا من بينهم ١٥٠ أستاذا ، وأستاذا مساعدا ، ومدرسا من حملة الدكتوراه ، فتدفع لهم رواتبهم وبدل طبيعة العمل ، ونفقات السفر ،

وتوفر لهم السكن ، بالإضافة إلى مايتطلبه التوسع فى منشآت الجامعة ومايستجد من مطالبها ، ففى هذه المدة شيدت الكويت - فى نطاق الجامعة - خمسة عشر مبنى مستقلا .(٢١)

ويبدأ عمل الكويت فى اليمن الديمقراطية عام ١٩٧٠ ، وينمو حتى يحقق : ٤٨ مدرسة مابين ابتدائية ، واعدادية ، وثانوية ، ومكتبة عامة ، ومركز تنمية ادارية ، وعددا من المعاهد العليا والمتوسطة ، ومايلزمها من المدرسين المؤهلين إلى درجة الدكتوراه

ومع أن أعمال الهيئة ، محددة بقرار انشائها ، تحصر نشاطها فى الخليج وجنوب الجزيرة ، فإنها - حين وجدت الفرصة - امتدت إلى جنوب السودان لما نعرف من أوضاعه الاقتصادية ، وترامى مساحاته ، ومايترتب على هذه وتلك من مشكلات التعريب أو التغريب التى نعرف . وليس من شك فى أن هذه المعانى كانت وراء اختيار جنوب السودان بالذات ، وانتقاء « مفردات » المساعدة على نحو خاص ، فتقول عبارات التقرير الموجز « فى جنوب السودان ورغم الصعوبات الضخمة القائمة هناك ، قامت الهيئة العامة ببناء مجمع سكنى للموظفين السودانيين ، يضم أربعين مسكنا صغيرا فى جوبا ، الى جانب ٢١٤ مسكنا شعبيا ، ومستشفى للأطفال ، يتسع لخمسين سريرا وللهيئة مكتب مقيم فى جوبا يتولى التخطيط والإشراف ، على إنشاء عدد من المدارس والمساجد حاليا ».

الهوامش والمصادر

١ – وقد كانت سفينة الغوص تحتفظ بالنهام ، وهو المغنى ، الذى يطلق صيحاته الشجية موافقة لنوع العمل المطلوب ، مثل رفع الأشرعة ، أو التأهب للغوص ، الخ ، ورقصة « العرضة » – وهى أشهر الرقصات البدوية حيث يلعب الشباب والشيوخ فى صف متماسك بالسيوف ، ويرددون الغناء الجماعى . ويؤدى التصفيق الجماعى دورا إيقاعيا أساسيا فى أى لحن خليجى ، ولهم فيه فنون لايستطيعها غيرهم .

٢ – هذا رقم تقديرى ، إذ تدفق النفط وصدرت أوائله عام ١٩٤٦ ، أما أول تعداد فقد أجرى عام ١٩٥٧ وتسجل المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٨٨ ، (ص ٢٧) أن عدد السكان الكويتيين فى ذلك العام (١٩٥٧) بلغ ١١٣,٦٢٢ نسمة وعدد غير الكويتيين فى نفس السنة ٩٢,٨٥١ نسمة ، أما فى عام ١٩٩٠ فالعدد تقديرا ٨٢٦,٥٨٦ كويتيا و ١,٣١٦,٠١٤ غير كويتى ، فتكون جملة السكان ٢,١٤٢,٦٠٠ نسمة .

٣ – ديوان الشاعر فاضل خلف « على ضفاف مجردة » عن أيامه فى تونس ، وكان يعمل بسفارة الكويت هناك ، وديوان محمود شوقى الأيوبى « ألحان الثورة » يتغنى بعبد الناصر والمد القومى فى الخمسينيات .

٤ – مجلة الشعب الكويتية ٨ / ١ / ١٩٥٩ وغالبا تدل الكنية (ابو كامل) على أن كاتب المقال غير كويتى .

٥ – صحيفة الوطن : ٧ / ١ / ١٩٦٣

٦ – صحيفة الوطن : ١٦ / ١٢ / ١٩٦٣

٧ – تصدر فى الكويت سبع جرائد يومية : الرأى العام ، السياسة ، القبس ، الوطن ، الأنباء ، وهذه الخمس باللغة العربية ، أما آداب تايمز ، وكويت تايمز فتصدران باللغة الانجليزية والأوردية والملايالا الهندية . وهناك أكثر من سبعين مجلة بين أسبوعية

وشهرية متنوعة مابين الأدب والطب ، والتربية ، والرياضة ...الخ وتضم جمعية الصحفيين الكويتية ٤٠٠ عضوا (كويتيا وغير كويتى) أما وزارة الإعلام فقد أصدرت أكثر من ٧٠٠ بطاقة صحفية للعاملين فى الصحافة ، أى النقابيين وغير المتفرغين .

٨ - ورد هذا الرقم فى مقال بالعدد التذكارى لمرور ربع قرن على صدور العربى ص ٢٢ - العدد ٣٠٢ يناير ١٩٨٤ ، وبقية الإحصاءات من إدارة مجلة العربى وأرشيفها بالقاهرة .

٩ - راجع فى هذا : الكويت : حقائق وأرقام ١٩٨٨ - وزارة الإعلام ص ١٠٢ ، ١٠٣

١٠ - الكويت : حقائق وأرقام (١٩٨٨) ص ٢٢٨

١١ - نرجع فى هذه الأرقام إلى « المجموعة الإحصائية السنوية » التى أصدرتها وزارة التخطيط (الإدارة المركزية للإحصاء) عام ١٩٨٨ - العدد الخامس والعشرون : الجدول رقم ٣٤٦ ص ٤٠٨

١٢ - أشارت احصائية هيئة التدريس إلى كلية الآداب والتربية ، وهما كليتان لا واحدة ، وكذلك الأمر بالنسبة للحقوق والشريعة ، والطب والطب المساعد ، فهذه تسع كليات ، يضاف إليها كلية البنات ، وكلية الدراسات العليا . راجع : الكويت: حقائق وأرقام ١٩٨٨ - وزارة الإعلام ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، ويضاف إلى كليات الجامعة كليات ومعاهد عليا تتبع الهيئة العامة للتعليم التطبيقى ، ووزارة التعليم العالى مثل : كلية التربية الأساسية ، كلية الدراسات التكنولوجية ، المعهد العالى للتربية الموسيقية ، المعهد العالى للفنون المسرحية ، المعهد العالى للتربية الرياضية .

١٣ - وقد تجسد الهدف العام فى جهاز محدد هو « مركز خدمة المجتمع والتعليم المستمر » التابع للجامعة ، ويهدف إلى تطوير القدرات العلمية والثقافية والفنية للمنتسبين إليه ، دون أى شرط خاصة بسنوات الدراسة أو السن أو المؤهل ، بعد اجتياز اختبار للمستوى ، وتحديد لوجهة الدارس .

١٤ - دليل مراكز البحث العلمى فى دول الخليج العربى ص ٤٧ مكتب التربية العربى لدول الخليج : الرياض ١٩٨٩

١٥ – المصدر السابق : ص ٥١

١٦ – فى المجال التربوى – على سبيل المثال – نجد : الجامعات المفتوحة ، التقنيات التربوية فى تدريس العلوم ، التعليم الذاتى وتطبيقاته التربوية ، مناهج البحث التربوى (ترجمة) . وعن الطفل (وهو محور اهتمت به كافة المطبوعات الكويتية ، وأولته مايستحق من اهتمام نجد غير الموسوعة العلمية : رعاية الحضين ، دليل الآباء والمعلمين فى مواجهة المشكلات اليومية للأطفال والمراهقين ، من أنا ؟ (البرنامج التربوى النفسى لخبرة من أنا ؟ الموجهة لأطفال الرياض بين النظرية والتجربة إلخ ..

١٧ – المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٨٨ : ص ٢٨٤

١٨ – لن نحاول الوقوف عند ميزانية وزارة الإعلام ، فمهمة هذه الورارة تتجاوز الرسالة الثقافية على المستوى العربى القومى ، الى المحيط العالمى ، ولكننا سنذكر لها إلى جانب الاذاعة التى تبث براجمها العربية دون توقف ليلا أو نهارا ، وتبث باللغات الأوربية ، والفارسية ، ولغات أوربا ، فضلا عن إذاعة الموسيقى ، وإذاعة القرآن الكريم ، سنذكر لها حرصها على سلسلة من المسرح العالمى التى بلغت (٢٥٠) مائتين وخمسين مسرحية ، ودوريتها الفصلية الضخمة – المتميزة « عالم الفكر » .

١٩ – المجموعة الإحصائية السنوية ١٩٨٨ : ص ٢٨٥ جدول رقم ٢٥٤

٢٠ – من كتاب : الكويت : حقائق وأرقام ص ١٠٣ ومابعدها .

٢١ – ولم نشر إلى مستشفى الكويت العام بصنعاء ، الذى يضم ٢٥٠ سريرا ، و١٦ قسما ، وبه ٤٩ طبيبا و١٢٥ ممرضة ...الخ ، فهذا ومثله مما أشرنا إلى بعضه لايدخل بشكل مباشر – فيمايفهم عادة من الثقافة والعمل الثقافى .

القسم الثاني

المحتـــوى
بين الوسائل والأهداف

الفصل الثالث

رسالة الكويت الثقافية

«تحليل المحتوى»

لم نبدأ فى هذه الدراسة بتحديد مصطلحى الثقافة ، والتنمية ، اللذين تقوم عليهما ، (مع الأهمية المنهجية) لكثرة ، وتداخل التحديدات فى الأول وشيوع الآخر وبلوغه حد الابتذال فى التداول ، ورأينا أن تحديدهما أو الاقتراب منهما ، من خلال مفردات المحتوى والأهداف المتوخاة من اختيارها ، وتنظيم توْقيتها ، وإيقاعها ، والخدمة المبذولة فى تجليتها للمتعاملين معها ، ربما يكون هذا المسلك (العملى) أكثر تناسبا ورسالة الكويت الثقافية ، التى توضع كخطة نظرية متكاملة منذ البدء مبرمجة على مراحل تظهر تباعا ، وهذا غير ممكن عمليا ، بالنسبة للكويت أو لأية دولة عربية على حدة (مهما كانت استطاعاتها) لأن هذا العمل ينبغى - لكى يتم - أن يتجاوز مرحلة تحليل الواقع العربى الشامل ، والتعرف على خصائصه الإيجابية (ثقافيا) لتنميتها ، والسلبية لتغييرها ، إلى قياس التغير ، والتطور بصورة مستمرة ، وتعديل الخطة وتنمية الأهداف بناء على ماتحقق بالفعل ، واختبرت نتائجه . مع هذا يمكن القول دون أدنى مجازفة ـــ أن رسالة الكويت الثقافية الموجهة إلى الأمة العربية تأخذ نسق الخطة المتكاملة ، المبرمجة بدافع من ثبات الأهداف وتجنيب أساليب الأداء أى تخلخل أو اضطراب ، بسبب من تحكم المزاجية الشخصية ، أو اختلاف المواقف الرسمية (الحكومية) مابين مرحلة وأخرى ، أو تبعا لمجريات الأحداث السياسية والاقتصادية التى تتعرض لها الكويت ، أو تتعرض لها العلاقات الكويتية - العربية بشكل عام .(١)

وإذا استطعنا – بطريقة ما – تجنب الجدل حول ماهية الثقافة ، فإننا لن نستطيع أن نفعل الشيىء ذاته فى تحديد أهدافها ، فهذه الأهداف هى التى تؤدى إلى تحديد المحتوى ، وفرز الصواب من الخطأ ، والمقبول والمرفوض من الأساليب . أما الهدف ، أو الأهداف ، فيقربها إلينا التطلع إلى الحد الأقصى أو المثل الأعلى ، وهو العلو إلى أقصى حد بالتكوين العقلى والروحى والأخلاق للإنسان ، وبطريقته فى التفكير ، وتأمل العالم وتذوقه ، أى أن تصبح الثقافة تكوينا باطنا ، داخليا ، تلقائيا فى الانسان ، لايعود معه محتاجا إلى عون خارجى .(٢)

ويضيف مالك بن نبى : « أن أساس كل ثقافة هو بالضرورة تركيب ، وتأليف لعالم الأشخاص ، وهو تأليف يحدث طبقا لمنهج تربوى يأخذ صورة فلسفة أخلاقية (٣) مع نصه على أن جوهر الثقافة يتحدد بما نحركه من قوى فى الفرد ، وفى المجتمع .(٤)

فى تعرضنا لمحتوى رسالة الكويت الثقافية ، يمكن أن يطرح الموضوع من مستويات مختلفة وكل منها لاشك له أهمية خاصة فى جلاء طبيعة هذا المحتوى ، وتفاصيله . مثلا : فى محور الاهتمام بالتراث ، لايكفى التعميم ، بل لابد من كشف التوجه والرؤية ، بل طريقة العرض الحديثة لهذا الموروث القديم . وفى الأخذ (أو الترجمة) عن الثقافات الأخرى : ماهذه الثقافات ، وماطبيعة ماأخذنا منها ، ومن أى عصورها أخذنا ؟ وفى آليات العمل الثقافى ينبغى البحث فى طريقة التوصيل وكفاءة هذه الطريقة . وفى استخدام العناصر البشرية الصانعة والموجهة للثقافة ، فى حدود الاطار العربى ، إلى أى مدى استمدت ينابيع العصور والمناطق والأعراق والمداس الفكرية ...الخ هذا كله نشعر بأهميته ، ونقدر ضرورته فى غير هذا السياق ، أو هذا المدى ، ونرى أن

التحليل الموضوعى يمكن أن يقرب إلينا صورة هذه الرسالة التى نستكملها فى فصل قادم بالتعرض لمستويات الخطاب ، أو أشكاله ، ووسائطه .

وقد تكون إضاءة مهمة أن نقدم لهذا التحليل الموضوعى بتعريف موجز بالخطة الشاملة للثقافة العربية ، ومنذ كانت أملا مبعثرا متعثرا ، إلى أن تبلورت ، وتحققت بالجهد والتنظيم والمتابعة التى بذلتها الأجهزة الثقافية فى الكويت .

وهذه التقدمة تبدو لنا مهمة لسببين ، ذكرنا أولهما ، وهى أنها أنجزت فى الكويت وبرعايتها ، وثانيا ، أو أن هذا هو السبب الأول فى الحقيقة : سنجد تقاربا يكاد يبلغ حد التطابق ، بين ماتدعو إليه الخطة الشاملة لخلق ثقافة عربية واحدة ، تناسب العصر ، وتقود إلى المستقبل ، وبين ماانتهجته سياسة الكويت الثقافية ، ومشروعاتها ، قبل الخطة الشاملة وبعدها ، فكأنما اعتبرت الكويت نفسها « وكيلا » عن الأمة العربية فى التطبيق والتنفيذ .

مقدمة عن الخطة الشاملة للثقافة العربية

لانجد عبارة جامعة دالة ، حاولت أن تقرب وصف هذا المشروع الحيوى الضخم وتشير إلى أهميته البعيدة المدى ، أصدق من قول محى الدين صابر فى تصدير التقرير النهائى : إن هذا الجهد التاريخى الذى ظل حلما قوميا غاليا ، فاستوى عملا صالحا ، امتلكت به الأمة العربية . ـ وهى تواصل مسيرة التقدم الحضارى — وثيقة فكرية بينة ، فى هذا المستوى للثقافة العربية .

المتحدث هنا هو المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومع هذا فإن حديثه لن يكون بديلا عن ضرورة التعرف على ماهية هذا الحلم القومى الذى استوى عملا صالحا ، والخطوات الواثقة الدؤوب التى بذلت فى

سبيل ذلك ، والعقبات والاخفاقات التى سبقت تحقيق الحلم ، ومن ثم : القوى المؤثرة التى بلغت بالخطة الاكتمال ، وأتاحت لها أن تتخطى جميع السلبيات ؟

تحت عنوان الأهداف والمبادىء يعترف فؤاد زكريا فى بحثه عن المبادىء الأساسية للتحطيط الثقافى من زاوية عربية ، بصعوبة طرح الموضوع محددا بالإطار العربى ، ملتزما بالواقع والطموح للأمة العربية ، « فلو كان الأمر مقتصرا على تحديد المبادىء والأهداف العامة لأصبحت المهمة هينة إلى حد بعيد : إذ أن الهيئات والمنظمات الدولية قد استقرت ، فى مؤتمراتها وحلقاتها وندواتها ، على مجموعة رئيسية من الأهداف العامة للتخطيط الثقافى أصبح معترفا بها على الصعيد العالمى ، ولم يعد من الممكن تجاهلها فى أى تخطيط اقليمى للسياسة الثقافية . ولكن المبادىء ذاتها ليست هى المشكلة الحقيقية ، وإنما تبدأ المشكلة فى الظهور حين يسعى المرء إلى معالجة هذه المبادىء فى السياق العربى على وجه التخصيص ، وحين يحاول أن يترجمها إلى واقع يصلح للانطباق على ظروف الأمة العربية فى المرحلة الراهنة من تاريخها(٥)

وتتوالى تساؤلات الكاتب عن ملائمة التوقيت لما تعيش الأمة من قلق وماتعانى من اضطراب ، وكأن التخطيط للثقافة آخر ماينبغى أن يشغل المفكرون به عقولهم : فهل تملك الأمة العربية هذا الترف فى حضيض العجز والسلبية الذى توقفت عنده فى المرحلة الراهنة ؟ هل يستطيع أن يرسم الخطط لمستقبل الثقافة ذلك العقل الذى يجد نفسه فى الوقت الراهن مدفوعا فى كل لحظة إلى اليأس من المستقبل ، والتشكك فى إمكان استمرار وجودنا ذاته ؟ وهل يستطيع العقل العربى أن يضع خططا يفترض فيها أن تنطبق على الثقافة العربية بمعناها العام ، فى الوقت الذى تكاد فيه الانقسامات والخلافات والتمزقات أن تؤدى إلى فقدان كلمة عربى ذاتها ، بمعناها الشامل ، كل مدلول لها ؟(٦)

إن طموح هذه التساؤلات ليس القصد منه الكشف عن عوائق أو صعوبات فى طريق البحث ، وإنما بالأحرى ليفضى بالدوافع التى تجعل من كتابة هذا البحث ضرورة ملحة ، كما تجعل من وضع خطة شاملة للثقافة العربية تحديا يمس جوهر وجودها ، وصميم مستقبلها .

مبررات الخطة الثقافية الشاملة

لقد تولى المجلد الأول – من بين ستة مجلدات شملت كل مراحل العمل – تحديد الأسس والدوافع والنتائج ووسائل العمل . وهذا الجهد العظيم لايغنى عنه عرض أو تلخيص ونكتفى – فى هذا السياق – بالإشارة إلى المبررات التى حتمت وجود هذه الخطة الثقافية الشاملة ، رغم عوامل الإحباط ، وقد انطوت المبررات على كثير من مبادىء العمل التى روعيت فى اختيار المحاور وموضوعات الندوات ، ومن ثم التوصيات ، أو صيغة المشروع . فى خمس عشرة فقرة متعاقبة جاءت هذه المبررات :

١ – ففى هذه الفترة من أواخر القرن العشرين تنتاب العالم موجة من التحولات التى تمس حياة المجتمعات فى الصميم ، مما يتشكل ثورة ثقافية وتحديا فى نفس الوقت ، وبالنسبة إلينا فإن هذه التحولات أدت إلى تخلف البنى الحضارية عن معطيات العصر ، وقصورها عن التلاؤم معها ، وعجز وسائلها فى الدفاع عن ذاتها تجاه أخطار القوى الخارجية من مختلف الأنواع .

٢ – هذه المتغيرات تتوالى فى المستقبل بأسرع مما نشاهد فى الماضى والآتى ، اعتمادا على الانفجار المعرفى ، والثورة التقنية . وهذا يؤدى بدوره إلى اتساع الفجوة بين الثقافة العربية ، والثقافات العالمية .

٣ – وقد ترتب على الأمرين السابقين (الانفجار المعرفى ، والثورة التقنية) مايشكل خطرا أساسيا على الثقافة العربية ، ومن ثم على الوجود العربى كله ، وهو : ثورة الاتصال التى فرضت فى أحواء الثقافة العالمية السرعة البالغة ، وسعة المعلومات وتشابكها ، وإلغاء الأبعاد وترابطها . وهذه الثورة وضعت المستقبل فى يد الثقافات الأقوى المالكة ، لوسائل الاتصال ... إن الثقافة العربية مرغمة على مواجهة كل ذلك والتعامل معه ، ان شاءت البقاء (٧)

٤ – ان صدمة المستقبل المتجسدة فى ثورة الاتصال ليست تحديا خطيرا للثقافة العربية فحسب ، إنها تصل إلى تهديد كيان الأمة لأنها نوع من الهيمنة الثقافية الكاملة ، والتبعية الفكرية للأقوى . وإذا حدث هذا فإن ثمراته الشديدة المرارة لابد أن تملأ جميع الأفواه ، ماثلة فى عقد النقص ، والاغتراب ، والاحساس بالدونية أمام هذه الثورات وأصحابها ، ومايؤدى إليه هذا هو المزيد من التبعية ، ومن هنا يتولد مصطلح جديد يستحق أن نعنى به هو « الأمن الثقافى »

٥ – وبعد أن تعدد الفقرة السابقة بعض طرائق فرض التبعية علينا من الخارج تتوقف هنا عند العوامل الموروثة والسائدة فى الواقع العربى التى تسهل فرض الهيمنة الثقافية والتبعية للآخرين وفى مقدمتها : الأمية الثقافية وماتؤدى إليه من تنقيص إنسانية الانسان ، فقر بعض الأقطار فى المال أو الخبرات ، أو الخطط والوسائل ، الجفوة بين البرامج التعليمية ومتطلبات العصر ، نقص الحريات « فالديمقراطية الثقافية أساس الديمقراطية السياسية والاقتصادية » ، قصور السياسات الثقافية ، ضعف الصناعات الثقافية ، سيادة الإعلام الترفيهى السطحى . ثم نصل إلى مصب جميع هذه السلبيات :

« فقد نجم عن ذلك كله أن مبادىء أساسية كالوحدة العربية ، والارتباط بالأرض ، والحرية والنضال للأفضل ، قد أصبحت موضع تشكك أو إهمال من جمهرة غير قليلة من المثقفين . والمبادىء لا تقوم ولا تعيش دون وجود من يحملونها ، ويدافعون عنها »(٨)

٦ – وتكون المادة السابقة مدخلا لتتبع ألوان الغياب أو الإختلال فى الخطط الثقافية العربية المنفردة ، فهناك السياسات الاقليمية المتطرفة ، والعجز عن استشراف المستقبل ، والفصل بين الثقافة والتنمية الشاملة ، والعزلة الثقافية عن الأقاليم العربية الأخرى فضلا عن العالم الخارجى .

ولكل هذا وضعت الخطة الشاملة للثقافة العربية ، هادفة إلى تنمية ثقافية رشيدة ناجحة ، ثقافة حديثة ، حية متحركة ، فى مستوى المعطيات العالمية المتطورة . أما هدف هذه الخطة تحديدا فإنه يسترشد بأن يكون اجابة على سؤالين :

(أ) أى انسان عربى نريد فى المستقبل ، ومن ثم : أى مجتمع نريد ؟
(ب) ما الوسائل والسبل الكفيلة بتحقيق ذلك المجتمع ؟

وهذا يعنى – كما تشير الفقرة(٩) أن الخطة الثقافية المطلوبة ليست مجرد تجميع للسياسات الثقافية ، وليست مجرد أفكار عامة . انها عملية تركيبية مبدعة ، وهى إطار مرجعى ، ودستور قومى للثقافات العربية ضمن تنوعاتها الاقليمية .

وإلى هنا ينتهى الجانب التحليلى الوصفى لواقع العجز الثقافى العربى ، فى ظل عالم يتغير بسرعة خاطفة ويتقدم فى ثقافته عبر تقنيات متعددة ، مع رصد التوقعات المترتبة على هذا العجز فى مواجهة التقدم لتبدأ المرحلة الثانية من ذكر

السياسية والاقتصادية ، عرفت ما للثقافة من خطر ، وما لوحدتها من أثر آنى ومستقبلى ، ومن ثم أنشأت إدارة الثقافة فى العام الذى أنشئت فيه الجامعة نفسها ، وتم توقيع الاتفاق الثقافى العربى بين الدول الموقعة على الميثاق فى نفس العام (١٩٤٥)

وقد عقدت عشر مؤتمرات ثقافية ما بين ١٩٤٧ و ١٩٧٠ ، كما أقيمت معاهد تهدف إلى تقوية عناصر التوحد فى الثقافة العربية ، فكان تأسيس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عام ١٩٥١ ، ومعهد الدراسات العربية العليا ، بالقاهرة عام ١٩٥٤ .

وتوالت الخطوات من عقد مؤتمرات على مستوى الوزراء ، إلى توقيع ميثاق الوحدة الثقافية ، واقامة مؤتمرات للأجهزة العاملة فى مجال الثقافة ، ومن أبرزها مؤتمرات أجهزة محو الأمية فى البلاد العربية (وكان أولها فى القاهرة عام ١٩٦٧) ثم اقامة مكتب تنسيق التعريب فى الرباط عام ١٩٦٨ . ويمكن القول بأن مرحلة الإتفاقيات والمؤتمرات (الاجتهادية) انتهت باقامة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بوصفها وكالة متخصصة فى يوليو ١٩٧٠ ، وترتب على اقامتها أن أصبحت جميع المعاهد والمراكز التابعة من الجامعة تابعة لها ، كما أصبح تنفيذ الاتفاقيات الثقافية موكولا إليها ... وهذا يعنى أن وضع « خطة شاملة للثقافة العربية » أصبح – بطبيعة الحال – من مهامها الأساسية ، لأن مثل هذه الخطة هى التى تحدد آفاق العمل ، وتحول دون التناقض ، وتكشف الانحراف والتحريف ، وتحمى الجهود المبذولة من أن تتبعثر أو تتشرذم .

فهل استطاعت المنظمة أن تؤدى دورها فى هذا السبيل ؟

لقد كونت لجان ، وعقدت مؤتمرات ، وصدرت توصيات ، عبر خمسة عشر عاما ، (بعد اقامة المنظمة) ومع هذا ظلت تجمع بين قصور المحاولة ،

المبررات أو الدوافع ، وهى مرحلة معيارية ، تضع « المواصفات » التى ينبغى أن تراعى فى وضع التصور الشامل للثقافة العربية المستقبلة .

أما هذا المعيار فيبدأ بأن تكون الخطة وحدوية تحقيقا لأمر واقع أولا ، وتعبيرا عن الدافع الأساسى لوضع الخطة أصلا ، وأن تكون ذات منظور مستقبلى ، ولا يعنى الاهتمام بالمستقبل أى تهوين من أهمية التراث ، فأصالة أى ثقافة يتجلى فى أن تكون نابعة من ذاتيتها الخاصة . وليس من تناقض بين الارتكاز على التراث ، ورعاية الواقع الحاضر ، والتطلع إلى طموحات المستقبل ، وأن تكون تلك الخطة شاملة لجميع قطاعات الحياة الثقافية بشكل متوازن ، مرتبطة بقطاعات الحياة الاجتماعية والثقافية ، مرتبطة بالعالم بريئة من الانكماش ومن التبعية معا (متسمة بروح الندية) .

هذه هى الصورة المرتقبة ، أو الخطة المأمولة ، التى – لكى تتحقق – ينبغى على القائمين على وضعها أن يراعوا عددا من الضوابط ، ويفحصوا عددا من الحقائق الراهنة فى الوضع الثقافى السائد ، وهذا مما يتبين من محاور الاهتمام وعناوين البحوث التى طرحت ونوقشت فى جلسات مغلقة ، مستمرة فى ٢٧ ندوة ، متتابعة ما بين ١٦ / ١٠ / ١٩٨٢ و ١٩ / ٥ / ١٩٨٤ ، وكانت مدة كل ندوة يومين .

محاولات واخفاقات :

الوحدة العربية هدف قديم ، ودواعى الإصرار عليه والسعى نحوه ، أقوى – رغم جميع احباطات الواقع الراهن – من دواعى التخلى أو البحث عن بديل . وقد كان قيام الجامعة العربية (عام ١٩٤٥) احدى محاولات الإقتراب ، غير أن الجامعة التى قامت على تعدد الكيانات (الدول) العربية من الوجهة

وقصور الإعلام بها ، وخلاصة أمرها أنها تحولت إلى أوراق فى ملفات الإدارات والوزارات ، و لم تصل إلى المثقفين العاملين فى حقول الثقافة ، لسبب بديهى ، هو أن هؤلاء المثقفين أنفسهم لم يشاركوا فى وضعها ، إنها « اختيارات النخبة » و « اجتهادات أصحاب القرار السياسى » من وزراء الثقافة ومن يلوذ بهم ، ولأن « الثقافة » هى ضمير الأمة وشخصيتها وعقلها الباطن فى حركتها نحو تحقيق أهدافها ، فإن مشاريعها وخططها ينبغى أن تصدر عن رؤية جمعية ، وتكون بمثابة كشف وتنظيم لما كان ، وما هو كائن فى حياة المجتمع .

لقد عقد وزراء الثقافة مؤتمرهم الأول فى عمان (١٩٧٦) واستمروا فى دورات عادية ، وغير عادية ، يبذلون ما يبذلون فى سبيل وضع خطة شاملة ، فلم يتمكنوا من ذلك ، ولا تمكنت المنظمة ، وتأخرت المجموعة العربية عن تقديم مشروعها الموحد إلى اليونسكو ، فى حين أنجزت دول أوربا (فى هلسنكى ١٩٧٢) وآسيا (فى جاكرتا ١٩٧٣) وافريقيا (فى أكرا ١٩٧٦) وأمريكا اللاتينية (فى بوجوتا ١٩٧٨) تمكنت كل هذه المجموعات من انجاز خططها وبقيت المجموعة العربية وحدها معلقة ، لم تنجز مشروعها ، فتأجل — لذلك — موعد مؤتمر اليونسكو الخاص بالسياسات الثقافية فى الأقطار العربية ، مما حفز الهمم للخروج من المأزق ، فطرح الموضوع مجددا أمام مؤتمر الوزراء العرب المسئولين عن الثقافة ، فى دورته الثالثة (بغداد ١٩٨١) كما عقدت دورة استثنائية بدمشق فى نفس العام ، انتهت إلى ضرورة اعداد تلك الوثيقة الموحدة ، لتعرض باسم المجموعة العربية فى المؤتمر العالمى الثانى للسياسات الثقافية ، لليونسكو ، الذى يعقد فى المكسيك فى يوليو ١٩٨٢ .

حين رست السفينة فى مرفأ الكويت

لم تثمر اللجان والمؤتمرات غير توصيات حض وشجب ، هى محض آمال ، وتأملات ، تتشكل فى شعارات تبدأ بكلمة « يجب » أو « ضرورة » دون أن تعبر عما يتجاوز صدق النية وسلامة القصد ... إلى أن رست سفينة الخطة الثقافية فى مرفأ الكويت ، فتحول الأمل إلى عمل ، والشعار إلى بحث علمى ، والأهداف إلى خلاصات تجارب ومناهج وخبرات .

بدأ الأمر بتوصية أصدرها مؤتمر وزراء الثقافة الثانى المنعقد فى طرابلس (ليبيا ١٩٧٩) بدعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى اتخاذ الإجراءات لتنفيذ وضع خطة شاملة لتنمية الثقافة العربية ، وبتأليف لجنة لهذه الغاية . وحين اجتمع المجلس التنفيذى للمنظمة بالطائف (١٩٧٩) أصدر قرارا بتسمية الأستاذ عبد العزيز حسين رئيسا للجنة بصفته الشخصية .

وقد كان الأستاذ عبد العزيز حسين ، فى ذلك الحين ، وزيراً للدولة لشئون مجلس الوزراء ، وكانت تتبعه أهم الأجهزة الثقافية فى الكويت ، ممثلة فى المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . وهو مثقف عميق الصلة والتقدير للثقافة ، منذ كان مديرا لبيت الكويت فى القاهرة ، ومشرفا على مبعوثيها فى مصر أواسط الأربعينيات ، ورئيسا لتحرير مجلة « البعثة » التى أصدرها طلاب الكويت فى القاهرة (ديسمبر ١٩٤٦ إلى ١٩٥٤) وفى عهده أنشىء المجلس الوطنى للثقافة . ان اختيار عبد العزيز حسين رئيسا للجنة ينم على تقدير خاص للشخص ، كما يدل على الثقة بقدرة الجهاز المساند له على الوفاء بكل ما يطلب من مثله ، فى موقعه ، متوخيا غايته .

وقد كان ...

فقد اضطلعت الكويت بالأمر ، واجتمعت اللجنة فى ضيافتها ، لوضع الأسس ، وتحديد المحاور ، كما عقدت الندوات المغلقة لمناقشة البحوث باستضافة منها أيضا ، وقد تعهدت منذ البدء بتوفير المكان ، والأجهزة ، والعاملين والمنظمين على نفقتها ، فكانت المحصلة حصر أركان عملية التنمية الثقافية فى خمسة محاور :

(أ) محور حفظ الهوية الثقافية والحضارية .

(ب) محور ابداع الثقافة .

(جـ) محور تعميم الثقافة .

(د) محور ادارة الثقافة

(هـ) محور العلاقات الثقافية

كما تشعبت هذه المحاور ، وما أشعت من اهتمامات أخرى ، فى سبع وعشرين ندوة استمرت كل ندوة يومين ، وقامت على مناقشة بحثين أو أكثر ، وقد جرى النظام المتبع على أن يقدم الباحث المكلف بدراسة موضوع ما بحثه مكتوبا فيتولى المكتب المنظم فى الكويت تحديد أسماء الشخصيات الثقافية التى يتيح لها تخصصها ، ومستواها ، المشاركة فى مناقشة الباحث فيما كتب ، فيرسل اليها نص البحث لتسجيل ملاحظاتها ، ويلتقى الجميع فى موعد مضروب ، باحدى قاعات المجلس الوطنى للثقافة . وقد كان أكثر الباحثين من خارج الكويت ، من كافة أطراف الوطن العربى ، كما كانت نسبة كبيرة من المناقشين من خارج الكويت أيضا ، وقد تمت الندوات السبع والعشرون بكثير من النظام والنجاح مما يدل على الجهد التنظيمى الكبير الذى كان وراء هذا التوفيق ، الذى انتهى إلى استخلاص الخطة الشاملة للثقافة العربية ، بعد أن تعثرت وتلكأت طويلا بين العواصم والإدارات والمؤتمرات .

إننا نستطيع تقريب صورة هذا الإنجاز الكبير بالأرقام ، حين نذكر أنه فى إطار سبع وعشرين ندوة (فى يومين = ٥٤ يوما من الجلسات المستمرة) ألقى ٥٨ بحثا لمثل هذا العدد من الباحثين من مختلف أنحاء الوطن العربى ومن خارجه أيضا ، من أبنائه المغتربين ممن لهم اهتمام مباشر بأوضاعه وقضاياه الحضارية ، كما حضر الندوات وشارك فى المناقشة ٤٦٧ مثقفا من أساتذة الجامعات ، والمشتغلين بالثقافة والأدب والفنون والإعلام والتعليم والإدارة فى تلك المجالات ، وغيرهم .

إن هذا العدد الوفير من الباحثين ، وهذا العدد الهائل من المناقشين ليس من قبيل المكاثرة أو التظاهر ، إنه الذى يعطى هذه الخطة مشروعية انتمائها إلى الأمة العربية ، وإلزامها لجميع المثقفين العرب أن تكون خطة المستقبل العربى . ولا يستمد هذا المعنى من القيمة العددية وحدها ، بل من المكانة الثقافية التى حظى بها الباحثون ، ونسجل بعض هذه الأسماء دون ترتيب ، كأمثلة ، وليس على سبيل الحصر : الدكتور أحمد أبو زيد ، الدكتور شكرى فيصل ، الدكتور فؤاد زكريا ، الدكتورة سعاد ماهر ، الدكتور عبد الله عبد الدايم ، الدكتور عبد العظيم أنيس ، الأستاذ محمود أمين العالم ، الدكتور محمد أركون ، الدكتور حسن حنفى ، الدكتور عبد العزيز كامل ، الدكتور نجم الدين السهروردى ، الدكتور بشير العريض ، الأستاذ لطفى الخولى ، الأستاذ بلند الحيدرى ، الدكتور محمد يوسف نجم ، الدكتور على الراعى ، الأستاذ عبد الكريم برشيد ، الدكتور عبده بدوى .

إننا نستطيع أن نلمح من حلال هذه الأمثلة من الباحثين ، ومس خلال عدد آخر من المناقشين وجودا واضحا للمثقفين والمفكرين المصريين . ولقد كانت مصر مستبعدة تماما من أنشطة الجامعة العربية فى ذلك الحين ، ومع أن مصر

(الرسمية) ظلت مستبعدة انصياعا للقرارات المعروفة ، ومع أن جهات أخرى كانت تستبعد المصريين أيضا (وليس الرسميين فقط) الا فى حالات معينة كتبنى اتجاهات سياسية مثلا ، فإن هذه الندوات التى عقدت فى الكويت ، وبرعاية المسئول الأول عن الثقافة بها « عبد العزيز حسين » وبدعم حقيقى من أمين عام المجلس الوطنى للثقافة الشاعر أحمد العدوانى ، نجد حضورا مصريا مستمرا ، وليس هذا من فعل مدير المنظمة ، لأننا لا نجد له أشباها كثيرة فى غير اجتماعات الكويت ، فمن الحق أن خطة الثقافة الشاملة من أمة العرب واليهم ، أما والحالة هذه فإنه لا سبيل إلى انكار موقع مثقفى مصر ومفكريها تحت أية ذريعة . ان هذا التوازن الدقيق ، الصادر عن وعى ثقافى ، وحس قومى عميق ، هو احدى ثمرات أن كانت الكويت عاصمة الندوات جميعا ، وان كان رئيس المشروع كويتيا ، وان كان المجلس الوطنى للثقافة ضالعا بما يقدم من عون مادى وأدبى .

على أن دور الكويت فى تنوير الخطة الشاملة يتخطى كل الإيجابيات المشار اليها آنفا ، إلى مشاركة عدد كبير من مثقفى الكويت ، وأدبائها ، وعلمائها ، فى مناقشة البحوث ومتابعة الندوات ، لقد بلغ عددهم مائة وثلاثين شخصا ، فى مقدمتهم الشاعر أحمد العدوانى ، والشاعر أحمد السقاف (رئيس رابطة أدباء الكويت والعضو المنتدب لهيئة الخليج والجنوب العربى) والشيخ فهد الأحمد الصباح (راعى الرياضة فى الكويت) ومحمد السنعوسى (مدير تلفزيون الكويت) وأحمد الجار الله (الصحافى المعروف) وخالد الصديق (رائد صناعة السينما فى الكويت) وسامى المنيس (النائب والصحفى المعروف) وبدر القطامى (الفنان التشكيلى المتميز) وغيرهم .

وضمن هذا العدد الكبير ثمانية وخمسون شخصا من حملة الدكتوراه فى

تخصصات مختلفة ، بعضهم ينتسب إلى هيئة التدريس بالجامعة ، ويعمل بعض آخر فى مواقع مختلفة ، من بينهم الدكتور حسن الابراهيم (أول مدير كويتى للجامعة ، ووزير التربية الأسبق ، والدكتور عبد الله الغنيم (عميد كلية الآداب الأسبق ووزير التربية الأسبق) والدكتور محمد الرميحى (رئيس تحرير العربى) والدكتور مبارك العبيد (أول عميد كويتى لكلية العلوم) والدكتور خليفة الوقيان (الأمين العام المساعد للمجلس الوطنى) والدكتور سليمان الشطى (القاص ، ورئيس تحرير مجلة البيان ، والأستاذ بكلية الآداب) والدكتور عبد المحسن العبد الرزاق (مدير الجامعة السابق) والدكتور سالم الطحيح (أستاذ الاقتصاد وأحد مستشارى أمير البلاد) والدكتور سليمان العسكرى (الأمين العام المساعد للمجلس الوطنى) والدكتور عدنان العقيل (مدير عام مؤسسة الكويت للتقدم العلمى) والدكتور عبد الرزاق العدوانى (وزير الصحة الأسبق) وغيرهم .

إن هذه المساهمة العلمية الواضحة ، كانت وراء الحميمية التى نوقشت بها البحوث ، والحماسة فى متابعة الندوات ، رغم كثرتها وتنوعها ، وكانت بهذا ملمحا من ملامح الخطة الشاملة ، ومحركا قويا دفع بالمشروع الحلم إلى أن يصبح إحدى العلامات البارزة لتطورنا الثقافى الشامل .

تحليل المحتوى

لا نعتقد أننا بحاجة إلى اعادة القول عن أهمية الثقافة فى عالم اليوم ، أكثر من أى عصر مضى ، وقد يصح أن نعتبر « التكنولوجيا » شعارا للعصر ، وفارقا بين التقدم والتأخر ، ومع هذا لن نكون متجاوزين للحقيقة إذا قلنا إن « الثقافة » تشكل معادلا للتكنولوجيا فى ترتيب مواقع الأوطان على خريطة

التقدم ، وأن المثقفين يمثلون مركز الثقل الرئيسى فى كثير من البلدان المتقدمة والأقل تقدما ، بدرجة تسمح لنا بأن نزعم بأن موقع الثقافة فى التفكير العام ، ومكانة المثقفين فى المجتمع ، ونوعية الثقافة السائدة تمثل الحد الفاصل بين التقدم والتأخر ، وتعطى بلدا ما درجته وموقعه بين البلدان الأخرى ، بل تحدد احتمالات تطوره (أو تراجعه) فى المستقبل .

وليس من شك فى أننا سنكون أكثر تقديرا ، وأكثر دقة فى التصور لرسالة الكويت الثقافية ، حين نبدأ من التسليم بصور التمزق والتناقض فى وطننا العربى ، ولا نعنى بالتسليم الرضا ، وإنما المعرفة بالواقع دون محاولة تجميل لجوانب قبيحة ، كما أن المعرفة بهذا الجانب من الواقع لا تعنى – بدورها – حصر الصورة فيه ، أو انكار ايجابيات عظيمة هى التى تعطينا الحق فى الحديث عن ثقافة عربية واحدة ، وعن رسالة كويتية ثقافية موجهة إلى الأمة العربية من المحيط إلى الخليج .

إن بعض جوانب السلبية تتجلى فيما تمارسه الأجهزة الرقابية على المطبوعات ما بين بلد عربى ، وبلد عربى آخر ، وليست حدود المسموح والمحظور ثابتة ، أو متقاربة بين تلك البلاد ، فما يمكن أن يعد (عند رقابة ما) كفرا والحادا (بالمعنى الدينى أو الدلالة العامة) يمر فى رقابة أخرى دون اكتراث ، وقد يجد تشجيعا عند غيرها . ويكتمل اضطراب الصورة أو (سرياليتها) بما يلاحظ من تغير المواقف الرقابية فى البلد الواحد تبعا لتغير السلطة ، فى مستوياتها ، وليس هذا بالأمر النادر فى كثير من البلدان العربية(٩) على أننا سنلاحظ – رغم نشاط الفكر القومى ، وعمق الحس القومى – أنه – وتحت هذا السطح القومى المضىء المتظاهر بالقوة – يكمن شعور قبلى اقليمى ، يدعى لنفسه فضائل ومكرمات ، فى سبيل اعلائها يجرد الآخرين أو أكثرهم من أى

مكرمة ، وقد يبلغ من حدة هذا الشعور وضيق أفقه أن يقاوم ما يعده « تنازلا » عن ثقافته الخاصة ، أو طابعه المميز ، فى سبيل تقارب عربى شامل ، كما قد يرفض كل اعلاء لغير اقليمه ، وكل جهد لا تصنعه قبيلته ، وتضع شعارها عليه .

إن هذا – فى بعض جوانبه – يفسر لنا بعض الظاهرات الثقافية التى اختص بها الوطن العربى حين نفكر فيه بشكل موحد ، بمعنى أنه وطن واحد ، كأن ترتفع صيحات الدعوة إلى الحداثة فى بلد معين ، وتأخذ البنيوية مداها كمنهج نقدى فى رعايتها ، فى حين يحاربها موقع آخر ، ويلصق بها تهما مختلفة ، ومختلقة أيضا .. ونحن لم نفكر بالطبع أنه « يجب » على الوطن العربى لكى يبدو ذا ثقافة واحدة أن يتبع نهجا واحدا ، أو يكتب ويقرأ ويفهم ويحلم بطريقة واحدة ... ولكننا نريد أن يكون « التنوع » القائم ، والمطلوب على غير ما أقامته الجغرافية السياسية من حدود بين المواقع ، نريد أن يكون فى البلد الواحد ، بل فى الجامعة الواحدة من يرى أن المستقبل أمامنا ، وفى العالم الواسع من حولنا ، ومن يرى أن مستقبلنا فى إحياء المتميز الجاد مما خلفناه وراءنا وفى حفرنا فى أعماق ذاتنا الخاصة . إن هذا – على أى حال – متحقق ولا يمكن إنكاره (ولسنا نجد فى إنكاره فائدة) ولكنه ليس الخط الأساسى للثقافة العربية ، الا فى مناطق محدودة أو هو – على الأقل – مزاحم بالصورة الأخرى القبلية ، التى قد تستنكر علانية ، أو تنكر ، ولكنها محرك للكثير مما نقرأ ونشاهد فى وطننا العربى .

إن ما تؤدى إليه هذه « القبلية الثقافية » بعد – ذلك – « الاستلاب الرقابى هو افقاد الثقافة – أية ثقافة – تريد أن تكون ناضجة ، متنامية ، مؤثرة ايجابيا فى توحيد أصحابها ، أهم شروط قدرتها على أداء دورها البنائى ، وهو التناغم ،

والشمول . والتناغم يعنى وحدة الرؤية ، وتقارب المبادىء الأساسية ، فكيف يتحقق هذا ونحن نرى – على سبيل المثال – تفاوتا شاسعا فى تقدير « البداوة » مثلا ، أو التاريخ الخاص لبعض الأقاليم كعصور الفراعنة بصفة خاصة ، من بين العصور القديمة ؟ . إن هذا التفاوت – الذى يصل حد التناقض – يؤدى إلى تزييف الواقع وتضليل المستقبل فى نفس الوقت .

ولكن : ما علاقة رسالة الكويت الثقافية بكل هذا ؟

لقد استطاعت الكويت أن تتجنب المختلف عليه (بوسائل شتى) دون أن تتنكر له ، حين تكون الرؤية العلمية فى جانبه ، وأن تتجه إلى ماهو جوهرى ، وضرورى ، أو موضع اجماع ، وبهذا استطاعت أن تصل برسالتها إلى كافة أطراف الوطن العربى ، متخطية حُواجز الرقابة ، وعصبيات القبيلة معا ، وغير متنكرة لأية قيمة مما تحرص عليه الأمة فى ماضيها ، وحاضرها ، ومستقبلها . اننا بالطبع نفكر فى « المطبوعات الكويتية » ، فلا نريد أن نرسل القول دون دليل موثق ، كما اننا نقف عند حدود المطبوعات التى تمولها الدولة ، وتدعمها سعريا لتكون فى متناول أصحاب الدخول الضعيفة فى أى قطر عربى ، لأن هذه « المطبوعات » هى التى تدل على خطط وفكر الأجهزة العاملة وراءها ، ومن ثم تدل على التوجه العام لدى مخططى السياسات العليا ، دون أن نتطرق إلى دور النشر الخاصة ، أو الجمعيات الفئوية ، إذ يهتم النوع الأول بتحقيق الربح ، ويهتم الثانى بالخدمات المحلية ، الا فيما يتطلع اليه هذا أو ذاك من الامتداد بدوره إلى خارج ما هو مرسوم له عادة .

فإلى أى مدى يمكن أن نحدد ملامح الرسالة الثقافية الكويتية ومكوناتها ، أو توجهاتها ؟

من حقنا أن نشكك فى الشعارات التى عانينا منها كثيرا ، ولا نزال ،

ولا شك أن اجمال رسالة الكويت الثقافية فى كلمة سيكون بمثابة شعار ، وهو ما نحاول تجنبه ، ومع هذا دعنا نجازف - مجازفة محسوبة - بارسال تعميم واحد فنقول : أن جوهرها « الدعوة إلى تنوير العقل » وهذا يعنى أو يتطلب أن يكون الأسلوب علميا إذ لا يمكن توجيه الخطاب إلى العقل الا بقوانينه هو ، وأن يكون هدفها الوعى الشامل بكل ما كان ، وما هو كائن ، وما سيكون أو ماينبغى أن يكون . وأن تكون الدعوة انسانية ، مرتكزة على قاعدة من الإيمان بحرية العقل ، وحرية صاحبه معا ، وأن تكون دعوة التنوير موجهة إلى الجميع ، لا تستثنى أحدا ، بمزيد الرعاية أو مزيد الاهمال ، وإنما تخاطب كلا بما فى طاقة استيعابه ، وما يضعه أمام واجبه .

يمكن أن نستعرض عناوين - مجرد عناوين - سلاسل المطبوعات لنجد الشعار الشامل ماثلا فى مجمل كل سلسلة ، وفى علاقة هذه السلاسل ، كما نجد كل ما يترتب على دعوة التنوير شاخصا فى تلك المطبوعات ، ولهذا لن نجد صعوبة فى أن نشير إلى بعض المحاور الرئيسية التى تنتظمها :

(أ) الاهتمام بالتراث من منطلق نقدى : وهذا يمثل التاريخ ، وعلوم الماضى ، والحضارات القديمة بما تنطوى عليه من فكر وفن .

(ب) الاهتمام بثوابت الوجود العربى (التاريخى المستقبلى) : وهذا يشمل الدين ، واللغة ، والقيم الأصيلة .

(جـ) الاهتمام بالواقع العربى ونقده : وهذا يشمل الاجتماع ، والفنون والآداب (السائدة) ونظم التعليم ، والتربية ، والاقتصاد ، والسياسة .

(د) الاهتمام بالمستقبل : وهذا المحور ليس بمعزل عن سابقه ، فكل ما يعرض للراهن ، هو بالضرورة اقتراح للمستقبل ، ويضاف اليه : الاهتمام بعلوم

الغد ، والاهتمام بالطفولة ، فضلا عن تنوير فكرتنا عن العالم من حولنا : عالم الطبيعة ، وعالم البشر على امتداد الأرض بكل ما تنطوى عليه الطبيعة من أسرار ، وما يكتشف البشر من أفكار .

سنحاول أن نختبر هذا التصور على ضوء المسارات الفعلية لسلسلة مؤلفات « عالم المعرفة » ، ثم نحاول - مرة أخرى - احتبار هذا التصور على ضوء جهود مواكبة ، أو سابقة على هذه السلسلة ، ومختلفة عنها أسلوبا باختلاف المخاطب لنرى مقدار ثبات الرسالة الثقافية للكويت ، ووحدة أهدافها حتى وان اختلف « مستوى الخطاب » أو « أسلوبه » .

لقد صدر الكتاب الأول فى يناير (كانون الثانى) ١٩٧٨ ، واستمر صدورها منتظما ، شهريا بلا توقف أو انحراف ، حتى كان عدد أغسطس (آب) ١٩٩٠ يحمل رقم (١٥٢) . وهنا مفارقة تثير التأمل حقا ، فقد كان الكتاب الأول بعنوان « الحضارة » وكان الكتاب الذى شهد الكارثة وتعطلت عقبه السلسلة بعنوان « التلوث مشكلة العصر » ، وبين العنوانين علاقة تضاد واضحة ، ويبدو أننا لم نستوعب الكلمة الأولى بطريقة ناضجة وصحيحة ، فوقعنا فى الأخرى ، ووضعنا مستقبلنا كله بين قوسين من الشك ..

فى تصدير الكتاب الأول كتب أمين عام المجلس الوطنى للثقافة الشاعر أحمد العدوانى كلمة موجزة ، لكنها كافية للكشف عن تصور أصحاب المشروع لإطار عمله ، وأهدافه ، وسنرى أن هذا التصور ليس بعيدا عن ما حاولنا استخلاصه من « قراءة » المطبوعات الصادرة عن الكويت قراءة مضمونية ، وأن كنا نقر بأن المتحقق (فى سلسلة عالم المعرفة) جاوز التصور الأولى بكثير ، وهذا عكس المألوف فى مشروعاتنا العربية (الثقافية وغير الثقافية)

حيث نبدأ بنيات شامخة ، وآمال عراض ، ثم يبدأ التنفيذ ، فيتقزم كل شيء ، وكلما أوغلنا فى المحاولة وجدنا زيادة فى النقص ، حتى نصل السراب ... ويتوقف كل شيء ، مخلفا وراءه الاحباط والألم .

يقول العدوانى : « عندما فكر المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب فى اصدار سلسلة شهرية من الكتب الثقافية ، كان ذلك بوحي من شعوره بحاجة القارىء العربى الماسة إلى الكتاب الذى يجعله مواكبا لأحدث التطورات فى مجالات المعرفة ، دون أن تفقده المواكبة انتماءه لحضارته وأمته ، فهو بحاجة تجمع بين روح العصر وروح الأمة معا . وتشتد حاجة هذا القارىء الحاحا فى وقت أخذت فيه تكنولوجية ضخمة فى ترويج ثقافات غربية نشأت فى مجتمعات معينة ، وأخذت هذه الثقافة أو الثقافات الغربية تزحف عليه لتعصف بكيانه ، ولتفقده هويته ، ولتزعزع ثقته بماضى أمته ، وبحاضرها ، وبمستقبلها »(١٠)

١ — انه يتحدث عن حاجة القارىء العربى ، وليس الكويتى ، أو الخليجى . ولهذا القارىء العربى كانت السلسلة تطبع فى كل شهر خمسين ألف نسخة ، تفرش أكشاك بائعى الصحف ما بين طنجة ومراكش ، وحتى صنعاء ، والخرطوم ، وإلى أهم عواصم العالم أيضا ، بسعر هو أقل من أجور النقل عبر هذه المسافات الشاسعة .

٢ — ويحدد هدفه بروح العصر ، بشرط ألا يكون هذا على حساب روح الأمة وإنتماء العرب إلى أنفسهم . وهكذا تتقاطر المؤلفات التى تنير فكرتنا عن العصر ، وعن المستقبل معا ، ولكنها مشدودة إلى مؤلفات أخرى تتقاطر كاشفة عن الجذور العربية ، مؤصلة لقيم الدين ، والأخلاق دافعة إلى تنمية مبدأ الوطن العربى الواحد ، والثقافة العربية الواحدة .

٣ – ويستقر هذا الهدف المحدد بروح العصر وروح الأمة ، على قاعدة من الوعى بما تستهدف له الأمة من هجمة غربية تستخدم وسائل متنوعة لها طاقات هائلة (تكنولوجية ضخمة) تعمل على ترويج ثقافات هدفها أن يصبح العربى غريبا عن نفسه ، متنكرا لقومه ، مستنكرا لتراثه وتاريخه ..

باستطاعتنا – دون جهد يذكر – أن نعرض هذه المبادىء الثلاثة على محاور الاهتمام الأربعة ، التى سبقت الاشارة اليها لنرى مدى التطابق . ونعرف هنا بعناوين – مجرد عناوين – ثلاثة من الموضوعات التى اهتمت بها السلسلة لتأكيد ما أشرنا اليه من أهداف بطريقة عملية ، مفترضين أن بعضنا لا يقتنى سلسلة « عالم المعرفة » كاملة ، أو لم يحاول اكتشاف العلاقات والوشائج الممتدة ما بين كتاب وآخر يبتعد عنه زمنا . أما هذه الثلاثة فهى :

(أ) تنوير العقل العربى وتنظيمه فكريا

(ب)الإسلام

(جـ)علوم المستقبل

(أ) فى سبيل تنوير العقل وقيادته إلى التفكير المنطقى وتدريبه على تنظيم المعلومات ، صدرت عشرة كتب تحت هذه العناوين (والرقم المسجل بجانب العنوان هو رقمها فى السلسلة) :

١ – الحضارة (١)

٢ – التفكير العلمى (٣)

٣ – الإنسان الحائر بين العلم والخرافة (١٥)

٤ – التفكير المستقيم والتفكير الأعوج(٢٠)

٥ – اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع (٤٤)

٦ – فكرة القانون (٤٧)

٧ – البدائية (٥٣)

٨ – حكمة الغرب (٦٢ ، ٧٢)

٩ – تشكيل العقل الحديث (٨٢)

١٠ – معالم على تحديث الفكر العربى (١١٥)

سنلاحظ أن هذه العشرة كتب تنتشر على السنوات التى تمثل عمر ما مضى من السلسلة ، وكأنها ايقاع ثابت ، معبرة عن هدف دائم ، بمعنى أنها ليست مجرد « هجمة » فى اتجاه ، أو ظرف طارىء سببه توافر عدد من المؤلفين أو المؤلفات ، أو الحاح مرحلى من طائفة من القراء .. انه – بهذه الطريقة وكما سنرى فى الموضوعين الآخرين – يصدر عن وعى بالهدف الراسخ وحرص عليه .

٢ – الإسلام وما يتصل به من موضوعات متنوعة ، وسنجد التسمية نصية فى اثنى عشر كتابا ، ولا يمنع هذا أن نجد مثلها أو أكثر منها تتضمن وجهة نظر اسلامية ، أو بعض قضايا الدين ، فى إطار موضوعات أخرى :

١ – تراث الإسلام (٨ ، ١١ ، ١٢)

٢ – المساجد (٣٧)

٣ – الإسلام فى الصين (٤٣)

٤ – الإسلام والاقتصاد (٦٣)

٥ – الإسلام والشعر (٦٦)

٦ – مفاهيم قرآنية (٧٩)

٧ – فى تراثنا العربى الاسلامى (٨٧)
٨ – الإسلام وحقوق الإنسان (٨٩)
٩ – المدينة الإسلامية (١٢٨)
١٠ – مقدمة لتاريخ الفكر العلمى فى الإسلام (١٣١)
١١ – المسلمون والاستعمار الأوربى لأفريقيا (١٣٩)
١٢ – تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية (١٥١) .

٣ – علوم المستقبل محور أساسى فى السلسلة ، هى المعادل الذى يعصم الولع بالتاريخ من أن يتحول إلى عجز عن معايشة العصر ، وهروب من المستقبل ، وعلوم المستقبل هى التى تشمل « كلمة السر » أو مفتاح الحرية فى القرن القادم ، حيث يفقد الاستقلال السياسى أهميته ويصبح بلا مدلول حين يحاصره الفقر والتخلف ، فيجد نفسه تابعا ذليلا (لا يرغب الأقوياء فى تبعيته) . وقد تجلى هذا المحور فى ستة عشر عنوانا ، ترتيبها فى السلسلة كالآتى :

١ – تكنولوجيا السلوك الإنسانى (٣٢)
٢ – دور المشروعات العامة فى التنمية الاقتصادية (٤٢)
٣ – التنبؤ العلمى ومستقبل الإنسان (٤٨)
٤ – التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية (٥٠)
٥ – العالم بعد مائتى عام (٥٥)
٦ – العرب أمام تحديات التكنولوجيا (٥٩)
٧ – صناعة الجوع (٦٤)
٨ – ظاهرة العلم الحديث (٦٩)
٩ – البيولوجيا ومصير الإنسان (٨٣)

١٠ - عقول المستقبل (٩٢)

١١ - تغيير العالم (٩٥)

١٢ - الوراثة والإنسان (١٠٠)

١٣ - العالم الثالث وتحديات البقاء (١٠٤)

١٤ - التاريخ النقدى للتخلف (١١٨)

١٥ - التنبؤ الوراثى (١٣٠)

١٦ - علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية (١٤٢)

وأحسب أن هذه القائمة ليست بحاجة إلى تعقيب ، فهى تكشف عن نفسها من حيث تحقيق التوازن بين الإنسان كذات فردية ، والإنسان فى إطار مجتمعه ، والإنسان فى المحيط الدولى ، والاهتمام به قبل أن يولد ، وإلى مائتى عام قادمة .

عالم الفكر ، قبل عالم المعرفة

من واجبنا أن نتوقف - ولو قليلا — مع مجلة « عالم الفكر » تلك المجلة الفصلية (ربع السنوية) التى يعرف قدرها أساتذة الجامعات ، وأهل التخصص فى كافة فروع المعرفة . والعدد الواحد من هذه المجلة كتاب ضخم ، بل عدة كتب فى كتاب ، فصفحتها الكبيرة تستوعب عدة صفحات ، والدراسات التى تنشر بها تدور حول موضوع رئيسى ، يختلف من عدد لآخر ، مع وجود أبواب ثابتة . صدر العدد الأول منها فى أبريل ١٩٧٠ ، واستمرت تصدر كل ثلاثة أشهر ، وتوقفت بعد يوليو ١٩٩٠ ، فجاء موعد عدد أكتوبر والكويت فى حال أخرى لا تسمح لها بالتفكير فى ثقافة الوطن العربى ، أو فى نشر المعرفة .

لقد كان صدور « عالم الفكر » سابقا على صدور « عالم المعرفة »

والسلسلتان كان على رأسهما فى البداية الشاعر أحمد العدوانى ، وقد صدرت عالم الفكر عن « وزارة الإعلام » حتى إذا أسس المجلس الوطنى للثقافة (عام ١٩٧٤) واختير الشاعر العدوانى أمينا عاما له ، ظل رئيسا لتحرير عالم الفكر ، وأصدر « عالم المعرفة » عن المجلس الوطنى .. ولم يكن هذا نقلا للنشاط ، أو رغبة فى المكاثرة ، فالمخاطب فى الدورية الأولى ، غير المخاطب فى الكتاب . « فعالم الفكر »مجلة أكاديمية رفيعة المستوى ، ونحن – العاملين فى الجامعات العربية – نعرف حجم المعاناة التى نتعرض لها فى سبيل نشر الجاد من بحوثنا فى مجلات ذات مستوى رفيع ، وشكل متخصص يحفظ للعلم هيبته وجدية وسائل عرضه . فى حين أن كتاب « عالم المعرفة » – مع حرصه على جدية الطرح للقضايا ، والحفاظ على الأصول المنهجية فى التأليف كان – فى الأساس – موجها إلى القارىء المثقف غير المتخصص ، وكما يقول تصدير الكتاب الأول « فإن القارىء المتخصص سيجد فى الكتاب طرافة فى معالجة الموضوع ، كما سيجد فيه القارىء العادى ما يثير عنده حب الإستطلاع ، ويفتح له آفاقا جديدة » . بعبارة أخرى : إن كتاب « عالم المعرفة » جاء ليخلق رأيا عاما مثقفا علميا مستنيرا ، أما « عالم الفكر » فكانت رسالتها نشر الفكر الجديد الجاد الرفيع المستوى ، بين من حرفتهم البحث العلمى فى كافة اتجاهاته .

إننا ندرك الآن ، أنه بعد توقف مجلتى « الفكر المعاصر » و « تراث الإنسانية » اللتين كانت تصدرهما وزارة الثقافة بمصر ، لم يكن فى العالم العربى كله مجلة تتسع لدراسات الباحثين من مستوى أساتذة الجامعات ، وباستطاعتها أن تستوعب هذا الكم ، وهذا التنوع الذى استطاعت « عالم الفكر » أن تحتويه وأن تقدمه بغير ثمن للباحثين عن المعرفة الرفيعة (كان ثمن العدد فى القاهرة ٢٥٠ مليما ، أى ربع جنيه مصرى ، وهو أقل من ثمن فنجان قهوة فى حى

شعبى) وهنا ينبغى أن نوضح أن الفرق الأساسى (وربما الوحيد) بين العالمين : « الفكر والمعرفة » هو فرق فى مستوى الخطاب ، وليس فى محتوى الرسالة ، ومن ثم فإننا نستطيع أن نعرض ثمانية وسبعين عددا صدرت من مجلة عالم الفكر منذ عددها الأول ، وحتى توقفت ، من خلال العناوين الرئيسية التى تمثل المحاور الأساسية لتلك الأعداد ، والمقالات والدراسات الأقل أهمية الملحقة بكل عدد ، نعرضها على تلك القضايا الثابتة المحددة ، التى اعتبرناها بمثابة معالم ، أو جوهر رسالة الكويت الثقافية ، لنرى هل ثمة تناقض أو عشوائية ، أو اضطراب ؟ فإن لم نجد ، فإن هذا يعنى أن رؤية ثاقبة ، وفكرا منظما ، وحرصا على أهداف واضحة ، كان يشكل جوهر هذه الرسالة ، ويبعث بها ، فى دأب ويسر وحب ، إلى كل مواطن عربى ، راغب فى أن يعرف ، وأن يرتقى بالمعرفة ، وأن مبدأ تناغم الثقافة ، وشمولها كان أساسا مرعيا ، ولم يكن بفعل المصادفة .

إننا لسنا بحاجة إلى استعراض مئات الموضوعات التى كتبت بحرفية عالية ، ودقة علمية وحذق ، لننتهى إلى أن « الكثرة تعود إلى الوحدة » وأن « التنوير » هو الهدف النهائى ، وهو تنوير يشع فى كل الاتجاهات (زمانا ومكانا) ويكفى أن نشير – مجرد اشارة – إلى بعض العناوين ، (العناوين لاغير) نقتنص فى مقدمتها الأعداد الأربعة الخاصة بالسنة الأولى ، وكانت محاورها :

١ – العدد الأول : عصر الأزمات .

٢ – العدد الثانى : عالمنا المتغير .

٣ – العدد الثالث : الإنسان والكون .

٤ – العدد الرابع : حقوق الإنسان .

إننا إذا تأملنا هذه العناوين الأربعة (ومن باب أولى حين نقرأ ما اندرج

تحتها من موضوعات) سنجد أن مشكلة الإنسان (الإنسانى العربى أكثر من غيره) ماثلة فيها ، ما بين تجربته الماضية ، وواقعة الماثل ، ومستقبله المرجو . ومن الطبيعى أن نجد حضورا ووضوحا والحاحا على قضايا المستقبل مادمنا — مع هذه المجلة — فى رعاية الفكر الأكاديمى الجاد ، الذى يتسم برحابة النظرة ، والقدرة على النفاذ من حدود الواقع المرحلى إلى آفاق احتمالات المستقبل . لهذا سنجد « أعدادا » تحمل عناوين صريحة تقرب ما نشير اليه ، مثل : « الدراسات المستقبلية » (يناير ١٩٨٨) و « عالم الغد » (أبريل ١٩٧٣) و « الاتصال » (يوليو ١٩٨٠) و « علوم الصحارى » (أكتوبر ١٩٨٦) وغيرها .

وكما سلف القول بشأن « عالم المعرفة » فإننا هنا مع الأكاديميين ، واحتمالات اغفال الجوانب الغيبية أو اعطائها أهمية أقل واردة ، ولو عن غير قصد ، بسبب الإيغال فى مناهج التجريب ، والاحصاء ، وغلبة الاحساس بالمادى والمستقبلى ، ومع هذا فإن المحور الإسلامى راسخ متجدد ، مصاحب لكل رؤية ممكنة ، فهناك أربعة أعداد خصصت للدراسات الإسلامية .

١ — فى الفكر الإسلامى (العدد الثانى من السنة السادسة)
٢ — التجربة الإسلامية (العدد الثانى من السنة العاشرة)
٣ — المدينة الإسلامية (العدد الأول من السنة الحادية عشرة)
٤ — القرآن والسيرة النبوية (العدد الرابع من السنة الثانية عشرة)

أما المشاركة فى الأعداد المتنوعة الموضوع فانها واضحة تماما . ونعطى أمثلة أيضا :

١ — فى محور : آفاق المعرفة (يناير ١٩٧٨) نجد دراسة عن : صورة الإسلام والمسلمين فى الفكر الغربى .

٢ – فى محور : الأدب المقارن (أكتوبر ١٩٨٠) نجد دراسة عن : الاسلام والكوميديا الالهية .

٣ – فى محور : الإنسان والكون (أكتوبر ١٩٧٠) نجد دراسة عن الانسان والكون فى الإسلام .

٤ – فى محور : حقوق الإنسان (يناير ١٩٧١) نجد دراسة عن : الإسلام وحقوق الإنسان .

٥ – فى محور : كتابات فى الحضارة (أكتوبر ١٩٨٤) نجد أكثر من دراسة عن الإسلام :

— التاريخ العربى والإسلامى من خلال المصادر السريانية العراقية
— الإسلام والمسيحية فى العصور الوسطى
— قصور أشبيلية فى العصر الإسلامى

٦ – وهو ما نجده أيضا فى محور متنوع – مثل سابقه – عندما يصدر عدد بعنوان « دراسات فى التراث (أبريل ١٩٧٧) فتتصدره دراسة عن : العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها ، كما يكتب الدكتور بول غليونجى دراسة عن « الأسس النظرية للطب الإسلامى » .

٧ – أما حين يصدر عدد خاص عن « حضارة الأندلس » (أبريل ١٩٨١) فإنه سيكون محورا اسلاميا بشكل مباشر ، وهذه موضوعاته :

— أثر الأندلس على أوربا
— المعجم العربى فى الأندلس
— الجهاد والاتحاد فى الأدب الأندلسى
— الأصوات القتالية والانهزامية فى الشعر الأندلسى

مثل هذا الاهتمام نجده عن الطفل ، ومشكلات الشباب والرياضيات الحديثة ، وعن فنون الأدب ، والاتجاهات النقدية والفلسفية الحديثة ، وعن الراحلين من كبار مفكرى الغرب ، مثل سارتر ، ومالرو ، وعن قضايا الفكر والسياسة المؤثرة علينا بشكل مباشر ، مثل « الصهيونية » .

هذه سياحة سريعة فى « عالم الفكر » التى يمكن أن تكون - وحدها - بمثابة دائرة معارف عميقة ، مستفيضة ، متجددة ، فى عشرات الموضوعات المهمة ، فى كل وقت .

فإذا تأملنا أسماء محررى هذه الدراسات سنجد « التخصص الدقيق » صفة أساسية ، والتمرس فى التأليف ، واستقرار المنهج أيضا ، وهامش المفاضلة بين من نذكر منهم ومن نترك ضئيل أو معدوم ، وأمامنا عشرات الأسماء التى نعرف قدرها فى مجالاتها المعرفية ، مثل : سعيد عاشور ، وعبد الرحمن بدوى ، وحسين مؤنس ، وبول غليونجى ، وعبد الحميد يونس ، ومحمد ناصر ، ومحمد واصل الظاهر ، وشكرى عياد ، وحسن حنفى ، وأحمد مختار العبادى ، وتوفيق الطويل ، ونور الدين حاطوم ، وزكريا ابراهيم ، وعبد الوهاب حومد ، واسماعيل صبرى مقلد ، وحازم الببلاوى ، وعبد المحسن صالح ، وثروت عكاشة ، وحسام الألوسى وغيرهم ...

ولم يكن المقبلون على التأليف فى إطار « عالم المعرفة » يقلون أهمية ، بل لعلهم يفوقون فى بعض الجوانب ، لما تحتاج عالم المعرفة من قدرة خاصة على « إفهام عامة المثقفين أفكار خاصتهم » ، ونكتفى بانتخاب عشرين اسما فقط ، من بين مائة وخمسين ، نتجنب ذكر من يكون قد ذكرناه بين المشاركين فى « عالم الفكر » :

فؤاد زكريا ، احسان عباس ، شاكر مصطفى ، على الراعى ، محمد عمارة ، مكارم الغمرى ، فهمى هويدى ، محمد عصفور ، عبد الوهاب المسيرى ، عواطف عبد الرحمن ، محمد أحمد خلف الله ، مصطفى المصمودى ، أنور عبد الملك ، معن زيادة ، عبد الغفار مكاوى ، أحمد مستجير ، فؤاد مرسى ، عبد السلام الترمانينى ، سعيد الحفار ، محمد عماد الدين اسماعيل .

هذه عشرون اسما يعرفها القارىء العربى ويثق بنزاهة فكرها ، وسلامة أدائها ، وطبيعى أن هناك غيرها الكثير ، ولكننا لا نريد أن نثقل كاهل هذه الصفحات بالأسماء . وطبيعى أيضا أن أسماء جديدة ، لم يكن القارىء المثقف يعرفها بطريقة جيدة ، قد أخذت مكانها فى هذه السلسلة التى لم تكن وقفا على الأسماء الشهيرة ، أو الأصوات الجهيرة ، لقد استطاعت أن نقدم أسماء جديدة ، وتعطيها فرصة نادرة للانتشار ، والاستمرار ، من خلال الثقة فى هذه السلسلة ، وبهذا أسهمت فى تزكية عدد كبير من الباحثين الجدد ، فى مختلف أقطار الوطن العربى .

ما قبل وما بعد

لم تكن « عالم الفكر » ، ثم « عالم المعرفة » بداية العمل الثقافى الذى تصدره أجهزة الدولة إلى أمتها العربية ، فمن قبلهما كانت جهود ، ومن بعدهما أيضا ، وسنجد أن الاهتمام بالتراث العربى – الذى تجلى كرافد مستمر لدعوة التحديث والتجديد واعداد المجتمع العربى لصدمة المستقبل أو صدماته – هذا الاهتمام بالتراث كان البداية ، التى سبقت اعلان الاستقلال وتكوين وزارة الارشاد والأنباء (وزارة الإعلام فيما بعد) تماما كما كانت مجلة العربى

(ديسمبر ١٩٥٨) يدا كويتية ثقافية مضيئة ، ممدودة لمصافحة عقول المثقفين وعامة القراء العرب ، قبل أن تمتد أيدى سفراء الكويت بأوراق الاعتماد لرؤساء الدول ، وهكذا اعتمدت الكويت ثقافيا ، قبل أن تحرص على الاعتماد السياسى ، وصدرت سلسلة « التراث العربى » عن دائرة المطبوعات والنشر » (التى اعتبرت نواة وزارة الارشاد والأنباء قبل اعلان الاستقلال) .

ومن المؤسف أننا لا نملك نسخا أو قوائم شاملة لجهود هذه السلسلة ودورها فى أحياء التراث ، ولكن القليل المتوفر لدينا يعطى انطباعا بالجدية ؛ جدية الاختيار ، وجدية العمل العلمى . وقد يكفى أن نذكر أن الكتاب الخامس من هذه السلسلة التراثية هو كتاب « العبر فى خبر من غبر » لمؤرخ الإسلام الحافظ الذهبى ، وقد صدر فى خمسة أجزاء ، وقام على تحقيقه أستاذان فاضلان مشهود لهما بالتثبت والدقة وبذل الجهد الصادق : فؤاد سيد(أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية) ، وصلاح الدين المنجد (العالم المحقق السورى المعروف) ، وقد صدر الجزء الأول من « العبر » عام ١٩٦٠ وأكتمل عام ١٩٦٦ ، ويجدر هنا أن نشير إلى أنه استكمل بكتاب سادس ألحق به ، هو كتاب « من ذيول العبر » وفيه تاريخ أربعين سنة ، بعد القرون السبعة الهجرية التى يغطيها كتاب « العبر » نفسه ، وقد نسب إلى الذهبى والحسينى معا ، وقام بتحقيقه محمد رشاد عبد المطلب ، وصدره بمقدمة مهمة ، وبذلك أكتملت صورة « العبر » كما تمت فائدته وما يمكن أن يثار حوله بالنسبة للقارىء المتخصص .

أما الكتاب الثانى فهو كتاب : « مآثر الانافة فى معالم الخلافة » ، الذى ألفه القلقشندى (أحمد بن عبد الله) وقد نشر فى ثلاثة أجزاء ، قام بتحقيقها عبد الستار أحمد فراج ، ونشرت الأجزاء الثلاثة عام ١٩٦٤ ، وفى مقدمة

الجزء الأول يقول المحقق أنه « من الكتب النادرة التى لم تطبع من قبل » ويقول صلاح الدين المنجد فى تقديمه : « هذا كتاب جديد نفيس تقدمه سلسلة التراث العربى إلى العلماء والمثقفين . ونفاسة الكتاب آتية عن الموضوع الذى يدور عليه ، ذلك لأن الخلافة فى الإسلام كانت أعظم مؤسسة سياسية دينية ، حددت نظام الحكم ، ووضعت أسسه وطرقه ، ولم يؤلف كتاب واحد يشتمل على ما يتعلق بالخلافة ، وإنما هى شذرات نجدها متفرقة فى التواريخ ، وكتب الحديث والفقه والإدارة ، فجاء القلقشندى فجمع أخبارها ، منذ نشأتها إلى أيامه ، مفصلة ، مبوبة ، حتى غدا هذا الكتاب أول مرجع يرجع اليه الباحث فى هذا الموضوع » .

هذان كتابان جليلا القدر ، توفر على تحقيقهما جلة المحققين العرب ، ولن نذهب بعيدا فى الاستنتاج إذا قلنا أن البدء بالتراث يعتبر النغمة الصحيحة لطبيعة المرحلة ، والمهم أن الاختيار يتجه – (فى حدود المثالين السابقين ، مع كتب أخرى مثل خلق الإنسان ، ومجالس العلماء ، والمصون فى الأدب) إلى الأصول التى تنم على وعى واضح ، وحرص على مواكبة الزمن ، ونقد الحياة واللغة .

وفى نفس هذه الفترة ، بدأت وزارة الارشاد والأنباء واحدا من مشروعاتها الثقافية الهامة ، التى لا تزال الجهود تبذل فيه إلى اليوم ، وبعد أن صدر منه ثلاثون جزءا لا يزال أمامه وقت حتى يكتمل ، برغم ما بذل فيه من جهود عبر ربع قرن ، وذلك هو معجم « تاج العروس » واسمه الكامل : « تاج العروس من جواهر القاموس » لمصنفه السيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ، الذى أنفق فيه أربعة عشر عاما ، وبدأه كشرح للقاموس ، فاكتمل بالشرح معجم جليل نادر ظل حبيس دور المخطوطات (إلا من طبعتين مضطربتين أشارت إليهما مقدمة المحقق للجزء الأول منه) حتى تصدت الكويت لبعثه حيا

كأحسن ما تكون الحياة صحة ، ونظاما ، ووفاء ، وضبطا . صدر الجزء الأول منه عام ١٩٦٥ ، وتوالت الأجزاء حتى اكتملت إلى خمس وعشرين ، ولا تزال فى « تاج العروس » بقية تأتى إن شاء الله لتتم به منظومة هذا الفن من جهود القدماء الأفذاذ ، فن المعاجم الذى هو سر نقاء اللغة ، بل سر بقاء اللغة .

حقق الجزء الأول من « تاج العروس » عبد الستار أحمد فراج ، المعروف بخبرته ودقته فى تحقيق المخطوطات ، وقد ظهر هذا الجزء الأول فى (٥٢٣ صفحة) من القطع الكبير ، تنقسم كل صفحة إلى نهرين ، كما هو الرسم المعتاد فى المعاجم . وتتابع المحققون كما تتابعت الأجزاء ، فشارك فيه من أصحاب السابقة المشهود لهم : عبد السلام هارون ، ومصطفى حجازى ، وعبد الكريم العزباوى ، وحسين نصار ، وابراهيم الترزى ، وعبد العزيز مطر ، وعبد الفتاح الحلو ، وغيرهم .

هذه بعض ملامح « البداية التراثية » للرسالة الثقافية الكويتية ، تتسم بالجدية والرصانة ، وتحيى من صفحات المعرفة ما هو أصيل ، وجاد ، ونافع ، مما لا خلاف عليه ، ولا شبهة فى إحيائه ، ولا منفعة عاجلة فيه من دعاية للدولة أو ترويج لمذهب ، أو تبرير لسلوك ، أو تضليل عن حقيقة ، أو طمس لوعى . . . إنها على العكس من هذا كله ، فهذه الصفحة التراثية من رسالة الكويت الثقافية ستبقى مضيئة حقا ، ونموذجا يحتذى ، ودليل صدق النية ، وطهارة القصد ، وشمول الرؤية ، فلقد كان هذا المستوى من التراث هو « النغمة الصحيحة » فى تلك المرحلة المبكرة من عمل أجهزة لم تستكمل هذه الخطوة التراثية . ولقد اختلف الأمر بعد ذلك ، حين ملكت هذه الأجهزة ما لم تكن تملك مما أشرنا إليه .

لقد اتسع الاهتمام بالتراث ، وتعددت الأجهزة العاملة فى حقله(١١) ،

وجامعة الكويت تملك مركزا ضخما ، جعل من أهدافه أن يقوم باسترداد تراثنا المبعثر فى متاحف العالم ودور مخطوطاته ، وإذا لم تتمكن جامعة الكويت من استرداد تلك الذخائر لاقتنائها ، وحمايتها من الضياع مرة أخرى ، فإنها ما كانت تقصر فى بذل المال والمعونة فى سبيل تصوير تلك المخطوطات ، والاحتفاظ بها على أفلام « ميكروفيلم » أو « ميكروفيش » وكانت جامعة الكويت قد قطعت شوطا لا يستهان به فى هذا السبيل ، حتى يمكن أن يقال أنها بسبيلها إلى أن تكون مركزا عالميا ، من مراكز المخطوطات العربية ، لقد صورت كل ما انطوت عليه مخطوطات مكتبة « شسترجينى » فى ايرلندا ، حتى مخطوطات استانبول ، والأتراك شديدو الضن بها ، ولا يسهل التعامل معهم بشأنها ، استطاعت جامعة الكويت أن تلين قناتهم ، وأن تقنعهم بفك الحصار — نسبيا — عنها . وقد كان لجامعة الكويت جهد إضافى هام — فى نطاق حماية المخطوطات العربية — فأذكر على سبيل المثال جانبا كان لى فيه مساهمة مباشرة ، يتعلق بمخطوطات اليمن ، واليمن عالم مغلق ، ينطوى على كنوز تراثية تائهة الملامح ، لم تحصر ، ولم تفهرس ، ولم تجمع عنها المعلومات ، فضلا عن أن توضع فى الصورة والمكان اللذين ييسران للمحققين الإقبال عليها ونفض غبار الزمن عنها . وقد طلبت اليمن معونة جامعة الكويت لما لها من اهتمام خاص فى هذا الأمر ، ولأن جامعة الكويت هى التى أنشأت جامعة اليمن ، وتولت اختيار هيئة التدريس بها (من المتعاقدين من خارج اليمن) وحملت القسط الأكبر من نفقاتها . وبالفعل سافر إلى اليمن فريق من مركز المخطوطات بجامعة الكويت ، قضى ثلاثة أشهر يتجول فى أرجاء تلك البلاد على وعورتها ومشقاتها — ليشاهد ، وينظم ، ويكتب القوائم ، وعاد بهذا كله إلى الكويت ، ليصنع الفهارس ، ويرسلها إلى أصحابها فى صنعاء وتعز وغيرهما من مراكز التراث هناك .

وهكذا لم تقف جهود وزارة الاعلام (الارشاد والأنباء سابقا) وحدها فى مجال العناية بالتراث العربى ، ولم يكن المركز ـــ فى جامعة الكويت ـــ الرافد الوحيد لها ، ولكن كان هناك أيضا « قسم التراث العربى » بالمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب . غير أنه لم يكن شعبة أخرى من شعب العمل فى حقل التراث ، وإنما كان شعبة مختلفة ، وهكذا توزعت الأدوار ، فحدث التناغم وليس التداخل ، والتآزر وليس التضارب ، والشمول وليس المراوحة والدوران حول النفس . لقد تحرك قسم التراث العربى بالمجلس الوطنى فى اتجاهين :

(أ) : الاهتمام بأمهات الكتب العلمية التراثية ، التى يذكرها العربى اسما ، ولم تتح له فرصة الاطلاع عليها ، مع أهميتها بالنسبة لتاريخ العلوم ، ولكبريائنا القومى ، وجلاء دورنا التاريخى أيضا (ولماذا لا ؟) وبخاصة أن أهل الغرب ـــ على كثرة ما ينكرون من فضل العرب على الحضارة العالمية المعاصرة ـــ لا يستطيعون أن ينكروا فضل تلك الاكتشافات المؤثرة . وهكذا ظللنا نسمع عن كتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم ونقرأ عنه ، دون أن نراه عيانا ، إلى أن قام بتحقيقه عالم ثبت هو الدكتور عبد الحميد صبره ، الأستاذ بجامعة هارفارد ، وجامعة الاسكندرية سابقا ، حققه عن مخطوطة عربية ، وراجعه على الترجمة اللاتينية ، وبذل من العناية بالمصطلح والشرح حتى استقرت المقالات الثلاث الأولى « فى الابصار على الاستقامة » فى أكمل صورة ممكنة ، فى ثمانمائة صفحة من القطع الكبيرة والطباعة الفاخرة عام ١٩٨٣ .

وليس من أهدافنا أن نقدم استقراء أو احصاء لما صنع قسم التراث العربى بالمجلس الوطنى للثقافة ، فليس هذا مكانه ، وإنما نشير إلى

جانب من ملامح رسالة الكويت ، الثقافية ، والجهود المخلصة المبذولة فى هذا السبيل ، ولقد حظى تاريخ العلوم عند العرب بقدر من الاهتمام يستحقه ، جدير بالتقدير ، و لم يكن كتاب ابن الهيثم المشار إليه إلا واحدًا من عدد لا يستهان به ، وليست شهرة ابن الهيثم ، أو الالتفات العالمى إليه هما وحدهما السبب فى الاقبال على كتابه ، واختياره ، فخدمة العلم ـــ فى ذاته ـــ تستحق ما يبذل فى سبيلها ، والتاريخ لا يكتبه المشاهير وحدهم ، وان استكمال الصورة ليحفز على الكشف ورعاية الحقيقة فى كل اتجاه ، وهذا كتاب لمؤلف مجهول ، غاية جهد المحققين له أن يستنتجا أنه من القرن الثامن الهجرى ، أما الكتاب نفسه فعنوانه : « مفتاح الراحة لأهل الفلاحة » (صدر عام ١٩٨٤) وأهمية هذا الكتاب تتضح بمجرد تصفحه ، فقد صحح صفحة محرفة ، عن علاقة العرب بفن الزراعة ، وإعمار الأرض ، ووصف النباتات ، وصنفها ، على امتداد مساحة الوطن العربى ، وذكر ما تسمى به فى كل بقعة من أرض العرب ، أو خارجها إذا كان مما يزرع خارجها ـــ وأورد بعض ما قيل فى هذه النباتات من أشعار . إن كتاب « مفتاح الراحة لأهل الفلاحة » ضرورى لمن يهتم بتاريخ العلوم ولدارس اللغة ، والمعجم ، وعلم الدلالة ، والشعر ، وتطور اللهجات ، إنه صورة من صور الطريقة العربية التراثية فى التأليف العلمى ، التى تمزج بين مختلف المعارف (أو التخصصات) فى بناء فكرى ، أو فى سياق واحد .

(ب) : أما الاتجاه الآخر لقسم التراث العربى ، فيقوم على التوسع فى مفهوم

التراث ذاته ، حين يتجه إلى انتقاء الدراسات الأصيلة ، التى كتبها غير العرب ، بلغات غير العربية ، وتعرض لجانب من تاريخهم أو نشاطهم الحضارى فى بعض حقب التاريخ . بين أيدينا كتابان فى هذا المضمار : أحدهما عن « تركستان ، من الفتح العربى إلى الغزو المغولى » ألفه بالروسية فاسيلى فلاديميروفتش بارتولد (وقد صدرعام ١٩٨١ فى ألف وأربعين صفحة من القطع الكبير) والآخر عن « العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادى » ، وقد ألفته بالروسية أيضا نينا فكتورفنا بيغو ليفسكيا (وقد صدر عام ١٩٨٥ فى ٤٢٠ صفحة من القطع الكبير مدعمة بالصور والرسوم والخرائط وشجرات النسب وجداول الحكم) وقد نقل الكتابين عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم . ويمكن أن نلاحظ عدة دوافع تحبذ اختيار هذين الموضوعين (الكتابين) بالذات ، بعضها مستمر ، وبعضها طارىء : فنحن نعرف أن الجناح الشرقى لدولة الخلافة الإسلامية ، الممتد ما بين ايران ، وحتى الصين وروسيا ، لا يحتل مساحة واضحة محددة المعالم فى العقل العربى المسلم ، بالمستوى الذى يحظى به الجناح الغربى الممتد من برقه (ليبيا) حتى الأطلسى ، بل أن بلاد الأندلس (التى فقدناها منذ ستة قرون) تبدو أكثر وضوحا من تلك المناطق النائية التى لا تزال فى حوزة الإسلام ، وإن لم تكن فى حوزة العرب ، أو يربطها بهم تنسيق ما . وإذا كان الكتاب الأول يتكلم عن مساحة من الأرض غامضة ـــ تركستان ـــ بالنسبة لنا ، فإن الكتاب الثانى يتكلم عن مساحة من الزمن غامضة ، بل أشد غموضا ، ومصادرها شحيحة ، معلوماتها متداخلة تسللت إليها

الأساطير وكأنها تاريخ شعبى أو أسطورى ، وليست صورة لحياة أمة عظيمة ، كانت تعيش مخاض التأهب لاستقبال رسول كريم ، سينطلق بها إلى آفاق رحيبة وسامية ، من الاعتقاد ، والتوحد ، والتقدم فى كل مضمار . وهل نغفل أهمية إحياء صفحة هاتين البقعتين ، تلك الأهمية المستجدة لنا الآن ، وهما تحت ضوء الاهتمام العالمى ، بسبب الحروب والتحولات التى تشهدها ، والصحوة المتمثلة فى كل منهما ؟ أو ليس الاهتمام بهما الآن ، الواضح فى طرح الكتابين ، إشارة لا تخطىء ، إلى الفكر العربى ، والسياسة العربية ، أن تتجه إليهما وأن تتجه من موقع المعرفة التاريخية ، التى تحاول الحوادث المستجدة أن تطمسها أو تزيفها ؟

فى ختام هذا العرض التحليلى المركز لمضمون رسالة الكويت الثقافية لم نتطرق لتفاصيل المحاور ، وما تموج به من أفكار وتوجهات ، اكتفاء بالاطار التنويرى العام . ويتضح لنا الآن أننا لم نتجاوز « المطبوعات » ومن المؤكد أن « الرسالة » تتجاوزها ، ولعل إيثارها يرجع إلى « حضورها » وسهولة العودة إليها . وهذا ما لا يتيسر لما أقامت الكويت من معارض فنية ، وأسابيع ثقافية فى كافة العواصم العربية أو أكثرها . وفى هذه المواسم الثقافية معنى إضافى نبه إليه هاشم ياغى الأستاذ بالجامعة الأردنية تعليقا على الأسبوع الثقافى الكويتى فى الأردن : ففضلا عن أن انتهاج أسلوب الأسابيع الثقافية يحيى تقليدا عربيا تاريخيا امتد منذ عصر الجاهلية ، إذ كانت أسواق الفكر والأدب من أهم ينابيع الثقافة ، وأيضا : إذا كان العرب اليوم قليلى التواصل الحقيقى بين أقطارهم ، رغم مؤتمراتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكثيرة ، فإن مواسمهم الثقافية ببعد مضمونها فى الغالب عن عناصر التفرقة ، تساهم فى تقريب هذه الأقطار بعضها من بعض(١٢) .

هل يمكن أن نتوسع قليلا فى كشف آفاق « التنوير » ، فنقول إن الرسالة الثقافية للكويت إنسانية تفتح نوافذها على جهات العالم وتحترم الحرية بقدر ما تحترم الالتزام بالمبدأ والمعتقد ، عربية إسلامية فى حرصها على الهوية والقيمة ، مستقبلية تضخ أسباب الحياة فى شرايين الراهن بقوة الوعى به ، والتطلع إلى تطويره إلى الأقوى والأجمل ؟

الهوامش والمراجع :

١ ــ يصف فؤاد زكريا تجربة الكويت الثقافية بأنها ذات سمات فريدة ، تثبت قدرة الثقافة على تجاوز الحواجز الأيديولوجية ، والسير فى طريقها المستقل ، فأصبحت الكويت مركز إشعاع ثقافى يمتد فى أرجاء الوطن العربى كله (خطاب إلى العقل العربى ص ٥٧) ويقول فى مكان آخر : إن الكويت دولة رأسمالية اقتصاديا ، « لكن فى الميدان الثقافى كان الوضع مختلفا ، فكانت هناك رعاية خاصة من قبل الدولة للثقافة ، وهذه الرعاية اعترفت بها الدول العربية جميعا » (حوار بمجلة القاهرة عدد ديسمبر ٩٠ ــ يناير ١٩٩١) .

٢ ــ فؤاد زكريا : خطاب إلى العقل العربى : ص ١٤ ، ١٥ .

٣ ــ مالك بن نبى : مشكلة الثقافة ص ٨٦ .

٤ ــ السابق نفسه ص ٥٦ .

٥ ــ فؤاد زكريا : المبادىء الأساسية للتخطيط الشامل من زاوية عربية : الخطة الشاملة للثقافة العربية (منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ المجلد ٣ ص ١٧) .

٦ ــ السابق نفسه .

٧ ــ الخطة الشاملة للثقافة العربية : المجلد الأول ص ٦٣ .

٨ ــ السابق نفسه : ص ٦٥ .

٩ ــ وهذا عكس ما نسجله للسياسة الثقافية وأسلوب الرقابة فى الكويت ، من الاستقرار ، وثبات الأهداف ، وهو عامل مؤثر فى تماسك الرسالة ، ونابع من موضوعيتها أيضا .

١٠ ــ أحمد العدوانى : مقدمة العدد الأول من عالم المعرفة « الحضارة » يناير ١٩٧٨ .

١١ ــ فى الكويت أربعة أجهزة ثقافية تعمل فى مجال خدمة التراث العربى ، لكل منها مجال اهتمامه بما يناسب رسالته : ١ ــ وزارة الاعلام ، وقد كانت البادئة ، ولا تزال توالى نشر تاج العروس ٢ ــ وجامعة الكويت وفيها مكتبة مخطوطات ونشرت تحقيقات مهمة ، وقادت حملة لتصوير المخطوطات العربية المغتربة وفهارسها ، كما قدمنا . ٣ ــ وقسم التراث بالمجلس الوطنى للثقافة . ٤ ــ وقسم التراث بمؤسسة الكويت للتقدم العلمى وقد نشر عددا من المخطوطات التى تضىء تاريخ العلوم عند العرب مثل : منظومات ابن الياسمين فى أعمال الجبر والحساب ، وفرجة الهموم والغموم فى العلاقات والمسافات والنجوم ، وهو لبحار مجهول .

١٢ ــ مجلة العربى : العدد ٣١٤ ــ يناير ١٩٨٥ ص ١٤٢ .

* * *

الفصل الرابع

مستويات الخطاب الثقافي

ونقصد بالمستوى كل ما يترتب على توجيه الرسالة الثقافية إلى المتلقى (القارىء أو المشاهد أو المستمع) من ضرورة مراعاة شرائط فى شكل الرسالة ومدى التركيز فى أفكارها وأسلوبها بحيث يتواءم هذا كله ومستوى المتلقى المفترض ونشاطه الخاص . وبهذا تستطيع الرسالة أن توصل مضمونها إلى جمهورها الطبيعى . لقد كانت لنا وقفة مع المحتوى ، أو المضمون (المحاور) التى دارت من حولها ، والتزمت بها رسالة الكويت الثقافية ، وهذه المحاور الحاكمة السائدة كانت موضع اعتبار من كافة العاملين فى خدمة الدور الثقافى الكويتى الموجه إلى الأمة العربية ، وسواء حدث هذا اتفاقا (أى مجرد مصادفة) أو انسياقا مع إيمان داخلى عام أو عن اتفاق (أى وفق تخطيط وتدبير) أو هو بين هذا وذاك (وهو ما نرجحه) فكان انبعاثا عن بصيرة نافذة ، وضمير صحيح التوجه صادق الرغبة فى أداء خدمة نافعة لشخصية الأمة ماضيا ومستقبلا ، فإن هذا قد حدث مرة أخرى فى تنويع أشكال الرسالة ومستويات خطابها . وهكذا أدت وحدة المحاور أو منطلقات تلك المحاور (من ناحية المضمون) إلى تماسك الرسالة ، ووضوح أهدافها البنائية ، كما أدى تنوع أشكالها ومستوياتها إلى أن تتمكن من مخاطبة جميع مستويات جماهير الأمة العربية ، مهما كان حظها من الفكر أو التعليم أو الثقافة ، وبهذا أخذت طابع الخدمة العامة ووصلت إلى كل آفاق المجتمع العربى . وينبغى علينا الآن أن نتعرف على هذه المستويات من خلال خطة النشر الحكومية (وحدها) وإن كان من الظلم البين أن نغفل دور الأنشطة النقابية ، ومؤسسات النشر الخاصة ،

وهل يمكن أن نتجاهل دور « مجلة البيان » التى تصدرها رابطة أدباء الكويت ؟ لقد كانت « الوجه المتخصص » للدور الذى تؤديه مجلة العربى ، فالبيان مجلة أدبية ، يصدرها أدباء الكويت ، هى معانة من الدولة ، مثل كافة التنظيمات النقابية ، ولكننا حين نقلب محتوى « البيان » سنجدها تستمد مقالات كتابها وإبداعاتهم من اتساع الأرض العربية ، وتقبل ـــ فى حدود مستواها العلمى والفنى ـــ الكتابة عن أية ظاهرة ، أو أى أديب عربى ، فى نتاجه جدية وابتكار ، دون انحياز مسبق مع ، أو ضد ، فيما عدا صون الفكرة العربية ، واحترام الشعار القومى ، وكل ما يدعمه قولا وفعلا[1] ومثل هذا يمكن أن يقال عن نشاط رابطة الاجتماعيين ، وعن المسارح ، وغيرها ، بل ان الشيخة حصة الصباح التى أنشأت بجهدها الخاص واستقدمت من أرجاء أوربا تحفا عربية وإسلامية اغتربت فى عصور وظروف مختلفة ، تمول الآن وتشرف على عمليات كشف أثرى فى مواقع مختلفة من الوطن العربى (انظر الملحق) غير أننا نتوقف عند حدود النشاط الحكومى (الرسمى) لأنه المعبر بالتحديد عن التوجهات العليا المؤثرة ، المستمرة ، التى تدل على قناعات مؤكدة ، ليست ذات مصلحة عابرة ، أو رغبة دعائية من نوع ما ، أو مرتبطة بسياسة شخص أو أهدافه .

لقد كان الالتفات إلى التراث بمثابة البداية المبكرة (كما رأينا فى طرح المضمون) ولكن هذا المستوى الخاص (الذى استمر دون توقف ، بل توسعت الجهات المشغوفة به) لم ينفرد بالوجود طويلا . لقد قفزت « العربى » إلى ساحة الثقافة ، مسلحة بأهداف التنوير العلمى ، والثقافة الأصيلة ، مرتبطة بالمستوى الآخر (الجمهور العام) فكانت بحق مجلة جميع المستويات ، وقد حرصت على أن تكون كذلك حتى بالنسبة لتسعيرها فلم يتجاوز ثمنها سعر

كوب الشاى فى أحد المقاهى الشعبية ، فى كل عاصمة عربية ، على مستواها ، بصرف النظر عن التكلفة الفعلية لتحرير العدد ، وطباعته ، ونقله ، وتسويقه .

١ ــ العربى تستقطب القارىء الخاص

بعد تجربة طويلة ناجحة ــ زادت عن ربع القرن ــ حملت فيها مجلة العربى رسالة التنوير العام فى الفكر والعلم والسياسة والتاريخ والفن ، وقد جمعت بين أصالة الحس العربى ، ونبالة الإيمان بالإنسان ، وصدق التوجه إلى المستقبل ، رأت أنه من الضرورى أن تضيف إلى موقع « مجلة لكل الناس » القارىء الخاص ، الذى تتحدد علاقته بالأشياء من خلال منظور يحكمه العمر ، أو يوجهه الاهتمام الخاص ، فكان أن تولد عنها مجلة خاصة ، وكتاب مختص فى زمنين متقاربين ، وقد يبدوان للوهلة الأولى متباعدى الاهتمام ، ولكن شيئا من التمعن سيرينا أنهما أولا يكملان رسالة العربى (المجلة الأم لهما) وثانيا ــ ومن هذا المنطلق نفسه ــ يلتقيان على خطة واحدة وهدف واحد . أما هذان العملان فهما :

(أ) : العربى الصغير (صدر العدد الأول فى فبراير ١٩٨٦) .

(ب) : كتاب العربى (صدر العدد الأول فى يناير ١٩٨٤) .

مع هذا بدأنا بالعربى الصغير ، ليس إقرارا لمنطق التدرج فى العمر وحسب ، وإنما لأن « العربى الصغير » وقبل أن يصبح مجلة مستقلة لها مقوماتها الخاصة ، كان يصدر كملحق مجانى صغير يوزع مع مجلة العربى لعدة أعوام ، ثم رؤى أن يستقل ، ويتوسع ، ويكتشف لنفسه منهجا ، فكان « العربى الصغير » . ويقول الأديب القاص محمد أبو المعاطى أبو النجا ، الذى أشرف على هذه المجلة الموجهة إلى الطفل العربى منذ بدايتها(٢) إن فكرة المجلة أخضعت لدراسات

وتأملات معقدة ، لنكتشف — فى توجهنا إلى الطفل العربى — منظومة الأهداف التربوية والثقافية والإنسانية التى ينبغى على المجلة أن تتوخاها ، هذا بالطبع بعد أن نحدد القارىء الذى تخاطبه المجلة سواء فى الوطن العربى أو خارجه ، ثم المرحلة العمرية التى نتوجه إليها بالخطاب . وبالنسبة للأمر الأول لقد حدد القارىء بأنه كل طفل علربى يقرأ العربية فى الكويت أو خارجها على امتداد الوطن العربى ، أو فى أى موقع كان من العالم ، ما دام ينتمى أو يريد أن ينتمى إلى الثقافة العربية . وبالنسبة للأمر الثانى حددت المرحلة العمرية بأنها ما بين الخامسة ، والخامسة عشرة ، وقسمت إلى ثلاث مراحل ، كان لكل مرحلة ما يناسبها فى تبويب المجلة تحريرا وإخراجا .

ودون دخول فى تفاصيل محتوى هذه المجلة ، نعرف أن رسالتها تتوافق ورسالة « العربى » بين الكبار ، تلك الرسالة التنويرية القومية الإسلامية العلمية التى دأبت على تثبيتها منذ تأسيسها ، فكانت رسالة العربى الصغير تقديم قيم المعرفة ، والعمل والعدالة ، وكما يعبر أبو النجا فى ورقته المشار إليها « كيف نبعث فيه الولاء لوطنه دون أن يفقد القدرة على رؤية ما للأوطان الأخرى من مزايا ، ولقوميته دون أن يغفل عما لدى القوميات الأخرى من إيجابيات » و « كيف نساعد الطفل على أن يفرق بين العصبية المحمودة والتعصب الممقوت ؟ كيف نساعده على أن يتقبل فى وقت واحد معنى الوحدة بين البشر التى يمثلها احترامهم ، واحتياجهم للمنهج العلمى ومعنى الاختلاف الذى يتبدى بين الثقافات ويرجع إلى اختلاف الجغرافيا والتاريخ والبيئة » .

ويبدأ العمل على الطريقة المستقرة فى الكويت ، بعيدا عن الانغلاق ، والتكتم السيء ، وادعاء الاستغناء عن خبرات الآخرين من ذوى العلاقة والمعرفة ، فكان أن صدر عددان تجريبيان ، أطلق عليهما (صفر واحد ، وصفر اثنان)

ومع ما كان لهما من صدى مباشر طيب لدى المتعامل الأول مع المجلة وهو الطفل فى الكويت (والأطفال فى الكويت تقريبا من جميع أقطار الوطن العربى) والمسئول الأول عنها ، وهى الأجهزة الثقافية فى وزارة الاعلام ، وبخاصة مجلة العربى ، مع هذا دفع بالعددين (صفر واحد ، وصفر اثنان) إلى عدد كبير من كبار المربيين وأساتذة الجامعات العربية ، والنقاد ، والرسامين ، والكتاب ، والشخصيات العربية العامة ، والمهتمين بثقافة الطفل ، وإلى بعض المؤسسات التربوية العربية ، فى مقدمتها : المكتب العربى للتربية لدول مجلس التعاون ، والمنظمة العربية للتربية والعلوم (الكسو) التابعة للجامعة العربية ، وعدد من رؤساء تحرير الصحف والمجلات ، وبخاصة مجلات الطفل .

ان « العربى الصغير » ــ ولا بد أن نعرف هذا ــ أول مجلة للطفل العربى تصدرها هيئة حكومية ، على المستوى العربى كله ، الذى تعودت أجهزته الثقافية أن تتوجه نحو الذين يملكون الصوت العالى للتأثير عليها فى اتجاه ما ، أو لسبب ما ، أما الطفل فإنه مسكوت عنه ، حتى يكبر ، ويملك صوتا ، ويصنف ضمن مجموع ، متروك لاجتهادات المؤسسات الخاصة وهى بين حسنةالنية لا تملك الامكانات ، وباحثة عن الربح لا يعنيها هدف غيره ، ولا تملك خطة ولا تشغلها رسالة . والخلاصة أن الخطوات الطويلة ، المتراكبة التى اتخذتها هيئة تحرير « العربى الصغير » قبل أن تصدر لم تكن من قبيل قصور الرؤية ، أو العجز عن المبادرة ، أو التردد فى اتخاذ الموقف ، لقد كانت استفتاء ومشاركة ، استفتاء عربيا شاملا على محتوى المجلة ومستواها ، ومشاركة فى تكوينها وتوجيهها ، فالأمة العربية (فى المستوى المعنى بالموضوع) تتخذ القرار ، والكويت تنفذه وتتشرف عليه .

من هنا روعى فى تشكيل مادة « العربى الصغير » أن تكون موافقة وأهداف التنوير والأصالة والمستقبل ، من جانب ، وأن تكون ــ فنيا ــ غاية فى الاتقان ــ ما أمكنت التجارب والمحاولات من جانب آخر ، وأن يساهم فى مادتها وتشكيلها كافة العناصر المتميزة فى التأليف للطفل ، والرسم من الأقطار العربية المختلفة . لم تكن الكويت ــ بذاتها ــ بحاجة إلى مجلة ــ مجرد مجلة ــ للأطفال ، كانت هناك مجلة « سعد »(٣) ، التى أشبعت السوق المحلية كويتيا وخليجيا ، ولكن « العربى الصغير » جاءت لتعزف نغمة أخرى ، من مستوى مختلف . ونعود إلى « أبو المعاطى أبو النجا » ليحدد بعض التوازنات التى روعيت فى تشكيل مادة المجلة ، وتحديد أهدافها ، وأيضا فى انتقاء العناصر التى تصنعها ، فيشير أولا إلى توازن بين القدر المشترك من الخلفية الثقافية للطفل العربى وبين ما مثل نوعا من الخصوصية الثقافية فى بعض الأقطار العربية « وبطبيعة الحال فقد كان لهذا القدر المشترك النصيب الأكبر من مواد العدد » وتتوالى التوازنات إلى أن نصل إلى صناع المجلة تحريرا وتشكيلا فنيا ، فنجدهم من مصر مثل محمد المنسى قنديل وفاروق خورشيد وصنع الله ابراهيم ، وسليمان فياض وعبد الحكيم قاسم ومن لبنان الشاعر حسن عبد ، ومن الأردن الشاعر محمد الظاهر ، ومن العراق طلال حسن وانطلاق محمد ، ومن الجزائر المصمودى بن عتو وابن عباس كبير وغير هؤلاء . وكذلك كان الرسامون من هذه الأقطار وغيرها ، وكان مخرج المجلة فنانا يمنيا شابا هو عبد القادر السعدى . بل يذكر أبو المعاطى أن المجلة كانت تختار لكل كاتب رساما تتناغم خطوطه ولغة هذا الكاتب ، مهما تباعدت أقطار الكتاب عن الرسامين . .

أما محتوى المجلة ، فتدل عليه عناوينها ، من مثل : « مدن لها تاريخ » و « صفحات من التراث » و « الحقيبة العلمية » و « اعمل بيدك » ،

و « كيف تعمل » ؟ وهناك أبواب أخرى قد لا تدل عناوينها على المحتوى ، مثل « عفرتوش » أو « عثمان البلهوان » أو « همام ورمانة وزغلول » وقد تدل على رؤية جديدة ، مثل « هيا نتكلم فى السياسة » وهو يكتب بأسلوب سهل جذاب ، ينتقى خبرا مما يشغل الناس وأشارت إليه الصحافة اليومية فيروى قصة الخبر ، وأبعاده السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية ، « إنه باب يكسر الوهم الذى يجعل الأطفال يعتقدون أن السياسة شىء يخص الكبار وحدهم ، فيعلمهم أن السياسة تتصل بأخص ما فى الحياة اليومية وبحياتهم ذاتها » .

إن تجربة « العربى الصغير » الفريدة تستحق قراءة خاصة . تستحق أن تتكرر فى أكثر من قطر عربى ، من نفس المنطلقات ، نحو الهدف الواحد الذى بدأ العمل به ، وله ، من الكويت .

أما كتاب العربى فهو ثمرة من ثمرات التنوع والاستمرار فى محتوى مجلة العربى لأكثر من ربع قرن ، فى جانب ، ورغبة فى اكتساب قارىء جديد فى جانب آخر ، ولا بد أن نشير إلى اتساع شريحة القراء ، وارتفاع مستوى الوعى العام لديهم ، مما يترتب عليه ، عند من يجعل تنمية الواقع الثقافى العام هدفا ثابتا له ، من جانب ثالث . أما قضية « الأهداف » فقد فرغنا من تحديدها ، وهى ثابتة فى كافة الاصدارات الكويتية ، مهما تنوعت وسائلها ومستوياتها .

من الحق ما قرره كامل زهيرى من أن مجلة العربى ما كان لها أن تولد ، لتبقى وتستمر لو لم يتوافر لها ما يسميه المثلث الذهبى ، وأركانه : الحرية ، والعلاقة الحميمة بالقارىء ، والادراك الذكى للأحداث .(٤) وهذه العناصر المؤثرة تحتشد بدورها و راء إصدار الكتاب ، ومع هذا يبقى سؤال : لماذا كتاب العربى وهو يعتمد أصلا على مادة سبق نشرها فى المجلة ؟ سنعود إلى تقويم كامل زهيرى لمحتوى العربى القائم على التنوع ، فيقول : « هكذا يضع

أحمد زكى صيغة موسوعته للأدب والعلم والطب والفن ، ويأخذ من كل شىء بطرف ، ويضع معادلة « كيميائية » متوازنة ما بين الأصالة والحداثة ، وما بين العربى والغربى ، وما بين القديم والجديد . . . هذا التوازن الصارم لتكون المجلة « جامعة » وشعبية تبسط العلوم والطب والاختراعات والأدب والتاريخ والفكر . . . » .

ودون أن نستطرد فى أمر المحتوى ، فقد كان نجاح العربى فى عصر أحمد زكى مؤثرا جدا على خليفتيه : أحمد بهاء الدين ، ثم محمد الرميحى ، فظلت رغبة التجديد محكومة بقوة الاستمرار . وقد ذكر الرميحى مبررا أساسيا لإصدار الكتاب ، وهو جمع شتات كتابات المفكرين الذين ساهموا بكتابات قيمة على فترات زمنية متباعدة مما يفقد القارىء متابعة تلك الكتابات التى تناولها كاتب أو أكثر فى موضوع واحد ، لذلك كان المحور الأساسى الذى تقوم عليه فكرة إصدار هذه السلسلة هو أن تقدم مجموعة من الموضوعات لكاتب واحد ، أو موضوع واحدة لعدة كتاب ، على أن تتوافر للقارىء متكاملة فى حجم معتدل يسهل حفظه ونقله(٥) .

وإذا فيمكن أن ننظر إلى كتاب العربى ــ من وجهة فنية ــ على أنه استكمال أو تحفظ على صيغة المجلة الجامعة المبسطة ، من حيث هو انعكاس لفكر كاتب واحد ، أو تعميق وعرض لوجهات نظر حول موضوع واحد . هو من وجهة عملية اكتساب لمستوى آخر من القراء والمثقفين ، ومن وجهة علمية إحياء لمادة علمية ، وإنعاش للذاكرة العربية . فقد يكون من أشد ما نعانى من سلبيات العمل العلمى أننا نبدأ الشىء نفسه أكثر من مرة ، لأننا ننسى ما سبق لنا إنجازه ، وفى هذا ما فيه من التعويق وإهدار الجهد .

لا يتسع المكان لعرض ثمانية وعشرين عنوانا(٦) ، مع هذا لا بد أن نتوقف عند بعض العناوين ، ونبرز بعض المحاور ، ويكفى أن كتاب البداية بعنوان « الحرية » فكان خير استهلال ، وجمع مقالات لأحمد زكى ، فكان عنوان الوفاء ، ومقالات أحمد زكى عن الحرية ليست ذات طابع فلسفى أو تجريدى ، انها بنت زمانها ، تلبى مطالب نفسية واجتماعية للمواطن العربى ملحة ، ولا تخاطب النوع الإنسانى ، ولا تضرب فى المطلق إلا لتخدم هذا المواطن العربى خدمة عملية مباشرة تمس واقعه فى الصميم ، ومن ثم يتناول الحرية من منظور قومى ، وإسلامى ، ثم من منظور العلاقة بين الفرد والمجتمع ، ثم منظور اقتصادى وسلوكى (المساواة والديمقراطية) ثم حرية الفكر والثقافة ، وهكذا حتى يصل إلى آداب الجدل وأصول الحوار . . . وإذًا كان من عناوين هذه السلسلة :

الكتاب الثانى : العلم فى حياة الانسان : عبد الحليم منتصر .
الكتاب الرابع : العروبة والاسلام فى أوربا : محمود السمرة .
الكتاب السادس : طبائع البشر : فاخر عاقل .
الكتاب السابع : حوار لا مواجهة (الاسلام والعصر) : أحمد كمال أبو المجد .
الكتاب الحادى عشر : نظرات فى الواقع الاقتصادى المعاصر : حازم الببلاوى .
الكتاب الثانى عشر : السلوك الإنسانى (الحقيقة والخيال) : فخرى الدباغ .
الكتاب الرابع عشر : المسلمون والعصر : مجموعة من الكتاب .
الكتاب السابع عشر : خطاب إلى العقل العربى : فؤاد زكريا .
الكتاب التاسع عشر : الفلسطينيون من الاقتلاع إلى المقاومة : مجموعة من الكتاب
الكتاب الثانى والعشرون : الإسلام والعروبة فى عالم متغير : عبد العزيز كامل .
الكتاب الثالث والعشرون : الطفل العربى والمستقبل : مجموعة من الكتاب .

وهكذا ، فإننا سنجد ثوابت الرسالة الثقافية للكويت ، التى تتوجه أصلا إلى القارىء العربى ، ولن نهمل الإشارة إلى وجود عناوين فى السلسلة تتصل بالكويت مباشرة ، أو بالخليج وحده ، أو حتى بمجلة العربى فى ذاتها ، وهذا كله طبيعى ومتوقع ، ولكنه لا يمثل النسبة الغالبة ، بل لعله أقل من العشر (١٠ ٪) ولا يحظى بالصدارة أو يسبغ عليه أى لون من الأهمية الاستثنائية . إن عناوين هذه السلسلة تتسق تماما مع المحاور الأساسية التى تعرفنا عليها فى « عالم المعرفة » و « عالم الفكر » ووجه الاختلاف يتصل بالدرجة ، فالمخاطب هنا القارىء العام ، أو القارىء المثقف ، أو هو القارىء الخاص فى حدود مجلة العربى . لن يخطىء النظر فى قراءة هذه العناوين الهدف التنويرى العام ، والتوجه نحو قضايا الإسلام والعصر ، والاهتمام بالقومية ، والمستقبل ، والطفولة .

٢ ـــ من المسرح العالمى

وهذه السلسلة من المسرحيات العالمية من أضخم المشروعات الثقافية العربية إن لم تكن أضخمها على الاطلاق ، إذا ما نظر إليها من منظور الترجمة ، أو من منظور التركيز على فن واحد ، فبين صدور المسرحية الأولى فى أول أكتوبر من عام ١٩٦٩ ، وحتى التوقف المؤقت فى أغسطس ١٩٩٠ صدر مائتان وخمسون عددا (أحيانا اشتمل العدد الواحد على أكثر من مسرحية إذا ما كانت من فصل واحد ، أو فى حالة الأعمال الكلاسيكية التى تتسم بالتركيز الشديد) ولكل مسرحية مترجم ، ومراجع ، ومع كل مسرحية دراسة فنية عن زمن المسرحية وكاتبها ، وفنه بشكل عام ، ثم خصائص هذه المسرحية تحديدا . لقد صنعت هذه المسرحيات نهرا فنيا ثقافيا ، تكون من روافد كثيرة ، متشعبة بامتداد خريطة الفن المسرحى فى العالم ، ولم يعهد فى مشروعات الترجمة ـــ على المستوى العربى ـــ سواء ما قامت به مؤسسات اقليمية قطرية ، أو ما قامت به الجامعة العربية مما يتصل بهذا المجال الثقافى ،

أن كان لها هذا الدأب ، وهذا الحرص على المستوى ، وهذا التمسك بالهدف ، ليست الكويت أول من ترجم عن المسرح العالمى بالطبع ، ومن ثم لا تنسب إلى نفسها اكتشاف حاجة المسرح العربى إلى الاتصال بالمسرح العالمى من باب الترجمة النصية الكاملة والدراسة التعريفية بالاتجاهات ، والاجتهادات ، فقد سبقتها جهود كثيرة على نفس الطريق فى شرق الوطن العربى ومغربه ، ولكن سيبقى المشروع الكويتى الأطول امتدادا ، والأكثر وفاء بالامتداد التاريخى والجغرافى للظاهرة المسرحية ، والتمرد على « المألوف » والرضا بالميسور السهل . ولا بد أن يكون لدينا يقين بأن هذه السلسلة قد صممت لتكون مشروعا ثقافيا قوميا ، إن الحركة المسرحية فى الكويت ، على تنوع أنشطتها أو اتجاهاتها ومستوياتها ، وعلى استقرارها إلى حد كبير ، لم تكن بحاجة (شخصية أو مباشرة) إلى مشروع بهذا الحجم ، وهذه التكلفة ، لكى تضمن لنفسها مادة جديدة ، وهذا يعنى أن الذى رسم أهداف ، وخطط لسلسلة « عالم المعرفة » يوجهها إلى المثقف العام ، وإلى المختص أو المتخصص فى نفس الوقت ، هو الذى رسم أهداف ، وخطط لسلسلة « المسرح العالمى » ليقدم متعة القراءة الفنية ، والتعريف النقدى للقارىء المثقف العام ، وإلى فنانى المسرح فى نفس الوقت ، وهذا ينطلق من وعى باتجاهات التأثير الجماهيرى فى العصر الحديث ، كما ينطلق من احساس ملتزم بجدية أن يكون لنا مسرح عربى قادر على أن يجدد نفسه ، ويكتشف جمالياته ، ويشكل جماهيره ، من خلال المعرفة بتلك اللغة العالمية المميزة ، لغة الفن المسرحى .

لقد عرفت الكويت فن المسرح فى صورته البسيطة جدا ، فى المدارس أواسط الثلاثينيات ، ثم تكونت النوادى (الصورة المحتملة للنقابات أو الجمعيات فيما بعد) فكان بها بعض الفرق فى العقد الخامس (الأربعينيات) ومثلت نصوص عربية وعالمية مترجمة محدودة ، حتى أشار زكى طليمات فى تقريره (عام ١٩٥٨) إلى أنه ليس للمسرحية المترجمة عن الأدب الغربى أثر

فى النشاط الفنى للكويت(٧) . مع هذا فإن زكى طليمات الذى اعتبر مسئولا عن أهم فرقة مسرحية فى الكويت، اختار عناصرها بنفسه (فرقة المسرح العربى) لخمس سنوات تقريبا ، ثم أنشأ مركز الدراسات المسرحية عام ١٩٦٥ وظل يرأسه عشر سنوات لم يقدم نصوصا عالمية . ولسنا نرجع هذا إلى قصور فى فكر أو قدرات طليمات ، وإنما يعنى أن مقدرة الممثل الكويتى كانت ــ حتى ذلك الحين ــ دون الاستطاعة فى هذا المجال . وخلاصة ما نريد فى هذه النقطة ، أنه حين وضعت خطة الترجمة من المسرحيات العالمية إلى اللغة العربية ، لم تكن بحال استجابة لحاجة مباشرة ، يتطلبها وضع الحركة المسرحية فى الكويت ، تلك الحركة التى وصفناها بأنها مستقرة ، فهى تجاوزت مرحلة الحوار عن حلال المسرح وحرامه كما فى بلدان أخرى ، ولكنها لا تستطيع ــ بطبيعة جمهورها المحدود ــ أن « تغامر » بأن تقدم للجمهور العام نصوصا عالمية ، كتبت لمشاهد من نوع يختلف كثيرًا فى أمور كثيرة(٨) . مشروع « من المسرح العالمى » إذًا قد وضع واستمر ليلبى حاجة استراتيجية ــ بعيدة المدى ــ يتطلبها التقدم العربى ، وفن المسرح العربى فى الزمن الآتى ، ولهذا ينبغى أن يستمر المشروع ، دون توقف ، وقد كان .

وكما ذكرنا من قبل فإن نقل المسرحيات العالمية بدأ منذ القرن الماضى ونشط فى أواسط هذا القرن ، ولكنه ظل محكوما بالأسماء التاريخية اللامعة ، ولهذا ترجم سوفوكل ، وشكسبير ، وموليير ، وكورنى ، وراسين ، وجوته ، وشو ، فى مراحل متقدمة وفى أكثر من قطر عربى ، فى حين تأخرت ترجمات ابسن وبيراندللو مثلا ، ولم يلتفت إلى تشيكوف وبرخت إلا تحت إلحاح دعوات فكرية معينة ، وهنا يختلف المشروع الكويتى المترامى المساحات ، إذ

يتحرر من كل الاجتهادات السابقة ، التى نعتقد أنها لم تكن عن قصور فى التصور ، أو عن عجز فى المعرفة ، وإنما كانت منتخبات السابقين تضطر إلى إقرار مبدأ الانتقاء والأولويات لأنها تعرف أنها مجرد « موجة » أو « مرحلة » ولن تتمكن مس الاستمرار ، كما كانت مقيدة بأذواق وقدرات الكوادر المحلية المتوفرة فى كل قطر على حدة ، فإذْ يتجه المترجمون التونسيون إلى المسرح الفرنسى (غالبا)(٩) يتجه المترجمون العراقيون إلى المسرح الإنجليزى (دائما)(١٠) ويلتقى الرافدان عند المترجمين فى مصر ، على أن الجامعة العربية حين تطلعت إدارتها الثقافية إلى المساهمة فى هذا المجال ـــ بتوجيه من طه حسين ـــ فإنها بدأت من شكسبير ، ولم تتجاوزه كثيرا .

أما المشروع الكويتى فقد تحرر من كافة الاجتهادات السابقة كما قدمنا ، ولم يبدأ بالأكثر شهرة وعظمة (شكسبير) ولا بالأسبق أو المؤصل للفن (سوفوكليس) وإنما بدأ باكتشاف الأراضى المجهولة ، بالمسرح المعاصر الذى لم نكن نعرف عنه شيئا ، هذا الذى يعايش عالمنا ، ويؤثر فيه ، ويفترض أننا نقطع نفس الطور ، ونتطلع إلى نفس الهدف ، ومع هذا لا نملك فكرة صحيحة أو غير صحيحة عنه ، وهذا ـــ بدوره ـــ نقص فى معرفتنا العامة ليس فى فن المسرح وحسب ، بل فى معرفتنا بالعصر الذى نعيش ، والعالم الذى نتعامل معه : « سمك عسير الهضم » للكاتب الجواتيمالى مانويل جاليتش هو المسرحية الأولى فى المشروع الكويتى ، وقد ترجمها محمود على مكى(١١) ، كما قدم لها بدراسة مستفيضة تبدأ بالتعريف بأدب أمريكا اللاتينية ، ومسرحها ، وتنتهى بالمسرح فى جواتيمالا ، وفن مانويل جاليتش عامة ، ثم فى هذه المسرحية . أما آخر مسرحية توافرت لنا قبل انقطاع الطريق إلى الكويت فهى مسرحية « حرية المدينة » وهى من الأدب الايرلندى الثورى ، ألفها براين فرايل ، وقد

عرضت على مسرح الابى فى دبلن فى ٢٠ فراير ١٩٧٣ ، ونشرت فى نفس العام ، وقد ترجمت إلى العربية ونشرت فى السلسلة التى نعرض لها فى مايو ١٩٩٠ ، ترجمها خالد حسب ربه ، وراجعها طه محمود طه ، أستاذ الأدب الانجليزى بجامعة عين شمس ، رئيس قسم اللغة الانجليزية بجامعة الكويت ، أحد المشرفين على السلسلة فى مرحلة من تاريخها الممتد ، وهو يملك خبرة متميزة بالأدب الايرلندى ، وقد تصدى باقتدار لترجمة أعمال جيمس جويس الصعبة ، التى لم تقدم فى صورتها الكاملة بالعربية قبل إقدامه على ترجمتها .

سنعتبر هذه الاشارة إلى البداية عن الكاتب الجواتيمالى ، وآخر ما وصلنا من السلسلة للكاتب الايرلندى (غير المشهور بل غير المعروف إذا ما قيس إلى ايرلندى آخر « مثل برناردشو ») إشارة رامزة لبعض خصائص المشروع الكويتى الإيجابية . من المحتمل أنه كان يصل إلى الكشف عن الكتاب غير المشهورين بعد أن يستنفد خبرته وكثيرا من طاقته فى ترجمة الأعمال المشهورة ــ على الأقل إن لم يكن من باب السهولة ، فيكون من باب الترويج للسلسلة والدعاية لها ــ ولكنه يبدأ بكاتب « مجهول » وبمسرحية غير جذابة العنوان ، وسيخوض المشروع بحر المسرح الحديث ، والأسماء غير الشائعة لدى المثقف العربى ، بل لدى كثير من العاملين فى حقل المسرح فى بلادنا ، ليصل إلى موليير ــ لأول مرة ــ فى المسرحية رقم ١٦ ، وإلى شكسبير فى المسرحية رقم ١٨ وإلى سوفوكل فى المسرحية رقم ٢٦ ، وقبل أن نصل إلى تلك المحطات المألوفة لأهل الاختصاص ، نكون قد عبرنا مع المشروع بمحطات غاية فى الأهمية ، لم تكن معروفة على الأقل بالقدر الذى عرفت به الآن ، بعد ظهورها فى السلسلة الكويتية ، مثل : جان أنوى ، ونيقوس كازندزاكى ، وبيتر فايس ، وأوجست سترندبرج وغيرهم .

إننا يمكن أن نجمل أهم خصائص المشروع المسرحى الكويتى لترجمة المسرحيات العالمية فى خمسة أمور :

١ ــ أنه مفتوح لكافة الاجتهادات الفكرية والفنية ، فلم يتجنب غير المسرحيات الهابطة فنا وفكرا ، وهكذا تحرك ما بين كلاسيكيات المسرح العالمى وحتى المسرح التحريبى ، والعبثى ، والوثائقى ، ومسرح الخيال العلمى بل وتطرق إلى مسرح العرائس والأراجوز .

٢ ــ أنه بدأ بالكشف عن المناطق الظليلة ، والمسرحيات المجهولة للمثقف والمسرحى العربى ، فظهرت فى السلسلة منسرحيات صينية ويابانية فضلا عن مسارح أمريكا اللاتينية ، كما حظى المسرح الأفريقى ببعض الاهتمام . فى هذا المشروع استكملت ــ لأول مرة باللغة العربية ــ خريطة العالم المسرحية ، وظهر أن المسرح فن عالمى ، وأبو الفنون بمعنى آخر غير الذى يتبادر إلى أذهاننا عادة قبل أن نكتشف هذا الامتداد الخطير للظاهرة المسرحية .

٣ ــ إن الدراسات التى قدم بها المترجمون أو المراجعون لهذه المسرحيات كثيرا ما أشارت إلى ما قام به كبار المخرجين العالميين تجاه هذه المسرحية أو تلك ، مما وقع اختيارهم عليه ، وهذا التصرف قد يكون فى أسلوب العرض (كأن تعرض المأساة بروح الكوميديا أو العكس) وقد يكون باضافات فى الحركة ، أو اختصار فى النص (كما حدث مع مسرحية دائرة الطباشير التى حذف بعضهم مقدمتها ، وحذف آخرون فصلا فى سياقها) إلخ ، وهذا الجهد الاضافى إلى النص يخرج به من نطاق القراءة الأدبية إلى العرض الفنى ، ويقدم خبرة نادرة إلى المخرج العربى ، والممثل كذلك .

٤ ــ إن المسرحيات التى دخلت فى إطار المشروع الكويتى لم تتأثر فى اختيارها بأى قيد غير قيود الفن المسرحى ، لقد تضمنت مسرحيات ثنية طقوسية ، ومسرحيات سياسية ، تحررية ، واشتراكية ، ومسرحيات دينية ، ليس من بينها مسرحية رجعية ، أو ضد الحرية ، أو تبرر الدكتاتورية ، أو تغرى بالانهزامية وإيثار السلامة ، أو تجمل الطبقية ، أو تحض على الصمت عن الفساد تحت دوافع الوحدة الوطنية . . إن الحرية ، والعدالة ، والكرامة الإنسانية ، والتطلع إلى عالم من السلام والكفاية والجمال ، والتعلق بالجماعة واستعذاب التضحية فى سبيلها هى المحاور الفكرية التى دارت حولها تلك المسرحيات .

٥ ــ ولم تكن مسرحيات المشروع الكويتى نغمة شاردة ، أو غير منسجمة مع رسالة الكويت الثقافية ، بل على العكس تماما ، انها تجد المساندة والمزيد من التعميق فى الاصدارات الكويتية الأخرى ، فتجد فى سلسلة عالم المعرفة عددا من الدراسات المهمة عن المسرح ، وعن المخرج(١٢) . وفى عالم الفكر خصص أكثر من عدد عن المسرح أيضا ، كما أن مجلة العربى كثيرا ما تعرضت لفن المسرح فى شكل نصوص ، وكتاب ، وعروض ، ومكان للعرض . وقد جمع بعض هذا فى واحد من سلسلة كتاب العربى(١٣) ، وهذه المساندة لا تقف عند وحدة الموضوع ، فالأهم هو الموقف أو الرسالة التى تتساند حولها كل إشعاعات المفكرين .

إن تقديم مائتين وخمسين مسرحية ، إلى القارىء العربى ، والفنان المسرحى العربى ، مترجمة عن لغات العالم التى كتب بها المسرح ، مدروسة ومشروحة

بما يؤصل وضعها الحضارى والأدبى ، ويكشف عن أسرار فنها المسرحى ، إن تقديم هذا الكم ، وهذا التنوع ، بهذه الكيفية ، لهو مشروع من أكبر مشروعات التنمية الثقافية ، المؤثرة بقوة فى التقدم الفكرى والفنى للأمة العربية . وقد دل نجاح خطة هذا المشروع ، الذى يقاس بأصولياته (مصادر المسرحيات ومستوى الترجمة وقيمة التحليل الذى يتصدرها) كما يقاس بتقبل المثقفين له (كمية المطبوع الذى تم بيعه ، وعدد العروض التى استمدت من هذه النصوص ، على مساحة الوطن العربى من أقصاه إلى أدناه) لقد دل نجاح الخطة على أن إدارة المشروع الضخم لم تراع فى خططه ، وتشغيل عناصره غير وجه الحقيقة العلمية ، والعروبة النقية ، فكانت المسرحيات المنتقاة حيث توجد العافية الفكرية ، والابتكار الفنى ، فى أى مكان وبأى لغة من العالم القديم أو الحديث ، وكان المترجمون من كل بقاع الوطن العربى ، حيث يوجد الراغبون القادرون على أداء المطلوب ، وكانت استعدادات التسويق تحمل النسخة إلى أكشاك الصحف فى مدينة فاس ، أو الخرطوم ، فى نفس الوقت ، وربما أحيانا قبل أن تطرح فى مكتبات الكويت ، وكان ثمن النسخة يتساوى وثمن الصحيفة اليومية فى تلك المدن العربية ، ليصل إلى كل راغب ، وليس إلى كل قادر . .

٣ ـــ الثقافة العالمية

وهى مجلة دورية ، تصدر كل شهرين ، منذ نوفمبر ١٩٨١ ، عن المجلس الوطنى للثقافة ، وهى تختلف عن الدوريات الأخرى التى يصدرها المجلس ، وهذا واضح فى التعريف المطبوع تحت عنوانها ، فهى « مجلة تترجم الجديد فى الثقافة والعلوم المعاصرة » وبهذا لم تكن تكرارا لمطبوع سبقها ، بل توجها لقارىء جديد ، أو لاستكمال احتياجات قارىء مستمر ، فهى أولا تعتمد على

المقالات والبحوث والندوات المترجمة فقط ، وهى ــ ثانيا ــ تقدم مادة حديثة ، سريعة ، تقدم ما ينشغل به العالم الآن ، حتى لو كان موضوعا قديما لكنه يقدم بتقييم حديث ، أو من خلال رؤية جديدة أو مختلفة(١٤) ، وتتوخى التنويع فى اهتماماتها ، والإيجاز ، ثالثا وأخيرا . فكأنّ مجلة الثقافة العالمية ، وهى تنقل عن المجلات العالمية من كل أطراف العالم ، إنما هدفت أن تحقق للمثقف العربى الذى يجد صعوبة فى الاتصال بهذه المجلات لأسباب مادية ، أو لغوية أو لصعوبة الحصول عليها لبعد الشقة ، تحقق له هدفين : فتح نوافذ الثقافات الأخرى ، ووضعها فى متناول المثقف العربى العادى ، بصورة ميسرة من حيث اللغة ، وسعر المجلة (فهى تباع فى السودان مثلا بربع جنيه سودانى ، وفى مصر بربع جنيه مصرى ، وفى الأردن بربع دينار أردنى ، وفى العراق بمائتى فلس عراقى . . . وهكذا) والهدف الثانى هو القصد إلى أحدث ما كتب فى الموضوع ، إذ أن فى مقدمة الأهداف أن تضع المثقف العربى فى موقعه من ثقافة العالم « اليوم » ، بحيث يواكب التطور العالمى ، ويماشى خطوه المتسارع مما يعينه على تجاوز موقع التابع ، أو المتلقى الذى تسبقه الأحداث ، والأفكار ، ويعرف بالأشياء بعد أن تصبح « تاريخا » .

لقد اتخذت المجلة لنفسها شعارا وضعته على غلافها الداخلى ، يقول : « وقديما ترجموا » ومن فوقها قطعة من إحدى مقالات جالينوس ، مما ترجم العرب فى عصر تسنمهم قمة الحضارة فى العالم ، وكأن المجلة ــ فى هذا الشعار ــ تذكرنا بأن الترجمة لا تعارض الأصالة ، وأن بداية النهضة أن تتعرف على علوم الآخرين وأن تعيش عصرك ، لتتمكن من التعامل معه ، وقيادته إن كانت قواك المذخورة تطيق ذلك .

لقد تحقق فى « الثقافة العالمية » شرط الصحة ، والجمال ، والمنفعة المؤكدة ، فالمقالات جميعا توثق بذكر اسم المترجم ، والمصدر ، والعنوان الأصلى بلغته ،

كما تعتمد المجلة على ترجمات من تثق بمستواهم أينما كان موقعهم فى الوطن العربى أو خارجه ، ولا بد أن تحصل إدارة المجلة على النص الأصلى للمقالة ، لتراجع الترجمة بهيئة تحريرها ، والأجهزة المساعدة ، ويمكن أن نلمس هذا فى أى عدد من أعدادها ، كما أنها جميلة التبويب والاخراج ، تخفف من « جدية المقالات » بالصور والرسوم التى تكون مقرونة بالأصل ، أو أضافها المترجم للتوضيح ، وهى لا تقبل المقالات التى مضى زمانها ، أو التى نقلت عن دوريات ليست على مستوى الثقة والجدية ، كما ترفض التكرار ومضغ المعلومات ولو تحت شعار أنها تطرح موضوع الساعة (مثل البروسترويكا مثلا ، فقد نشرت عنها ثلاث مقالات ، رأت فيها الكفاية ، وتمثيل مختلف وجهات النظر إليها وتفسيراتها ومصيرها المحتمل) وهذا إقرار لمبدأ ضرورة مواكبة خطى التطور المتسارعة نحو الألف الثالثة من التاريخ الميلادى للعالم .

ومع تنوع مادة كل عدد من المجلة ، ما بين العلوم ، والفنون ، والسياسة ، والاقتصاد ، والآداب ، وعلم النفس . . . إلخ ، فإنها تحرص على معادلة هذا التنوع بأمرين :

(أ) ملف العدد ، وهو عن موضوع عام ، تجتمع تحته عدة مقالات أو بحوث قصيرة(١٥) .

(ب) تقديم ثلاثة أبواب ثابتة ، وهى : التقرير العلمى ، وتقارير المراسلين ، والكتب الجديدة .

وفضلا عن هذا فإن المجلة تقدم أخبار الوطن العربى الثقافية ، من زاوية اهتمام العالم بها وتفاعله معها(١٦) ، كما تعرف بما ترجم من دراسات وإبداعات من لغات العالم إلى اللغة العربية .

وخلاصة القول أن مجلة « الثقافة العالمية » لم تخفف من درجة الجدية ، والعصرية ، والعلمية ، بل من حجمها ، لتكتسب بإيجازها قارئا يبحث عن المعرفة المركزة ، الواضحة ، وفضلا عن هذا كانت بمثابة الخبز الثقافى اليومى ، لقارىء متقف ، يريد أن يعرف ــ أول فأول ــ بماذا يفكر العالم الآن ، وكيف يفكر ؟ ولسنا بحاجة إلى تحليل موضوعى ، يشمل محتوى ثلاثة وخمسين عددا (كل منها فى ٢١٠ صفحات من القطع المتوسط) لنرى كيف تحقق التناغم ووحدة التوجه ، فى رسالة الكويت الثقافية ، وكيف حققت الأصالة ، واحترام العلم ، والتنوير بالماضى والمستقبل ، وتقوية أواصر الارتباط بالحياة الحية النامية ، فى كل مقالة اختيرت من بين آلاف المقالات يبدعها العالم كل يوم .

٤ ــ الندوات والمؤتمرات

إن إقامة ندوة ، أو عقد مؤتمر ، يمكن أن يكون ــ علميا واجتماعيا ــ أهم بكثير من صدور كتاب ، بل عدد من الكتب ، تتناول ، الموضوع ذاته ، بنفس المستوى من العمق ، أو ربما أكثر ، وفضل « المؤتمر » أنه يعبر عن روح الجماعة ، ويتيح الفرصة لتبادل الخبرات ، وهو نوع من التعليم الحى المباشر الذى تنتقل به المعرفة من جيل إلى آخر بطريقة محببة من الطرفين ، يتحقق فيها شرط التعارف عن كثب ، واستنباط ما لا توصله من الكلمات من إشارات الروح وشارات السلوك العملى . وليس هذا ــ بالضرورة ــ ثمرة مرتقبة لأى ندوة ، ولكنه فى متناول الخبرة حين يحسن الإعداد .

والكويت من الأقطار التى عرفت الندوات فى فترة مبكرة ، وكانت أكبر « مستورد » لها ، بل كانت الندوات التى تعقد ويدعى للتحدث فيها أهل

الاختصاص فى فنون شتى ، من كافة أقطار الوطن العربى ، يطلق عليها « الموسم الثقافى » وتعتبر الرافد الأول لثقافة أهل الكويت قبل انتشار الكتاب والصحيفة ، ولهذه المواسم الثقافية من الذكريات فى نفوس جيل الاستقلال ما يحظى حتى الآن بالاعجاب والحنين إذ كان الناس يقبلون عليها ، ويرددون ما سمعوا فيها ، ويتذكرون جدلهم مع المحاضر ، أو حول محاضرته ، وكيف تحققت تحولات وبدأت تطورات بتلك الندوات(١٧) .

فى مرحلة « استيراد » الكويت للندوات ، عرف جمهورها فى موسمه الأول (١٩٥٥) قدرى طوقان ، وعمر فروخ ، وعبد العزيز الدورى ، وسعيد عبده ، واسماعيل القبانى ، وأحمد زكى ، ومتى عقراوى ، وغيرهم . وفى الموسم الثانى (١٩٥٦) حاضر فى الكويت عبد الرحمن البزاز ، وأمجد الطرابلسى ، ومحمد الصياد ، واسحاق موسى الحسينى ، وسليمان حزين ، ونقولا زيادة ، وحسين فوزى وقسطنطين زريق . وفى الموسم الثالث (١٩٥٧) عرفت قاعة الندوات فى « الشويخ » : حكمت هاشم ، وفؤاد صروف ، وجميل سعيد ، ومنيف الرزاز ، وأحمد هاشم ، وأمين الخولى ، وبنت الشاطىء ، وفى الموسم الرابع (١٩٥٨) أضيف : ميخائيل نعيمة ، وعبد العزيز القوصى ، وأمينة السعيد ، وزكى طليمات ، وجميل صليبا وغيرهم . وهكذا استمر دفق المعرفة ينثال ، وحيوية الحوار تذكو ، وتيار الخبرات يشتد ، وتنوع الثقافات والأفكار يتفاعل . ولم تكن موضوعات هذه المحاضرات عن الكويت ، وانما كانت تخاطب الكويت ، وتقرب الأفكار ما بين داخلها وخارجها ، وتمد جسور الوحدة الثقافية العربية ، كما كانت تجتذب الوعى الكويتى إلى التلاحم مع الوطن العربى ، فقد يتحدث أحمد زكى عن « أحياء فى عالم الخفاء » أو فؤاد صروف عن « مكان الانسان فى الكون »

أو حسين فوزى عن « الملاحة العربية فى العصور الوسطى » مما يمكن اعتباره ثقافة خالصة . بل قد نجد موضوعات « اقليمية » لا تهم المتلقى فى الكويت مثل محاضرة جابر عمر عن « الأعمار ومشروعاته فى العراق » أو لا تعبر عن حاجة ماشرة (فى تلك المرحلة على الأقل فضلا عن انها ليست من موضوعات المحاضرات العامة) مثل محاضرة صبحى الدجانى عن « تعليم الشواذ » (ويعنى المعاقين) غير أن النسبة الغالبة من هذه المحاضرات ، ولعلها صلب ما أقيمت المواسم الثقافية من أجله ، فيسيطر عليها الهدف الحضارى ، القومى ، وهذا ما نلمسه فى مثل هذه العناوين :

التربية : أهداف التعليم فى البلاد العربية ، اتجاهات التربية فى عالم اليوم ، أثر تربيتنا فى حياتنا العامة . أهداف التربية وأهداف المجتمع ... الخ

القومية : روح الشعوب ، القومية فى العصور المختلفة ، الاتجاه القومى فى التربية العربية ، تربية الشعور القومى ، وسائل التربية القومية ... الخ

السياسة : العرب والسياسة العالمية ، دروس من التاريخ ... الخ

وموضوعات مختلفة تلتقى فيها معارف شتى ، ولا يسهل استنباط مراميها بقراءة عناوينها .

لقد كانت الكويت تستقدم هؤلاء الأعلام ، وتتجمع حولهم ، وتحاورهم ، وتطبع محاضراتهم ، كانت المستفيد الأول ، ولكنها لم تكن المستفيد الوحيد ، فهؤلاء الأعلام أنفسهم قد أقاموا علاقة ، واكتسبوا مزيدا من المعرفة بوطنهم العربى وبجمهورهم ومعلوماتهم التى دخلت دائرة الجدل . وبهذه المعانى وهذا الامتداد تدخل هذه الندوات دائرة التنمية الثقافية العربية . انهم — بدورهم — يعودون إلى أقطارهم ليتحدثوا إلى جمهورهم هناك ، وليكتبوا ، وليعدلوا من بعض آرائهم .

ثم تطورت مصادر الثقافة فى الكويت ، وتنوعت ، وتعددت مستوياتها بدرجة ترهق محاولة تتبعها ، وأصبحت « المواسم الثقافية » فقرة أساسية لبرامج العمل العلمى ، والأدبى ، والسياسى ، والنقابى ، لقد حافظت وزارة التربية (وارثة دائرة المعارف التى أقامت المواسم الأولى) على موسمها وان اكتفت فى أغلب الأحيان بمحاضرين من داخل الكويت ، كما أصبح للجامعة موسمها ، ولنادى أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة موسمه الخاص ، ولرابطة الأدباء ، ورابطة الاجتماعيين ، وجمعية الصحفيين ، ورابطة الخريجين ، وجماعة الاصلاح الاجتماعى .. مواسمهم الخاصة ، المعبرة عن توجهاتهم ، ولم يعد المحاضر الفرد ، أو الندوة المحددة بأمسية مطلبا ملحا ، لقد دخلت الكويت دائرة إقامة المؤتمرات ، ونشطت فى هذا المجال نشاطا ملحوظا ، بدرجة استدعت التعليق(١٨) . وفى هذه المرحلة الممتدة يمكن أن توصف الكويت بأنها مصدر (بتشديد الراء) للمؤتمرات ، رغم أنها هى الدولة التى تتكفل باستضافة المؤتمر ، وأنها كانت ــ بهذا الصنيع ــ تساهم بطريقة فعالة فى بناء ثقافة عربية واحدة ، وتنسيق الأنشطة العلمية العربية بحيث تتقارب مداخلها وتأخذ شكل « المنظومة » التى تميز العمل الصادر عن حضارة واحدة الجذور ، موحدة الفروع .

ما الذى يجعل ندوة أو مؤتمرا يكتسب هذا الحق فى الوصف ؟ إن الأمر يرجع إلى تحقيق ثلاثة شروط :

١ ــ العنوان الذى يعقد تحته المؤتمر ، فهذا العنوان بمثابة إعلان عن الهدف المراد تحقيقه .

٢ ــ المشاركون بالبحوث ، والتعليق ، والحوار ، فمستواهم وسوابق جهودهم العلمية هى التى تحدد درجة الجدية ومساحة الرؤية لديهم فيما يتعلق بموضوع المؤتمر .

٣ ـــ إدارة المؤتمر ، بدءا من سلامة الانتقاء ، وتنظيم العمل ، ومنع الانحراف به عن غايته ، والحفاظ على استقلاله وحريته فى طرح مقولاته ، ثم توسيع دائرة تفاعله بتوصيل ثمراته إلى من يهمهم أمره فى مواقعهم البعيدة ، أولئك الذين لم تتح لهم فرصة المشاركة المباشرة فيه .

بهذه العناصر الثلاثة ، فيما نرى ، يمكننا الحكم على جدوى ، أو عدم جدوى المؤتمرات والندوات . وحين نراجع ما عقد فى الكويت من مؤتمرات عربية ، وعالمية ، دعت إليها الكويت بمبادرة ذاتية ، سنجد هذه الشروط متحققة ، بكثير من الاخلاص مما يعطيها الحق فى أن تعتبر إحدى الوسائل الوسيطة لنقل الثقافة والفكر بين أقطار العرب .

أولا : على مستوى الأهداف التى تستشف من عناوين المؤتمرات ، لن نجد إلحاحا « مريضا » على « تكويت » الموضوعات ، أو جعلها تبدأ من الكويت ، أو حتى الخليج ، هناك مؤتمرات مخصصة لمشكلات الكويت ، أو الخليج بالطبع ولكنها لم تكن النغمة الغالبة ، ولم تكتسب أهمية استثنائية ، عند الدولة أو عند المنظمين للمؤتمر ، بل يمكن أن نقول ـــ من واقع المشاهدة ، وما تدل عليه المتابعة ـــ أن المؤتمرات التى توجهت إلى الأمة العربية ، وتناولت القضايا المشتركة ـــ كانت تمثل بؤرة الاهتمام ، وتحظى بالرعاية الخاصة .

وفى هامش سابق (رقم ١٨) أشرنا إلى عناوين المؤتمرات التى عقدت فى الكويت إبان شهرين فقط ، وإذا اعتبرنا صدق ما يدل عليه تحليل العينة العشوائية ، ففيها أربع موضوعات ذات أهداف عربية : الطب الاسلامى وحقوق الانسان فى الاسلام ، والطاقة الشمسية ، والإبداع الفكرى الذاتى . وموضوع واحد يخص الخليج : مصادر المياه فى الخليج

والجزيرة ، وموضوع واحد يخص الكويت : ملتقى صقر الرشود المسرحى ..

إننا لا نشك فى صحة هذه النسبة واستقرارها ، فيما لو توافر لدينا الآن ثبت بكل ما عقد على أرض الكويت من ندوات ومؤتمرات ، وهذه الستة المشار اليها ليست جميعها تحت مظلة الدولة ، فملتقى صقر الرشود ـــ مثلا ـــ أقامته فرقة مسرح الخليج العربى ، التى كان الرشود أحد مؤسسيها ورائد تجربتها المسرحية الناضجة . وهناك وجه آخر يخرج بمثل هذه الندوات من مستوى الإقليمية إلى المستوى القومى العام ، وهو ينكشف إذا ما جاوزنا العنوان إلى العنصر الثانى ، وهو المشاركين . والموضوعات التى أسهموا بها ، وفى الملتقى المشار اليه ، وقد صدر عنه عدد خاص من أعداد مجلة « البيان »(١٩) استضاف الملتقى وفودا وشخصيات من تونس والمغرب والأردن والعراق وسورية ومصر وفلسطين ، وقدمت فيه بحوث عن القضية الاجتماعية فى مسرح نعمان عاشور ، ومجتمع توفيق الحكيم ، ومسرحيات ابسن الاجتماعية ، والمجتمع الايرلندى فى مسرح أوكيسي . وتحدث سعد أردش عن تجربته فى إخراج المسرحيات الاجتماعية . ومثل هذا يقال عن ندوة مجلة « العربى » فى احتفالها بيوبيلها الفضى ، فقد جاء المشاركون من كل أطراف الوطن العربى لا ليتعلموا عن هذه المجلة ، وإنما ليعرضوا تجاربهم مع مجلات بلادهم (مثلا : كان بحث محمد مواعده (من تونس) عن دور المجلات فى النهضة الأدبية والفكرية بتونس ، وكذلك حاضر القادمون من الجزائر عن صحافة الجزائر) ... الخ .

ونعود إلى العناوين المحددة ، أو الكاشفة عن الأهداف ، فنجد أن المعنى العربى العام هو السائد ـــ كما تقدم ـــ حتى حين يكون العنوان

كويتيا صرفا ، أو خليجيا أو تحت مظلة مجلس التعاون . ونذكر هنا المهرجان المسرحى الأول لمجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وقد عقد فى الكويت (٢٦ مارس — ٢ ابريل ١٩٨٨) فنلاحظ أولا أنه عقد تحت عنوان ثابت هو : « الجمهور والمسرح » ، ونذكر من بين مفرداته : طبيعة المتفرج العربى ، هل يوجد ناقد مسرحى مؤثر ؟ أسئلة النقد واشكالية الجمهور ، النقد المسرحى فى الصحف ، الكتاب وأثره على الجمهور المسرحى ، مدخل إلى دراسة الجمهور فى المسرح المصرى ، وسائل الاتصال وأثرها على الجمهور المسرحى .. هكذا تنعقد الندوة فى الكويت ، تحت مظلة مجلس التعاون الخليجى ، ولكنها فى محاور اهتمامها ، وبالمشاركين فيها ، عربية أصلا ، وفرعا وثمارا .. ومثل هذا يقال عن « ندوة الابداع الفكرى الذاتى »(٢٠) وندوة التراث العربى والمسرح(٢١) ومؤتمر عن قضايا تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى(٢٢) ، وأزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى(٢٣) وهكذا .

ثانيا : المشاركون ، وهم العنصر المؤثر فى أى مؤتمر ، الذى يضمن له الفاعلية أو يدفع به نحو المظهرية ، وهو مكمل أو صانع للهدف تحديدا ، وكم من كلام معاد أو قليل الجدوى أو شديد الضرر ، وضع تحت عناوين براقة ، وأقيمت من أجله وللترويج له الزينات (على هيئة مؤتمرات سخية الانفاق) ان الكويت تعرف كيف تختار ، دون أن تفرض أبناءها أو تقحمهم فى أى موضوع ، ودون أن تتجاهل قدراتهم حين تتميز وتستطيع ، ودون أن تشعر بحرج حين يكون لهؤلاء الأبناء الإعداد ، والتنظيم ، والإدارة ، والتوصيل ، لأنها ترمى إلى تقديم خدمة قومية ، تتجاوز حدود الاستطاعة « الشخصية » إلى آفاق الاستطاعة بأنواعها ، وفاء لذمة الانتماء العربى ، وهدف الوحدة الثقافية . هل نقول إن أشد

ما يعانى وطننا العربى من بلاء هو أنه يوسد أموره إلى غير أهلها ، ويخلط بين الأهداف النبيلة المعلنة ، والوسائل المدخولة المحبطة ؟ فى مؤتمرات الكويت وندواتها سنجد المشاركة العربية ، والعالمية ، تأتى بأجود العناصر ، وأصدقها ، دون أن يطغى إحساس بالضعف أمام أوهام (تمثيل) كافة البلاد العربية مع الحرص على هذا التمثيل ما أمكن ، ودون تخوف من اتهام بالانحياز إلى الشرق أو الغرب ، إلى الرأسمالية ، أو أعداء الرأسمالية ، لأن الفكر فى الكويت ، والثقافة فى الكويت ، كالتجارة الراشدة الذكية فى الكويت ، لا تبحث عن الربح بأى ثمن ، بل الربح بوسائله الصحيحة ، العلمية ، الحريصة على الجودة ، والاستمرار ، وتحقيق الأهداف البعيدة .

فى ندوة « أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى » (ابريل ١٩٧٤) المشاركون جميعا أساتذة فى قمة الاختصاص بالموضوع ، عرب من كل مكان : من جامعات الولايات المتحدة : ابراهيم أبو لغد ، بهاء أبو لبن ، مجيد خدورى ، نديم البيطار ، هشام شرابى .

ومن بيروت : أدونيس (على أحمد سعيد) حسن صعب ، سهيل ادريس ، قسطنطين زريق ، نيقولا زيادة ، يوسف الصايغ .

ومن سوريه : طيب تبزينى ، عبد الله عبد الدايم ، محى الدين صبحى

ومن بغداد : عبد الجبار عطيوى ، على الوردى ، فيصل السامر .

ومن الجزائر والمغرب وتونس : عبد الكريم غلاب ، عثمان شبوب ، عمار بوحوش محمد الطالبى .

ومن القاهرة : زكى نجيب محمود ، فؤاد زكريا ، محمد النويهى ، أحمد بهاء الدين ، وهكذا ...

أما حين يكون الموضوع « قضايا تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى » (ديسمبر ١٩٧٥) فقد تحددت نوعية المشاركين بحيث تفى بحق الموضوع نظريا ، وتؤتى ثمرة عملية تعود على الوطن العربى كله بالخير ، كلمات المقدمة التى كتبها أمين المجلس الوطنى للثقافة ـــ أحمد العدوانى ـــ تكشف عن دوافع الاختيار وأهدافه المرتقبة ، تقول :

« كان من الطبيعى والبلاد العربية تخطط للوصول إلى مستقبل أفضل ، أن تولى اهتماما متزايدا لتنمية مواردها المادية والبشرية ، وأن يشمل هذا الاهتمام إعداد الكوادر العلمية والفنية العربية ، وحسن الاستفادة منها ، ومحاولة استعادة ما تسرب منها إلى البلاد الأجنبية ، وبوحى من هذا الادراك اتخذ المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب توصية بإقامة مؤتمر فى الكويت للجامعيين العرب العاملين فى أميركا ، وخصص أميركا بالذات لأن نسبة من الكفايات العلمية العربية التى تسربت إلى خارج الوطن العربى استقرت فى الولايات المتحدة وكندا ، وكانت الغاية من إقامة هذا المؤتمر توثيق صلة هؤلاء العلماء بوطنهم العربى ، لعل ذلك يكون عاملا فى دفعهم كلهم أو جلهم للعودة والمشاركة فى بناء هذا الوطن وتقدمه ، هذا إلى جانب أهمية الموضوعات التى سيبحثها المؤتمر »(٢٤) .

بهذه الدوافع كونت لجنة تحضيرية ، ولجنة تنظيمية ، مشاركة بين اتحاد خريجى الجامعات الأمريكيين العرب ، والمجلس الوطنى للثقافة ، ثم دعى مائة وعشرون من أعضاء هذا الاتحاد ، وأعضاء مجلس ادارته ، وأسماؤهم مسجلة فى صدر الكتاب الذى يتضمن بحوث المؤتمر ووصف وقائعه ، كما دعى سبعة وأربعون شخصية عربية ما بين رئيس جامعة ، ووزير للتعليم . ومثل هذا العدد شاركت به الكويت ، ما بين أساتذة الجامعة ، والمشتغلين بالثقافة والفكر ، ومن لهم علاقة عمل (كالخارجية والتخطيط والمالية) بأمور العرب فى الخارج .

إننا فى هذا السياق لا نملك أن نتوقف عند البحوث والمناقشات والأفكار التى طرحت فى إطار هذا المؤتمر ، وهى مطبوعة على أية حال . ولكننا على ثقة فى أنها حين تقرأ بعناية ، ورغبة فى العمل ، لابد أن تغير ، وهى قد غيرت فى الكويت بصفة خاصة ، تصورات وعلاقات ، ما بين العرب فى بلادهم ، والعرب المهاجرين إلى خارجها .

٣ ــ الإدارة والابلاغ بالنتائج ، وهذا هو العنصر الثالث الذى يحدد قيمة الندوة أو المؤتمر ، والإدارة الناجحة هى التى تجعل النجاح ممكنا بحسن الأداء فى المراحل الأولى : اختيار الموضوع ، وتحديد المشاركين ، ثم تجعله حقيقة بالتنظيم وإتاحة المناخ العلمى الحر ، ثم يكون حقيقة بازغة مبهرة ، بتعميم النتائج وتحويلها من أوراق ترتبط بلحظة تاريخية ، إلى وثائق متاحة ، حية ، تأخذ مكانها فى العقل العربى ، وتتحول إلى خلايا فاعلة فى تفكيره .

سنأخذ مثالا واحدا على توافر هذا الجانب وحسن رعايته ، وما يؤدى إليه هذا من تنوير عام ، وتنمية للوعى ، والفكر ، وهو ما عقد تحت عنوان : « المؤتمر العالمى الأول عن الطب الإسلامى » . لقد تم هذا فى يناير ١٩٨١ ، (ربيع الأول عام ١٤٠١ هـ) بمناسبة إشراقة القرن الخامس عشر الهجرى . ولأنه مؤتمر عن الطب الإسلامى فإن الدعوات وجهت إلى المشاركين (هيئات وأفراد) باسم وزارة الصحة الكويتية ، ولكن لأن الأمر فى الاتصال ، والتنظيم ، والأهداف (الحضارية) يتجاوز حدود استطاعة وزارة الصحة ، فقد شاركها المجلس الوطنى للثقافة ، ثم وضع المؤتمر تحت رعاية أمير دولة الكويت (الشيخ جابر الأحمد الصباح) .

تحت شعار « الطب الإسلامى » اجتمع ثمانون عالما ، من الوطن العربى ، ممثلا لكل أقطاره تقريبا ، يضاف إليهم كل من له سابقة اهتمام بهذا الموضوع

أزمة التطور الحضاري
في الوطن العربي

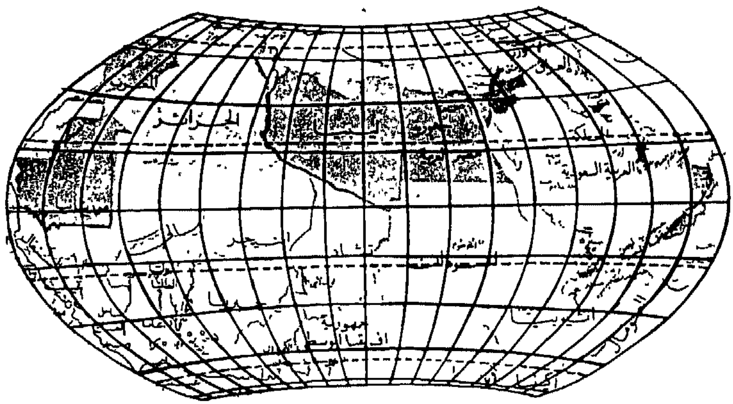
وقائع ندوة الكويت ما بين ٧ - ١٢ نيسان
" ابريل" ١٩٧٤

اعداد واشراف
الدكتور شاكر مصطفى

جمعية الخريجين　　　جامعة الكويت

وثيقة ٩

قضايا تنمية الموارد البشرية
في
الوطن العربي



الكويت
من ٢٨ الى ٣١ ديسمبر ١٩٧٥

وثيقة ١٠

مسلما كان أو غير مسلم ، فى الولايات المتحدة ، وفرنسا ، وبريطانيا ، وكندا ، وأسبانيا ، والهند ، وباكستان ، وماليزيا ، وأندونيسيا ، وموريشيوس ، وتركيا ، وحتى الدكتور عمر حسن كاسول سكرتير عام المكتب الإسلامى للترجمة بأوغندا ، والدكتور غلام محمد حسين مقرر الجمعية الطبية الإسلامية بجنوب أفريقيا ، والحكيم س . ك . نظيم الدين بمركز أبحاث الطب اليونانى بمدراس بجنوب الهند ، وجدوا من يتذكرهم ويبحث عنهم ، ويتابع حضورهم ، ويتلقى خبراتهم وينشرها علينا .

لقد طبعت بحوث هذا المؤتمر فى كتاب خاص ، يوزع مجانا (فى ٥٢٦ صفحة من القطع الكبير) ولكن هذا ليس أهم ابلاغ بنتائج المؤتمر ، إن استدعاء هذا العدد الضخم ، وعقد مجالس علمية مشتركة ، هو فى ذاته إعلام من نوع فريد لا يسهل الوصول إليه ، لأن هؤلاء العلماء الثقات هم رؤساء فى تخصصاتهم فى بلادهم ، يعودون بخبرة اضافية ، وقد ارتبطوا بشبكة من الأصدقاء الجدد ، والمعرفة الجديدة .

وفى نفس فترة انعقاد المؤتمر يصدر كتاب (هو مشاركة من نوع آخر) عن نفس الموضوع « الطب الإسلامى » تأليف ما نفريد أولمان وترجمة الدكتور يوسف الكيلانى ، وقد نشرته وزارة الصحة فى الكويت ، ووزعته بمناسبة المؤتمر ، فكأنه تسديد آخر على الهدف ، بل إننا حين نوسع دائرة الرصد قليلا سنجد أن السلاسل الأخرى ــ فى الكويت ــ تتقارب فى الرؤية ، يدعم بعضها بعضا ، فنجد فى عالم المعرفة ما يقارب هذا الاهتمام بالعلوم عند العرب ، ومثل آخر نجده عندما تعقد ندوة « الإبداع الفكرى الذاتى فى العالم العربى » فإننا نجد « الظاهرة الإبداعية » ، عنوانا لواحد من أعداد « عالم الفكر » الضخمة ، الثرية بالبحوث النادرة .

وللندوات وحديثها ، وللمؤتمرات وما يترتب عليها ... بقية . فقد ابتدعت الكويت صيغة أخرى للتواصل الثقافى العربى ، من خلال ما أطلقت عليه « الأسابيع الثقافية » فقد كانت جامعة الكويت ، ترسل فى كل عام فريقا من أساتذتها وطلابها إلى أحد الأقطار العربية ، ليزوروا جامعات ذلك القطر ، ويقيموا مع طلابها ، ويقدموا المحاضرات ، ومعارض المطبوعات ، والفنون التشكيلية ، ويستقبلوا مثل ذلك من أساتذة وطلاب تلك الجامعات ، حدث هذا فى جامعات السودان عام ١٩٨٠ ، ما بين جامعة الخرطوم ، وجامعة أم درمان الإسلامية ، والمعهد العالى للفنون المسرحية بالخرطوم ، وجامعة الجزيرة (واد مدنى) وحدث مثله فى الجامعة والمعاهد التونسية فى العالم التالى (١٩٨١) ما بين تونس ، والمانستير ، والقيروان .. وحدث بعد هذا فى عمان ، وفى غيرها .. من قبل ومن بعد .

ولم يتخلف المجلس الوطنى للثقافة عن إقامة « الأسابيع الثقافية » التى يرسل فيها شعراء الكويت إلى العواصم ، ويقيم معارض مطبوعاته السخية (التى تهدى عادة ولا تعاد إلى الكويت) .

كما كانت الفرق المسرحية الكويتية (وهى معانه من الدولة ، وتعان استثناء حين تقوم بمثل هذا العمل) تقدم عروضها فى العواصم والمدن العربية ، وهذه صفحة من نشاط فرقة مسرحية واحدة هى فرقة « مسرح الخليج العربى » التى بدأت رحلة التواصل الفنى العربى مبكرة .

فقد عرضت مسرحية « الحاجز » فى بغداد ، ثم القاهرة (١٩٦٦)
وعرضت « نعحة فى المحكمة ، وبخور أم هاشم » فى البحرين (١٩٧٠)
وعرضت مسرحية « الدرجة الرابعة » فى دمشق والقاهرة (١٩٧١)
وعرضت « ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ بم » فى البحرين والإمارات ودمشق (١٩٧٢)

وعرضت « شياطين ليلة الجمعة » فى مهرجان المغرب المسرحى (١٩٧٤)
وعرضت « مسرحية الواوى » فى قطر ، والإمارات ، والبحرين (١٩٧٦)
وعرضت « حفلة على الخازوق » فى مهرجان دمشق المسرحى (١٩٧٧)
ثم فى القاهرة فى العام التالى .
وعرضت « عريس لبنت السلطان » ضمن الأسبوع الثقافى الكويتى فى كل من الجزائر وليبيا (أبريل ١٩٧٨) كما قدمت المسرحية نفسها فى الأسبوع الثقافى ببغداد (١٩٧٩) .

وهكذا ....

ولم تكن فرقة المسرح العربى بأقل من هذا نشاطا ، وقد بلغ من اجادة فنها أن حصلت على جائزة الإبداع العربى ، حين قدمت مسرحية « رحلة حنظلة » فى مهرجان بغداد المسرحى (أكتوبر ١٩٨٥) .

نستطيع أن نعيد قراءة خطوط التوصيل فى رسالة الكويت الثقافية ، لنكتشف للوهلة الأولى أنها كانت موجهة إلى الجميع .. من الطفل إلى قمة المعرفة ، من الاعتماد على السماع إلى مشاهدة المسرح ، والدخول فى علاقة جدلية مع أعمق الأفكار .

دأب المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب منذ عام ١٩٧٧ على إقامة أسابيع ثقافية في مختلف انحاء الوطن العربي بدأها في تونس ـ الجزائر ـ وليبيا ـ والمغرب ثم العراق وشطري اليمن ، وفي سبتمبر الماضي أقيم الأسبوع الثقافي الكويتي في الأردن .

استهدفت الكويت من خلال أسابيعها الثقافية توثيق العلاقات بينها وبين الأشقاء ، وأبراز الوجه الثقافي للكويت الحديثة في جوانب شتى من العلوم والفنون والآداب ، لايمانها العميق بأن الاطلاع على ثمرات العقول ، والوقوف على ما أبدعت هو الجانب المتحضر الذي يميز الانسان عن غيره من الكائنات .

المعروف أن أنشطة الأسابيع الثقافية تشمل على عروض مسرحية وأمسيات شعرية ومحاضرات وندوات ثقافية ، بالاضافة الى إقامة معارض فنية تبرز جوانب مختلفة من فن الرسم والنحت ، وعروض للأزياء التقليدية ، ثم عروض أخرى غنائية وموسيقية . ومعارض للكتب والدوريات والمنشورات التي تصدرها مؤسسات مختلفة .

جدوى الأسابيع الثقافية :

يقول الدكتور هاشم ياغي الأستاذ بالجامعة الأردنية رداً على سؤال لنا عن جدوى هذه الأسابيع الثقافية التي تقيمها مجموعة من المثقفين العرب في بعض أقطار وطننا العربي . . : « كأني أحس بأمرين يشغلان بالك : أولهما ، هذا الانصراف النفسي لدى الكثرة من أبناء أمتنا عن مواسمها الثقافية ، بل عن جميع مؤتمراتها المتعددة ، وثانيهما ، هذا الذي استقر في وجدانك ووجدان كثرة من أبناء هذه الأمة أيضاً من صور تاريخية لمواسم في الثقافة كانت تسطع في تاريخ هذه الأمة ، وكان لها ثمراتها الرائعة ، بل أن هذه المواسم كانت من أخصب الينابيع التي أستقى منها عرب الجاهلية السابقة للاسلام خاصة في التمهيد لتجمع القوم في البيان واللغة والفكر والثقافة ، مما أفاد منه حين وجهه لمنفعة هذه الأمة ، ولعل هذا الذي استقر من منافع في المواسم أن يكون قريباً مما أوحى به القرآن الكريم اذ يقول : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » . . . والتعارف الذي يذهب اليه القرآن الكريم فيما أشعر هو لقاء ذوي الخبرة الواسعة في الحياة ، وذوي البصر فيها والمعرفة بغيرهم من الناس

ويستطرد الدكتور ياغي قائلا : واذا كان العرب اليوم قليل التواصل الحقيقي بين أقطارهم رغم مؤتمراتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكثيرة ، فان مواسمهم الثقافية ببعد مضمونها في الغالب عن عناصر التفرقة ، تساهم في تقريب هذه الاقطار بعضها من بعض .

وثيقة ١١

الموافقة على اقامة معرض الكويت للفنانين التشكيليين العرب في تاريخ ٧٥/٣/٢٥ ويشترك فيه فنانون من الدول العربية بالاضافة الى ممثلين عن الامانة العامة لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب .

٢ – الاشتراك في المؤتمر الذي عقده اتحاد خريجي الجامعات الامريكية العرب في امريكا ما بين الفترة ٢٥–٢٧/ اكتوبر ١٩٧٤ – وتمثل وفد الكويت في المؤتمر الدكتور / حسن الابراهيم عميد كلية التجارة بجامعة الكويت .

٣ – الموافقة على التبرع بمبلغ ثلاثة وثلاثين الف ليرة لبنانية لتغطية نفقات المجلة التي تصدرها مؤسسة الدراسات الفلسطينية .

٤ – الموافقة من حيث المبدأ على اهمية ترجمة الموسوعة البريطانية كما اوصى بالاتصال بالجمهورية العربية السورية لمعرفة حقيقة نيتها عن القيام بترجمة تلك الموسوعة وكذلك الاتصال بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حول امكانية تنفيذ المشروع .

٥ – كتابة تاريخ الاسلام –

قرر المجلس الوطني تكليف الامانة العامة ببحث موضوع كتابة تاريخ الاسلام مع جامعة الكويت ومن ثم تقديم مذكرة حول كيفية تنفيذ ذلك المشروع سواء من قبل الجامعة او من قبل المجلس الوطني ومن الممكن ان يكون لذلك التاريخ مرشد حضاري بعد انجازه .

٦ – اصدار سلسلة ثقافية –

وافق المجلس من حيث المبدأ على اصدار سلسلة ثقافية تتناول شتى فروع المعرفة ويحررها متخصصون في الفروع التي يعالجونها كما اوصى بدراسة الموضوع دراسة شاملة والاهتمام بوضع الاقتراحات المناسبة لمعالجة مشكلة النشر والتوزيع ، وذلك بالتعاون بين وزارة الاعلام وجامعة الكويت والامانة العامة للمجلس الوطني .

٧ – معرض الكويت الرابع للفنانين التشكيليين العرب –

وافق المجلس الوطني على تبنى اقامة المعرض في الكويت واوصى الامانة العامة بتقدير التكلفة والكتابة الى مجلس الوزراء .

٨ – اقامة معرض الكتاب العربي في الكويت –

وافق المجلس على فكرة اقامة معرض الكتاب العربي في الكويت على ان تشكل لجنة لدراسة الموضوع من جهة التكليف والتنظيم ومكان العرض .

٩ – حلقة منطقة الخليج لثقافة الطفل –

اوصى المجلس الوطني باحالة موضوع اقامة تلك الحلقة الى لجنة ثقافة الطفل لدراسته وتقدير التكلفة .

١٠ – التبادل الثقافي –

اوصى المجلس الوطني بزيادة التبادل الثقافي مع الدول والهيئات الاجنبية مع الاستفادة من فرص استقدام بعض الفرق الاجنبية وكذلك المعارض .

وثيقة ١٢

الهوامش والمراجع

١ ـ مجلة البيان مجلة فكرية شهرية تصدرها رابطة الأدباء فى الكويت منذ أبريل ١٩٦٦ ، وهى الظهير المساند والمكمل لمطبوعات الكويت ذات التوجه القومى العام ، ومحتوى أى عدد يؤكد هذا التوجه فى الموضوع والكتاب أيضا . هذا فضلا عن الأعداد الخاصة ، نذكر ـ مثلا ـ العدد الخاص عن مهرجان الفارابى فى بغداد (ديسمبر ١٩٧٥) وعددها الخاص عن الادب فى القطر الجزائرى (يناير ١٩٧٩) ... الخ .

٢ ـ فى ورقة قدمها للحلقة الدراسية عن مجلات الأطفال ، عقدتها الهيئة العامة للكتاب فى القاهرة (٢٤ ـ ٢٦ نوفمبر ١٩٩٠) تحت عنوان « العربى الصغير ، ملامح تجربة » وأبو المعاطى أبو النجا هو المشرف على هذه المجلة منذ تأسيسها .

٣ ـ مجلة سعد تصدرها دار الرأى العام . ومن الجدير بالذكر أن صدور « العربى الصغير » وما حققته من نجاح أغرى وزارة الأوقاف أن تتبع مجلتها الإسلامية الشهيرة « الوعى الاسلامى » بمجلة خاصة بالأطفال ، أطلقت عليها اسم « البراعم » .

٤ ـ من دراسة ألقاها فى الاحتفال باليوبيل الفضى لمجلة العربى (ديسمبر ١٩٨٣) وكانت بعنوان : « الدور الثقافى الذى قامت به مجلة العربى خلال ربع قرن ، مع تقويم للمجلة تبويبا وتحريرا واخراجا » وقد ظهر العدد الأول من كتاب العربى إبان هذا الاحتفال ، وقد أفدنا من هذه الدراسة فى فصل سابق .

٥ ـ تقديم العدد الأول من كتاب العربى ، وعنوانه « الحرية » يناير ١٩٨٤ .

٦ ـ كتاب العربى كتاب فصلى يصدر كل ثلاثة أشهر ، وفى ختام كل عدد إشارة إلى عناوين الأعداد السابقة كلها .

٧ ـ محمد حسن عبد الله : الحركة المسرحية فى الكويت (الطبعة الثانية) ص ٦٠ .

٨ ـ قدمت مسارح الكويت بعض المسرحيات العالمية بعد إخضاعها للتكويت ، كما قدم طلاب المعهد العالى للفنون المسرحية (تأسس عام ١٩٧٦) فى مشروعات التخرج بعض تلك المسرحيات ، فى صياغتها الكاملة ، أو من خلال مختارات يعاد تركيبها ،

وتبقى المقولة الأساسية صحيحة ، وهى أن هذا المشروع العملاق (ترجمة ٢٥٠ مسرحية ودراستها حتى الآن) لم يكن مطلبا كويتيا ، وإنما كان خدمة ثقافية لكل قراء العربية ، ولفن المسرح العربى بصفة خاصة . عن العروض التحريبية للمعهد العالى راجع ص ٧٤ ، ٧٥ من المرجع السابق .

٩ ــ ومثلهم أهم ما ترجم فى لبنان عن المسرح الفرنسى الكلاسيكى : أنظر مترجمات يوسف محمد رضا ، وخليل شرف الدين ، كما اتجه تراجمة دمشق إلى المسرح الروسى (غالبا) أنظر مترجمات : ميخائيل عيد ، وضيف الله مراد وسعد الله ونوس .

١٠ ــ أنظر ما ترجمه عبد الواحد لؤلؤة ، وجبرا إبراهيم جبرا ، وغيرهما .

١١ ــ الأستاذ الدكتور محمود على مكى أستاذ الاندلسيات بجامعة القاهرة ، ورئيس قسم اللغة الأسبانية بكلية الآداب ، والحاصل على جائزة الملك فيصل عام ١٩٨٨ .

١٢ ــ مثل دراسة على الراعى عن « المسرح فى الوطن العربى » ودراسة ابراهيم عبد الله غلوم عن « المسرح والتغيير الاجتماعى » ، ودراسة سعد أردش عن « المخرج » .

١٣ ــ الكتاب الثامن عشر بعنوان : « المسرح العربى بين النقل والتأصيل » لمجموعة من الكتاب (يناير ١٩٨٨) .

١٤ ــ مثلا : أضواء على شخصية هتلر ، أو : ندوة عن نظرية دارون ، وهما من محتويات العدد (١٢) سبتمبر ١٩٨٣ .

١٥ ــ مثلما نجد فى العدد السابع ، فملف العدد عن « اللغة » وفيه ثلاث مقالات تكشف عناوينها عن مواضيعها : فهم الكلام غير الحرفى ، اللغة وبنية المعتقدات فى الأحاديث الطبية ، المغزى العسكرى للكفاءة اللغوية . وقد اخترنا هذا الملف اللغوى لنرى كيف يكون التناول جديدا تماما لموضوعات قديمة أو مألوفة ، وهناك ملفات أخرى عن « تاريخ العلم » و « المرأة فى الضوء الاقتصادى » و « الأرض بين الماضى والحاضر والمستقبل » « وهو آخر ملف إذ نجده فى العدد رقم ٥٣ ، الصادر فى يوليو ١٩٩٠ .

١٦ ــ كالإشارة إلى صدور طبعة فرنسية جديدة للقرآن الكريم (العدد ٧ نوفمبر ١٩٨٢) ولهذا ومثله فوائد جمة ، حيث ينبه إلى أهمية المتابعة ، ممن يهمهم مراقبة تصرف

الآخرين فى معانى القرآن الكريم . كما يعرف بمصادر معرفية جديدة ، كما نجد فى هذا الخبر (من نفس العدد) عن صدور كتاب « المسلمون فى بلاد السوفيات » بقلم فانسان مونتوى المستعرب المعروف الذى أسلم أخيرا واتخذ لقب المنصور بالله الشافعى . ويمكن أن نعود إلى صياغة الخبر (ص ٢٠٨) لنرى كثافة المعلومات ، وتوجيهها الرائع للقارىء ، فى طريق تعزيز وعيه السياسى الإسلامى الحضارى . ومثل هذا نجده فى كل أعداد المجلة .

١٧ ــ نلاحظ ــ مثلا ــ أن زيارة أحمد زكى للكويت ، ومحاضرته فيها ، فى إطار الموسم الثقافى الأول (١٩٥٥) سبقت عودته للتخطيط لمجلة العربى ورياسته لتحريرها ، وفى الموسم الثقافى الرابع (١٩٥٨) زار زكى طليمات لأول مرة ، وحاضر مرتين عن المسرح ، وقدم عرضا على مسرح ثانوية الشويخ واحتدم الجدل حول أهمية المسرح وصواب أو خطأ أن يقوم الرجال بأدوار النساء ، وكان هذا كله ايذانا بتكوين الفرق المسرحية المتعددة بعد ذلك بعامين فقط . راجع ما كتبناه عن طليمات فى « الحركة المسرحية فى الكويت » الفصل الثالث ص ٤٥ وما بعدها .

١٨ ــ فى مجلة آفاق (٣٩ / ٣ / ١٩٨١) التى تصدرها إدارة الجامعة ، كتبت تحت عنوان « عصير الندوات » أن الكويت تعيش عصر المؤتمرات (دون خلط بين العصر والعصير) وفى المقالة جاء ما نصه : « تعى الذاكرة فى الشهرين الماضيين ــ على سبيل المثال ــ ندوة الطب الإسلامى ، وحقوق الانسان فى الإسلام ، وملتقى صقر الرشود المسرحى ، والطاقة الشمسية ، ومصادر المياه فى الخليج والجزيرة ، وأخيرا : الإبداع الفكرى الذاتى » ويطالب المقال بتكوين « أمانة » خاصة بالتنسيق بين المؤتمرات ، وإيجاد صيغة تكامل بين اهتماماتها ، ونشر أبحاثها ، ومتابعة نتائجها .

١٩ ــ العدد ١٨٠ ــ مارس ١٩٨١ وكان من حضور الملتقى ومحاضريه : سعد الله ونوس ، وعبد الكريم برشيد ، والمنصف السويسى ، والطيب الصديقى ، وعلى الراعى وغيرهم .

٢٠ ــ أقامتها جامعة الكويت والمجلس الوطنى للثقافة ، ومعهد الكويت للأبحاث العلمية وجامعة الأمم المتحدة (٨ ــ ١٢ مارس ١٩٨١) .

٢١ ــ أقامها المجلس الوطنى للثقافة بالكويت (١١ ــ ١٤ فبراير ١٩٨٤) .

٢٢ ــ أقامه المجلس الوطنى للثقافة بالتنسيق مع الجامعيين العرب العاملين بأمريكا وعقد فى الكويت (٢٨ ــ ٣١ ديسمبر ١٩٧٥) .

٢٣ ــ مشاركة بين جامعة الكويت ، وجمعية الخريجين ، عقدت بالكويت (٧ ــ ١٢ أبريل ١٩٧٤) .

٢٤ ــ من مقدمة مجلد طبعه المجلس الوطنى مشتملا بحوث المؤتمر ، ونتائجه .

* * *

القسم الثالث

تَنَاغُمُ الأَدَاءِ

الفصل الخامس

رسالة الشعر.. القومية

هذا الفصل ليس عن الشعر الكويتى ، للتعريف به أو تحليل اتجاهاته ، وليس عن شعراء الكويت بقصد الترجمة لهم أو التدليل على مواهبهم . إن دواوين شعراء الكويت منشورة ، وقد أخضعت لدراسات أكاديمية وغير أكاديمية ، تتناولها فى تطورها التاريخى الفنى ، أو تختار موضوعا من موضوعاتها ، أو شاعرا بعينه تؤثره بالعناية(١) . بعبارة محددة إننا نعنى بهذا الشعر فى الحدود التى يتطلبها هذا الموضوع ــ وهو ليس شعريا ــ فإذا كان الإنسان هو الذى يكتشف دوره ويصنعه ، وليس العكس ، فإنه من المهم أن تكون لنا وقفة مع الإنسان ، المواطن ، الأديب ، المثقف فى الكويت ، نتعرف على نتاجه الفنى (الشعرى) لنرى هل يعكس هذا الشعر ما وجدناه فى رسالته الثقافية من التزام قومى ، ووعى إنسانى ، وخبرة عملية ، تعطيه الحق فى الانتساب إلى تلك الرسالة ، وإعلان حرصه عليها ، وأنها صدرت عنه طواعية وعن قصد وتدبير .

لقد حقق الشعر الكويتى الحديث منزلة جديرة بالتقدير حين تأخذ مكانها فى ديوان الشعر العربى بشكل عام ، نذكر هنا أشعار أحمد العدوانى ، ومحمد الفايز ، وخليفة الوقيان ، وعبد الله العتيبى ، ونجمة ادريس وغيرهم . ومع هذا فإن المساحة المتاحة لنا لا تتسع للعناية بالجوانب الفنية الخالصة (قد نفعل شيئا من ذلك مع إحدى القصائد كمثال) ومن ثم سنعنى بأفكار هذا الشعر ،

بتوجهاته الروحية ، وما أثار من قضايا القومية ، وما فيه من نزعة إنسانية بصفة خاصة .

ليس من مناقضة الحقيقة أن نقول إن الشعر الكويتى (القومى) كان عاملا مؤثرا من عوامل التنمية الثقافية العربية . ويتحقق هذا حين يكون مخلصا للأهداف القومية معبرا عن روح الجماعة فى أفراحها وآلامها ، قادرا على اكتشاف آفاق جديدة للفكر والعمل ، ناقدا ومتخيراً فى إطار الماضى ، بما يرشد مسيرة أمته . ويمكن أن نحدد بعض المجالات التى اتخذت سمة الظاهرات ، فى ثلاث هى الأكثر وضوحا : الغناء للمدن العربية ، بما يدل عليه هذا الغناء من رحابة العاطفة القومية ، والفرح بالتوحد الشعورى ، وتمجيد العروبة أينما كانت ، فضلا عن ارتباط بعض هذه الأغنيات بمناسبات كانت الكويت فيها بادئة بإعلان التحية ، ورغبة العمل المشترك ، وسنلاحظ أن بغداد تحظى — من بين المدن العربية — باهتمام مضاعف بشكل عام ، وبإقبال واضح من بعض آخر ، لظروف خاصة ليس من الصعب تعليلها .

أما المجال الثانى فهو الاهتمام بقضية فلسطين ، والشعر الكويتى يسجل لنفسه علامتى اضاءة ؛ فقد وقف إلى جانب عروبة فلسطين ، وغضب ، واستعدى ، وحفز ، ورسم الآمال ، منذ فترة مبكرة جدا ، قد يدهش من لا يعرف أنها ترجع إلى عام ١٩٣٧ ، أما الاضاءة الثانية فهى أنه ظل يصطحب هذه القضية معه أينما ذهب ، ولم تكن فورة مرحلة ، أو ارتباط مناسبة .

المجال الثالث (الأخير) هو البعد الإنسانى فى هذا الشعر ، وتتجلى إنسانيته فى اتساع أفق الشاعر بما يتجاوز النظرة الإقليمية الضيقة . ولا يدخل فى صدام مع حسه القومى الراسخ . وهذه الإنسانية تتجسد أيضا فى مستوى الصياغة الرفيعة ، التى تجعل من هذا الشعر نموذجا للجمال ، والصدق والعمق معاً ،

بحيث يمكن الاستجابة له ، وتذوقه ، فى أى مرحلة ، بل فى أى لغة ..

وسنعود إلى هذه السمات بشىء من البسط ، وذكر النماذج .

الغناء للمدن العربية

إن انعكاسات الشعور القومى فى الشعر العربى ـــ بصفة عامة ـــ واضحة تماما ، وهى سابقة على شعارات السياسيين العرب ، كما أنها تتجاوز مواقفهم المتقلبة(٢) وهذا الشعور يستفز ـــ أقوى ما يكون ـــ أيام المحن والأزمات ، ويستجيب لمناسبات الفرح وذكريات الانتصار بدرجة أقل ، ولكنه نادرا ما ينبثق تلقائيا كشعور حر ، متحرر من مناسبة ، نابع من تأمل ذاتى ، وفرح خاص(٣). فى هذا المجال ينفرد الشعراء فى الكويت بظاهرة الغناء للمدن العربية ، الفرح بالإقبال عليها ، الكشف عن جمالها ، تاريخها ، معناها . فإذا وضعنا هذه الظاهرة فى إطار ما نعرفه من شدة اعتزاز شعب الكويت بعاصمته ، وحبه الشديد (المتطرف) لوطنه ، قاربنا ما يدل عليه هذا الفرح الخاص ، وهذا التغنى بأمجاد المدن العربية ، من رحابة العاطفة القومية ، والقدرة على الحب ، والاستعداد للألفة ، والدعوة إلى التقارب ، بل الاندماج والتوحد . لن نغفل الإشارة إلى أن قدرا من قصائد الغناء للمدن العربية كان يبدعه الشاعر الكويتى بفعل إرادى (غير تلقائى) حين يقع عليه الاختيار للمساهمة فى أنشطة الأسابيع الثقافية ، التى جعلتها بعض المؤسسات الثقافية تقليدا ثابتا ، وقناة من قنوات التواصل الثقافى ، فقد كان للجامعة أسابيعها الثقافية ، وكان للمجلس الوطنى للثقافة أسابيعه كذلك ، وكانت لرابطة أدباء الكويت مساهمات فى هذا المضمار ، وكانت سياسة الدولية وأجهزتها تعمل على تيسير ذلك ، بتوفير المال ومعاونة التمثيل السياسى والقنصلى فى تلك المدن .

مع هذا تظل لظاهرة الغناء للمدن العربية خصوصيتها فى الشعر الكويتى ، وتظل موسومة بصدق التعبير عن الشعور القومى ، لأن الشاعر الكويتى لم يكن مجبرا وظيفيا ، ولا أدبيا على المشاركة فى هذه الأسابيع ، ومن ثم فإن إقباله عليها كان تعبيراً عن شعور حر ، وكانت « القصيدة » سببا للمساهمة وليست نتيجة . وأيضا سنجد أن هذه القصائد تتجاوز بكثير خريطة الأسابيع الثقافية ، وهذا يؤكد ما نراه من صدق التعبير عن الشعور . وللشاعر على السبتى قصيدة بديعة بعنوان « للنيل والقاهرة »(٤) وهو يكتشف الندرة فى المألوف ، حتى يعطى العبارة التى يرددها المذياع « هنا القاهرة » إيقاعا وسياقا يمنحها هذا المذاق الخاص الدال على الابتهاج ، والاعتزاز الذى لا يتحفظ فى إبدائه .

أحلم بالليل وبالقاهرة
أحلم بالشوارع المنوره
بالنيل يحمل الزوارق المنتثرة

....

أحنّ للسواعد السمراء
لفتية بى منهم سيماء

ويختتم الشاعر السبتى قصيدته :

الساعة العاشرة
وهذه مذيعة فى القاهرة
تقول ياغريب الدار
الكل فى انتظار
هنا يلاقى الحر أقرانه
يذيب أجزانه

هنا يعيش كل واحد كما يريد
فلا جليد ، لا صديد ، لا حديد
هنا ...
متى أضمّ القاهرة ؟!

إن هذه القدرة على الحب ، على الفرح بالمدن الأخرى ، على اكتشاف أطيب وأجمل ما لدى الآخرين ، خاصة واضحة من خواص الشعر الكويتى ، وهذا الإحساس ليس منبعثا من عصبية ضيقة نحو قطر معيّن من بين الأقطار العربية ، يمكن إرجاعه إلى علاقة خاصة عرقية ، أو اجتماعية ، أو ثقافية ، أو أيديولوجية سياسية . إن هذا قد يحدث بالطبع ، ولكنه لا يفسر اتساع مساحة الظاهرة ودرجة الاهتمام ، وتنوع الاتجاهات ، وكثرة الغناء لمدن شتى عند الشاعر الواحد (وسنقدم أمثلة تدل على ذلك) مما يعنى — فى النهاية — أن الغناء السعيد بهذه المدن العربية إنما ينبع من إيمان عربى عميق ، بوحدة الشعب العربى ، ووحدة الأرض العربية ، ووحدة التاريخ العربى ، ولو كان يستند إلى سبب آخر لما اتخذ شكل الظاهرة ، ولو كان وليد المناسبات الطارئة ، التى يساق الشاعر للقول فيها مجاملة أو تورطا ، لا تخذت هذه القصائد مواقع متباعدة ، وكأنها « فرض كفاية » ولكن الصحيح عكس ذلك . ولو أن الشاعر الكويتى يبحث عن « موضوع » يعلى من خلاله طاقة الحب والانتماء ، فلديه الكويت ، مدينته ووطنه ، وهو شديد الحب ، بل العجب بالكويت مدينة ووطنا ، ولو أنه فعل هذا ماكان هناك موضع للتساؤل ، ولما لفت انحيازه لوطنه الصغير اهتمام أحد (إلاّ ما يستثيره الفن الجميل) . فجميع الشعراء يفضلون أوطانهم ، ويتغنون بأمجاد بلادهم الحقيقية أو المظنونة . ولقد فعل شعراء الكويت هذا شأن غيرهم ، ولكنهم تجاوزوه بما يجعل من قصائدهم فى

هذا المجال مثلا فريدا . وبالنسبة لعلى السبتى صاحب « للنيل والقاهرة » نجد قصيدة أخرى عن البصرة ، يوجهها إلى صديق — وهذا تقليد تراثى عريق — ويضمنها شعورين متباعدين وإن انبثقا من عاطفة واحدة : الفرح للقاء البصرة (بعد انقطاع بسبب أحداث ما أعقب استقلال الكويت المعلن عام ١٩٦١) والألم لمظاهر الشقاء والفقر فى هذه المدينة العريقة ، وهى قطعة من وطن واسع الثراء بنفطه ، وأرضه الخصبة :

صديقى كنت فى البصرة
لثمت ترابها المغسول بالألم
شربت الماء فيها قطرة .. قطرة
فسال كما تسيل النار فى حلقى ، وخضّ دمى ،
نشيج مشرد يشدو أبو ذيّه
(زرعنا وما استفادينا) ويلطم خدّه حسره(٥)!!

سنجد نوعا من الشغف الخاص » بمدينة معينة ، لأسباب لا يصعب التكهن بها ، لدى بعض الشعراء ، كما سنجدُ قاسما مشتركا من الاهتمام لدى الجميع تقريبا . وليس هذا وذاك هو الذى لفت انتباهنا إلى الظاهرة ، فقد شكّلها ومنحها مذاقها الخاص كثرة المدن وطريقة الإحساس بها . من هذا الشغف الخاص قصائد أحمد السقاف عن بغداد (وقد زادت هذه القصائد له ولغيره من شعراء الكويت إبان الحرب العراقية الإيرانية ، وفيها وقف المثقفون الكويتيون مع العراق بغير تردد)

واهتمام صقر الشبيب ، وعبد الله سنان بفلسطين (كقضية وليس كمدينة أو مدن)

وغناء محمد الفايز لبيروت ، وغناء فاضل خلف لتونس .

أما المدن العربية الأخرى فمما نجده بين أيدينا الآن : بغداد ، ودمشق ، وبيروت ، وعاليه ، وتونس ، وبنزرت ، وأغادير ، والجزائر ، والقيروان ، وبورسعيد ، والقاهرة ، والاسكندرية ، وعدن ، وصنعاء ، وحجة ، ونزوى والبصرة ، وعمان ، والبحرين ، وغيرها . وبهذا يكون الشعر الكويتى رسم خريطة المدن العربية بطريقة لا نجدها — على الأقل فيما نعرف ، وبهذا الحجم — فى شعر عربى آخر .

هذا فاضل خلف ، يشغل وظيفة المستشار الثقافى بسفارة الكويت فى تونس العاصمة ، فيقيم علاقة فريدة مع المكان ، ومع الإنسان ، ولا نقول إنه يتجاوز حدود وظيفته الدبلوماسية وأنه ممثل لبلاده فى خدمة محددة ، وإنما نقول إنه باندماجه فى جو الثقافة فى تونس إنما كان يؤدى وظيفته « العربية » على الوجه « الواجب » حين ينزل عربى بأرض عربية غير إقليمه ، فلا يعتبر نفسه ممثلا للكويت فى تونس ، وإنما يعتبر نفسه نقطة توحد بين الكويت وتونس فى المجال الثقافى . لقد أثمرت وظيفة المستشار الثقافى ديوان شعر ، حمل اسما تونسيا : « على ضفاف مجردة »(٦) وفى هذا الديوان نجد سبع قصائد عن تونس — مع اختلاف الأسباب أو المداخل : ١ — نهر مجردة ، ٢ — على ضفاف مجردة ، ٣ — بنزرت ، ٤ — خفقات قلب ، ٥ — القيروان ، ٦ — تونس ، ٧ — الورقات التونسية .

إن هذه القصائد — مع تعدد المنطلقات حسب اللحظة الشعورية أو الدافع الذى انبثقت منه شرارة القصيدة — تغنى لمجد تونس وجمالها ، وعروبة أهلها وطيب شمائلهم ، فتتجلى القدرة على الحب ، وتقدير « الآخرين » فى أنقى الصور .

فى قصيدة « نهر مجردة » لا يعنينا الآن المطلع التقليدى ، فله أشباه فى القديم

والحديث من الشعر العربى ، ولكن تعنينا « الدلالة النفسية » لما بين الشاعر « الكويتى » والنهر « التونسى » ، إن شاعريته تفجرت استلهاما لهذا النهر !!

لقد عشت ردحا فى حماك مغردا ... شهدتك فيها ثائرا متمردا
شهدتك فيها رائقا متهاديا ... فما كنت صخّابا وما كنت مزبدا
وقد كنت فى حاليك يا نهر خيّرا ... بمسراك تبدى رأفة وتوددا
وقد كنت لى فى عالم الشعر موحيا ... فصفتُ مع الشادين شعرا مخلدا
وما كنت قبل الملتقى مترنما ... فأصبحت فى مغناك طيرا مغردا
تجدد آمالى وتحيى عزيمتى ... وتجعل مسراى الطويل ممهدا
وتمنحنى روح السكينة والرضا ... وقد كنت من قبل اللقاء مسهدا

إن الأبيات الثلاثة الأخيرة — من هذا القطعة المعزولة عن سياقها — لم يقلها شاعر إلاّ فى شواخص وطنه ، ورموز مسقط رأسه . إن الحنين إليها ، يفجر الشعر على اللسان ، يجدد الأمل ، يحيى العزيمة ، يمنح الروح سكينة ورضا !! فهذه الرابطة الحميمة غير مألوفة فى درجة الشغف والعشق إلاّ فى حدود الوطن ، غير أن شاعرا كويتيا استطاع أن يتغنى بمجردة ، ورأى فيه وطنا يلهم ويمنح السكينة والرضا(٧) !! أما « بنزرت » فهى « بنت العروبة »(٨) والقيروان منار العز والشرف »(٩) وإذا كانت تونس — عامة — بلاد المجد ، وكانت القيروان — خاصة — مدينة العلم الذى أشع على الوطن العربى — فإنها — أيضا بلاد أبى القاسم الشابى الذى لابد أن يذكر كل شاعر عربى دينه عنده — وقد صنع فاضل خلف قصيدة « حفقات قلب »(١٠) من وزن وقافية قصيدة « الجنة الضائعة » — وهى من أحلى قصائد الشابى(١١) — ليضمنها أربعة أبيات من مطلعها ، وليذكر من ينسى أن العروبة كلها رددت لحن الشابى عند المسير ، وهذه إيماءة لطيفة إلى بيتى الشابى اللذين أصبحا شعارا للتحدى

ورمزا لعشق الحرية :

إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولا بد للقيد أن ينكسر

أما « بيروت » فقد اهتم بها شاعران : خليفة الوقيان ، ومحمد الفايز . وقد تضمّن الديوان الأول(١٢) للشاعر الوقيان قصيدتين ، هما انعكاس لعلاقة المصيف ، إحداهما بعنوان « عاليه » والأخرى عن « بيروت » قصدا ، وقد صدر هذا الديوان عام ١٩٧٤ ، فليست له علاقة بالحرب الأهلية التى نشبت بعد هذا التاريخ ، ومع هذا فإننا حين نمعن النظر فى ختام قصيدته « عاليه » ، وهو يودع تلك الضاحية الجميلة وقد قضى بها الصيف ، ولم يعد بد من مغادرتها والعودة إلى الكويت ، سنجد « حفاوة » نادرة ، كما قد نلمح « نبوءة » حزينة :

إيه « عاليه » أيا وجها من الخلد جميلا
صبحك الفتان قد بات بعينىّ أصيلا
لم يعد كاسك يروى بين جنبىّ غليلا
كلما أيقنت أنى مزمع عنك الرحيلا
كيف لى أن أهجر الروض وأشتاق الطلولا(١٣)

لقد اضطرب الزمان فأخذ الصباح مشهد الغروب ، وفقدت الأشياء طبائعها ، فلم تعد الكأس تروى ، فهل كان هذا بسبب من إزماع الرحيل ؟ ورحيل من؟ الشاعر يرحل عن عاليه ، عن الروض « عاليه » إلى « الأطلال » ـــ وهى هنا وطنه الذى سيغادر عائدا إليه ؟! أم أنه رحيل عاليه نفسها ، التى ستغادر « حالة » الروض إلى حالة الأطلال ، التى ستكون عليها بفعل الحرب؟!

أما بعد الحرب الأهلية ، فإن بيروت ، وعاليه ، وغيرهما — أصبحا فى شعر الوقيان — جزءا من القضية القومية التي شغلته عما عداها فى ديوانيه التاليين : « تحولات الأزمنة » و « الخروج من الدائرة »(١٠٤) .

أما محمد الفايز — وهو هنا مجرد مثل ، كما أن بيروت مجرد رمز لمنحى اهتمام الشاعر الكويتى بالقضايا القومية — فإن بيروت عنده ليست مدينة « مناسبة » أو « حادثة مؤسفة طارئة نستأنف حياتنا العادية بعد إلقاء كلمات عنها » !! نحن نعرف أن الشعر العربى كله اعتصره ما يجرى فى لبنان ، وفاض بالقصائد عن محنة بيروت ، ولكننا نعرف أيضا أن المساهمات الشعرية « هبت » عند اشتعال هذه الكارثة الأليمة ، أو عند بلوغها ذروة الخسف والمحن فى صبرا وشاتيلا (عام ١٩٨٢) وقد كتب شعراء الكويت بهذه الطريقة ، وفى هاتين المناسبتين أيضا ، فلم يختلفوا ، ولم يتخلفوا — ولكنهم — ومحمد الفايز فى مقدمتهم — يتذكرون لبنان ، ويغنون لبيروت ، دون أن تستجد مناسبة ، الحرب المستمرة هى فى ذاتها مناسبة مستمرة !! يفتتح محمد الفايز ديوانه « بقايا الألواح » بغناء حزين نرصد صداه فى عنوان القصيدة : «وتمزق الأكليل يا لبنان »(١٥) وهو يصف هذا البلد المكلوم وصفا جميلا ، يؤصل جماله ، وكبرياءه ، وغرائز شعبه الخلاقة :

ألا لهفى على الجبل المعنّى فقد أمسى حزين الكبرياء

والشاعر يرى أن لبنان ليس ضحية نفسه ، وإنما ضحية إخوته الغرب :

فإخوة يوسف جاؤوا أباهم وهم يبكون يوسف فى العشاء
وما زال القميص به دماء وآخر مزّقوه من الوراء

وللفايز فى ديوانه هذا ثلاث قصائد أخرى عن لبنان : « المروج العائمة فى

الدم و « لبنان والأشباح » و « آه عليك يالبنان »(١٦) وهكذا نجد فى ديوان واحد أربع قصائد عن لبنان ، وليس العدد فى ذاته مهما ، وإن كانت له دلالته على توجه الفكر ، وعمق الصلة ـــ وإنما نشير أصلا إلى « زاوية الرؤية » فهى قصائد إنسانية ، تتألم لمصرع الجمال ، وتأسى لإفساد الطبيعة ، وتلويث الحياة الراقية المنتجة التى يعيشها أهل لبنان ، وعرفوا بها ، فلم تطرح القضية من زاوية عنصرية ، أو فكرية حزبية ، أو دعما لموقف سياسى تؤيده بلد الشاعر ، مما نجده فى أشعار أخرى ظهرت فى أقطار مختلفة . هكذا تترادف أسماء المدن العربية ، مقرونة بالحب ، موصوفة بالجمال ، مزينة بالفخر بها والانتماء إليها ، وكأنها صميم الوطن ومسقط الرأس :

أحمد السقاف يغنى لدمشق :

دمشق إليك تحن النفو ... س وبالغوطتين تقرّ النواظر
وتاريخك الضخم ملء العيو ... ن له ضجة فى جميع الحواضر
وقفت كهانوى رغم الصعاب ... وأعددت للثأر مليون ثائر
وكيف وفيك إباء الوليد ... ومن عبد شمس لديك أواصر(١٧)

ويغنى خالد سعود الزيد لصنعاء بعذوبة وشفافية واضحتين :

أفديك يا كأس النديم ... وصورة الحسن المخبّا
رحماك لست أنا الملوم ... إذا خببت إليك خبّا
هذا أديمى من أديمك ... شقّ ، ثم أتى ولبّى
ومشى قديمى فوق أر ... ضك حاملا عبدا وربا
رضوان يشهد أن لى ... قدما مضى ، ومكان قربى
لو فتحت أبوابها ... لدخلتها جسدا وقلبا
وضممتها حتى تكون ... هى الملبِّى والملبَّى

صنعاء .....

اللـــه كم نهلت ضلوعـــى مـــنك فاكهــــة وأبّـــا

كما يتوحد الشاعر الزيد مع مدينة نزوى العمانية ، وينتمى إليها تاريخا ووجودا :

أنـا يا عمـان ابـن الجزيـــرة والخليـج أبـا وجـــدا
ماكـــنت غيرك فى تــــلا وين الثيـاب دمـا وجلـــدا
ما كـنت غيرك فى الجنـوح وفى العـلا جـزرا ومـــدا
إنى أنـا الصلت بـن مـالك والعـظيم ابـن الجلنـــدى
والماضيـات القائمـات ومـا يكـنّ القــلب وجـــدا
ضمّـى فتـاك فـلست غير العـــاشق المشدود شدا
ها قـــد أتـيت وللمنـــى قـلب يكـاد يسيـل ودا
ضمّـى فتـاك فـلست يـا « نزوى » سواك (غداة يغدى)(١٨)

لا يخطىء الإحساس المباشر حرارة التعبير عن حب هذه المدن ، والفخر بتاريخها ، والسعادة بلقاء ناسها . ويتجلى هذا أيضا فى انتقاء عناوين القصائد فكثير من العناوين لا يكتفى بذكر اسم المدينة فى صيغة محايدة ، وإنما يتعمد توجيه تحية خاصة إليها ، باكتشاف منقبة من مناقبها يهديها إليها ، حتى قبل أن تبدأ القصيدة . فبغداد عند السقاف « بنت الأصول »(١٩) ، والمغرب « عرين العروبة »(٢٠) . أما خليفة الوقيان فقصيدته عن صنعاء تحمل عنوانا دالا : « فى البدء كانت صنعاء »(٢١)فى حين يصفها خالد سعود الزيد ــ فى عنوان قصيدته التى اقتطفنا أبياتا منها ــ بأنها « والدة المدن العربية » ، كما يصف « نزوى » بأنها » عاصمة التاريخ العمانى . أما عبد الله العتيبى فقصيدته عن بغداد تحمل عنوان « بوابة الريح »(٢٢) ويختار يعقوب السبيعى

« صناعة المجد » عنوانا لقصيدته عن بغداد(٢٣) . وعنوان القصيدة ــ عند كثير من الشعراء ــ ليس مجرد علامة مميزة ، إنه معنى القصيدة مكثفا فى كلمة ، والحالة الوجدانية التى انطلقت منها صور القصيدة وأفكارها .

بغداد .. بغداد

لقد حظيت بغداد (والعراق) باهتمام خاص لدى شعراء الكويت ، بصفة خاصة طوال الحرب الناشبة بين العراق وإيران ، وكان امتداد أمد الحرب ، وتخلخل المواقع العسكرية بين جزر ومد عند هذا الجانب أو ذاك ، دليلا مستمرا على ثبات موقف المثقفين الكويتيين وأنه لا يتبع الكفة الراجحة ، فالعروبة قدر ومصير ، كما كان امتداد الحرب زمنا داعيا إلى تحول لدى بعض الشعراء الذين لم تتجه مواهبهم وجهة سياسية أو قومية ، وظلت شواغلهم الوجدانية الذاتية نغمة سائدة فى أشعارهم لسنوات ليست قليلة ، فإذا بهم يتحولون إلى « حرم » القومية ، عبر الحرب والغناء لصمود بغداد(٢٤) .

ونرى ــ قبل أن نقف عند هذه المسألة بشىء من التفصيل ــ أن ننفى انفراد بغداد بهذا الزخم المؤيد الثابت لدى مثقفى الكويت ، والشعراء طليعتهم ، فقد كان لهم مثل هذا الموقف من عبد الناصر ، حتى بعد نكسة ١٩٦٧(٢٥) وكان لهم مثل هذا الموقف مع الجزائر فى حرب التحرير التى امتدت سنوات أيضا(٢٦) وهذا يعنى ــ فى رأينا ــ أن مواقف المثقف الكويتى ليست جامدة ، وأنها تستجيب لكل من ترى فى عمله بادرة بطولة ، وصدق عزيمة ، وتصديا لأعداء العروبة ، ولو أن « عقيدة حزبية » ما هى التى توجه هذا التأييد الحار لما اختلفت الوجهة بين مرحلة وأخرى . وقد كان شعراء الكويت يشهدون « المربد »(٢٧) كل عام ، منذ بدأ المربد ، وينشدون فيه

قصائدهم المؤازرة ، وكان استقبالهم يتسم بشيء من الخصوصية تقديرا لهذا الموقف الخاص المستمر ، وكما يقول النقد الأدبي إن أية عاطفة في ذاتها لا أهمية لها — أدبيا — حتى تلهم الأديب أو الشاعر أفكارا وصورا جديدة مبتكرة ، فهنا تكون قد أكدت وجودها ، ودلّت على صدق صاحبها . وهذا ما يمكن أن نجده في بعض قصائد شعراء الكويت ، تلك القصائد التي تناولت الموقف من وجهات شتى ، ولونته ، وأعادت تشكيله ، وأزاحت التراب عن أصولته حتى أرسته على دعائمه التاريخية .

يكتب عبد الله العتيبي قصيدته تحت عنوان : « من تداعيات أبي بصير الأعشى[28] فيبدأ بما بدأ به الأعشى قصيدته الفائية :

كانت وصاة وحاجات لنا كفف   لو أن صحبك إذ ناديتهم وقفوا

ثم يبني العتيبي قصيدته على هذا المطلع ، مستهديا معاني الأعشى في القصيدة قليلا ، ومستهديا مغزى معركة « ذي قار » — حيث انتصف العرب من الفرس ، كثيرا ، وبهذا استحق أن تنسب القصيدة إليه ، وأن تعتبر خلقا مستقلا ، وليست معارضة لقصيدة الأعشى . وحين نعود إلى أصل قصيدة الأعشى في الديوان[29] سنجد محقق الديوان ينقل عن أبي عبيدة ما يشكك في نسبة أبيات الفخر بذي قار — بصفة خاصة — إلى الأعشى ، ومهما يكن من أمر فقد وردت في إحدى صيغ القصيدة ، واستهداها الشاعر العتيبي ونسبها عنوانه إلى أبي بصير ، ولكنه تفوق عليه شعورا ، وصياغة . وإذا كان الدكتور محمد محمد حسين يصف قصيدة الأعشى بأنها من الشعر الذي يتصل بالمسائل القبلية الضيقة ، فإن شاعرنا الكويتي لم يحبسها في هذا التفسير الخاص ، منطلقا من التسليم بأنها قيلت في يوم ذي قار ، وهو يوم له مغزاه « القومي » في التاريخ العربي (بشكل عام) فقد انتصر العرب على الفرس ، ولا أهمية للتدقيق فيمن

انتصر ، ومن كان مع المهزوم . فى قصيدة الأعشى معان « تراثية » نبيلة ، وصور زاهية للبطولة ، من هذه المعانى وصية الأب لأبنائه :

إن الأعز أبانا كان قال لنا   أوصيكم بثلاث إننى تلف

يوصيهم بالضيف ، والجار ، ثم :

وقاتلوا القوم إن القتل مكرمة   إذا تلوّى بكف المعصم العُرُفُ

أما صور البطولة الزاهية المزهوة بالنصر :

لما التقينا كشفنا عن جماجمنا   ليعلموا أننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية ، والهندى يحصدهم   ولا بقية إلا النار ، فانكشفوا

....

وجند كسرى غداة الحنو صبحهم   منا كتائب تزجى الموت ، فانصرفوا
جحاجح وبنو ملك غطارفة   من الأعاجم فى آذانها النُطَفُ
إذا أمالو إلى النشاب أيديهم   ملنا ببيض فظل الهام يختطف
وخيل بكر ، فما تنفك تطحنهم   حتى تولوا وكاد اليوم ينتصف
لو أن كل معدٍّ كان شاركنا   فى يوم ذى قار ما أخطاهم الشرف

لم يستطع عبد الله العتيبى ، أو لم يرد ، أن يتجاوزالبيت الأخير ، فأورده بلفظه ، ثم اتبعه بما يؤكد أن الضمير فى « شاركنا » يقصد به بغداد دون غيرها ، وتستمر المطالبة بالوقوف معها ، لأنها تجابه نفس العدو الذى واجهته قبائل بكر يوم ذى قار ، ومن ثم أضاف العتيبى حتى بلغ ختام قصيدته :

لو أن كل معد أينعت غضبا   بسيف بغداد آن البغى يعتسف
حين اشرأبت بنا بغداد شامخة   تعانق الشمس لما اشتدت السدف

شادت على الشرق بابا من تشوقها كل الشموس على أعتابه تقف
إن الفرات إذا جاشت غواربه(٣٠) فالف أرض من الطوفان ترتجف
إنى لأبصر فى بعداد ألويـــة تخضر شوقا لها فرسان من سلفوا
إنى لأسمع فى الأصداء جلجلة أحقاد ذى قار يطفى نارها الخلف
إنى لألمح فى الآفـاق ثانيـــة أحلام كسرى مع « الإيوان » تنقصف

يمكن أن نلمح فى هذه الأبيات محاولة اقتراب من أساليب القدماء ، ليس فى تضمين قطع من قصائدهم فحسب ، وإنما الحرص على استقلال البيت ، وافتتاحه بالكلمة ، ذاتها (« إنى » ثلاث مرات) واستخدام عبارات فيها جزالة القديم وقوته (إن البغى يعتسف ــ لما اشتدت السدف) كما نجد صور البادية ، والعتيبى بدوى ــ قريبة من تناوله :

لو أن صحبك قد شاقت قوافلهم مرابع الغيث لا ماتنبت الصدف

والبيت السابق يتضمن صورة متحركة حية جميلة ، وهذا المقطع يضم عددا منها مع ما فيه من غنائية وشفافية عذبة ، رغم جموح المعنى :

نهوى الحياة ربيعا بيد أن بنا طبع الكواسر حين الحق يختطف
نمارس الحرب كرها حيث أن بها نفع الحرائق لما تنتن الجيـف
بنا منابع حب لو نرقرقهـا جداولا لجميع الناس لارتشفو

لقد كانت هذه الغنائية العذبة البديل المناسب لجزالة العبارة فى قصيدة الأعشى .

للشاعر العتيبى قصيدة أخرى عن « بغداد »(٣١) ألقاها هناك فى إطار الأسبوع الثقافى الكويتى الذى أقيم بالعاصمة العراقية عام ١٩٧٩ ، ويمكن أن نجرى موازنة بين معانى القصيدتين ، لنرى ماذا أضاف نشوب القتال بين

جارين على مشارف الكويت من مشاعر وآمال .

وللشاعر يعقوب السبيعى قصيدتان أيضا ، يستوحى فى أولاهما حالة أبى محجن الثقفى ، وقد حيل بينه وبين الحرب ، فى معارك العراق ، وهى بعنوان « من هموم أبى محجن الثقفى »(٣٢) كان أبو محجن مشوقا إلى القتال ، حريصا على الجهاد ، فى جيش ابن أبى وقاص خرج ، غير أن القيود منعته من المشاركة ، ولم تمنعه عن تمنى المشاركة والحلم بالنصر ، وهذا ما يعبر عنه الشاعر .

متى إلى الفجر هذا الليل يرحل بى ... وقد خلا وجهه من لمعة الشهب
لقد تهافت شوق الأمس واتضحت ... مسافة الحزن بين العشب والسحب

إن خلاصه فى أن يكون بين إخوته المقاتلين :

ياليل ما أنت إلاّ قاطع رحمى ... فأين أين أنا من إخوتى النجب ؟

وفى قصيدته الثانية « صناعة المجد »(٣٣) يفاخر بانتصارات العراق ، ويعلق آمال المستقبل على إنجازاته :

عريـن العروبـة مـن غابـر ... ومبـعث آمالنـا الحاضره
إذا مـا اشتهى المجد صنّاعـه ... فبغـداد بـالمشتهى زاخـره

ثم يضيف بيتا أخيرا يعبر فيه عن شعوره الخاص :

أحـبك بغـداد ، لا رغبـة ... ولا رهبـة ، إنها الآصرة

ليس القصد أن نقدم إحصاءً بالقصائد التى قيلت فى تأييد بغداد ، والإشادة بها حضارة نضالا وتاريخا ، ويكفى أن نشير أن لخليفة الوقيان قصيدتين ، ولعبد الله سنان ثلاث قصائد ، ولمحمد الفايز ثلاث قصائد ، ولعلى السبتى ثلاث ، قصائد ، ولابد أن الشعراء الشبان الذين لم يجمعوا أشعارهم فى دواوين قد

قالو الكثير فى هذا الغرض الذى يناسب مواهبهم ومشاعرهم الثائرة . أما أحمد السقاف فله سبع قصائد : « بنت الأصول » ــ ويعنى بغداد ، و « بغداد » و « أم الرصاص » و « لله بغداد » و « إيه بغداد » و « بنت بغداد » و « آثار سامراء » .

إن مما تؤكده الأرقام ، وتصدقه المشاهدة ، أن أهل الكويت إذا رغبوا فى التعليم خارج بلدهم ، وآثروا بلدا عربيا توجهوا إلى القاهرة ، وإذا رغبوا فى قضاء الصيف فى بلد عربى اختاروا لبنان ، فإذا جرى له مانعرف كانوا قسمة بين القاهرة ، وتونس ، والمغرب . لم تكن بغداد تستأثر باهتمام خاص عند عامة الشعب ، لكنها ظلت عند المثقفين ذات منزلة ومكانة ، وربما أدت السياسة دورا فى خلق هذا الإحساس ، حتى إذا ما تصدت العراق للأطماع الإيرانية ، نالت بغداد أعذب قصائد الحب ، وأعلى درجات الانتماء ، فكانت لحنا متميزا فى مجال الغناء للعواصم العربية .

... وفلسطين

ولكن ، بماذا يمتاز أو يتميز الشعر الكويتى عن الشعر العربى بوجه عام بالنسبة لهذه القضية القومية ، التى فرضت نفسها على المستقبل العربى ، واستوعبت كل همومه ، وكانت وراء أشكال معاناته ؟ إننا بالطبع ــ فى حدود متطلبات هذه الدراسة ــ نتحرك فى « المعنى » ولا نتوقف طويلا عند القضايا الجمالية الفنية . وبالنسبة للمعنى فإن الشاعر العربى ، وعلى امتداد العصر الحديث ، أى منذ وعى القضية واتجه إليها ، غير مأذون له فى الاجتهاد . إن « الدولة » تعلن موقفا من القضية ، تصدر به بياناتها ، ويردده رمزها الرئاسى فى خطبه . وسواء كانت السياسة غير المعلنة للنظام تعمل وفق هذا المعلن ،

أو تخالفه أو تناقضه ، فإنها لا تسمح بتجاوز هذا الذى تعلنه وتردده ، سواء فى أجهزتها التابعة تبعية صريحة كالإذاعة والتليفزيون (بما فيها الأعمال الدرامية التى يسمح بعرضها) أو تتمتع بشىء هامشى من الذاتية كالصحافة ، أو هى ملك لأصحابها كالأعمال الأدبية والدراسات الأكاديمية . إنها جميعا محرومة من حق الاجتهاد ، محظور عليها الخطأ ، والصواب الوحيد هو المعلن الرسمى ، وهو تقريبا الرأى العام العربى الذى لا يعرف حقيقة أوضاعه ، ولا حقيقة ما يجرى من حوله(٣٤) لهذا لم يكن أمام الشاعر العربى إلاّ أن يعبر عن آلامه الخاصة ، وآمال الجماهير العربية ، وأن يفسر الماضى ويعلل أسباب الكارثة ، ويستنهض الهمم ــ بشكل عام ــ أن تبادر إلى استرداد الوطن السليب(٣٥) .

فى هذه الدائرة ذاتها تحرك الشعر الكويتى فى تناوله للقضية الفلسطينية ، ولا تثريب ، ومع هذا فإن من حقه أن يسجل لنفسه موقفين على جانب من الأهمية . **الأول** : أن الشاعر الكويتى قد تنبه للخطر القادم ، وطالب بالتصدى له ، فى فترة مبكرة جدا ، قد لا نملك الآن الدليل الحاسم على أنه أول من تنبه ، ونبه بالشعر قلوب الغافلين ، لأن إثبات مثل هذا الأمر يحتاج إلى تتبع دقيق لكل ماقال الشعراء فى هذا المعنى على مساحة الوطن العربى ، ومهما يكن من أمر فإن صقر الشبيب(٣٦) نشر أولى قصائده ــ كما يثبت محققا الديوان ــ فى مجلة « السجل » فى ١٤ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٣٧ ، ومن الواضح أنها استجابة مباشرة للإضراب العام الطويل المعروف ، الذى قام به العرب فى فلسطين فى العام السابق (١٩٣٦) واستمر ستة أشهر . لم تكن فى الكويت ــ ذلك الحين ــ إذاعة خاصة بها ، وكان المذياع نفسه غير معروف إلاّ لقلة تعدّ على أصابع اليد ، ولا نعرف مدى قدرة التقاطه ، كما كانت الصحف الخارجية تصل إلى الكويت ، فى ندرة المصادفة ، وبعد أيام

أو أسابيع من صدورها ، مع كل هذه المثبطات انفعل صقر الشبيب بما تناهى إليه ، وتصور ــ وهو المكفوف البصر ــ فظاعته وهوله ، ورأى بثاقب عقله نتائجه الخطيرة القادمة . فمن عجب أن تبدأ قصيدته الأولى بالنتيجة المرة الأخيرة ، إذا تخاذل العرب فى مواجهة الهجرة إلى فلسطين ، والتراجع أمام عمليات الاستيلاء المستمرة :

أيرفع رأسه العربى يوما إذا امتلكت فلسطين اليهود ؟
وهل عذر له إن لم تجده بأغلى ماليديه لها يجود
وراء الخطب هذا أى خطب تصان له النفوس أو النقود[٣٧]

إن هذه القصيدة « منشور » منظوم يرصد كل أطراف القضية ، من الأسباب ، إلى المواقف ، فالوضع الراهن حينها ، فالعمل المطلوب لمواجهته ، ثم النتائج المؤلمة المتوقعة إذا ما نكص من بيدهم العمل فلم يؤدوا واجبهم ، وهذه الثمرة المريرة الأخيرة هى التى بدأ بها ليستفز المشاعر ، ويثير الفكر ، إنه يدين الإنجليز (بنى التاميز) فقد دبروا كل شيء ، وينبه « عصبة الأمم » إلى واجبها ، فهى منتخبة لإقامة العدل ، فما لها تسكت على ما يلحق العرب من بغى ؟

وقولى لى أحرٌّ كل عضو عليه انضم مبناك المَشيدُ
أم الأعضاء فيك ــ كما اقتضاه مُشَاعُ الظلم ــ للأقوى عبيد ؟

كان هذا البيت ختام القصيدة ، أو المقطع كما تطلق عليه اصطلاحات النقد القديم ــ وقد كان الشاعر القديم يحرص على تجويده معنى وصياغة لأنه آخر ما يتبقى فى السمع وهذا الختام يرتبط بالمطلع ، فكأنه السبب ، يذكر مؤخرا ليحرك الذهن إلى تذكر النتيجة ــ أما صلب القصيدة فقد نهض على حث ملوك العرب ، وتحريك إرادتهم ، فهى البداية المطلوبة ، وما عداها متوفر ومريد :

ملوك العرب إن الأمر جد   وإن الله مطلع شهيد

فإن شعوبكم أجناد صدق   وظل المال فوقكم مديد
وإن عاقت قيامكم أمور   فمصدر كلها أن لا تريدوا

إن الخطب لن ترد العدوان ، ولن تسترد فلسطين . العمل هو اللغة الوحيدة :

إذا دوت الرعود بغير قطر   فهل تجدى ذوى المحل الرعود(٣٨)؟

لقد كتب صقر الشبيب عن فلسطسن ست قصائد طوال ، أولها تلك التى عرضنا لشىء منها ، ولا نستطيع أن نزعم أنه كان يبدع معنى جديدا ، أو يتكشف له موقف جديد فى كل قصيدة ، والشبيب شاعر تقليدى ، وصحيح أن ارهاصات التجديد الشعرى كانت قد بدأت فى مصر وسورية ولبنان والمهجر ، ولكن الكويت النائية فى أقصى جزيرة العرب ، المنقطعة — تقريبا — عن خطوط المواصلات التقليدية بين دول الهلال الخصيب ومصر ، وهى المساحة المؤثرة أدبيا ، والمتقدمة حضاريا وفكريا — دون غيرها فى ذلك الوقت — لم يكن باستطاعة مثقفيها أن يتجاوزوا المأثور إلاّ فى حدود الموهبة المستفزة بقدرتها الذاتية ، ولم يكن هذا فى مقدور صقر الشبيب ، رغم تمرده على التقليد ورفضه للجمود ودعوته إلى الاحتكام إلى العقل(٣٩) لأن مطالب بناء شخصية مجددة ، تستكشف أفقا يتجاوز السائد المبذول لم تكن متوفرة ، سواء فى وسائل المعرفة المتاحة ، والمناخ الثقافى والاجتماعى العام . الذى نراه أن صقر الشبيب يطور رؤيته الأساسية التى طرحها فى القصيدة الأولى ، ويضيف إليها انطباعات طارئة نفعل الحوادث المستجدة ، ففى قصيدة أخرى ،

نشرت بعد شهر من القصيدة السابقة(٤٠) يطور مطالبته السابقة لملوك العرب بحشد إرادتهم لنجدة فلسطين إلى المناداة بالوحدة العربية (وهو صوت مبكر وصريح فى هذه المناداة) إن هذه الوحدة المبتغاة من أجل فلسطين أيضا ، فإذا لم تكن إيجابيات الوحدة ومكاسبها المرتقبة حافزا كافيا للعمل فى اتجاهها ، فليكن تجنب المصائب ومواجهة الكوارث ، التى أولها ضياع فلسطين — هذا الحافز :

ستبقى على الأحقاب حقبا إلى حقب — خيالا على رغم المنى وحدة العرب
وأى أمور الناس وحّد بينهم — إذا لم توحد بينهم شدة الخطب
ولا خطب يبلى صبر كل أخى نُهى — كريم ويطوى القلب منه على ندب
كهذا الذى يضحى ويمسى محوّلا — فلسطين من كرب شديد إلى كرب
وها نحن شتى لم يحوّل مصابها — تباعد ذات البين منا إلى قرب

إن اكتشاف هذه الحقيقة المؤلمة لا يحتاج إلى ذكاء خاص ، ولكن علينا أن نتذكر أن هذا الكلام قاله الشبيب — بطريقته النظمية — عام ١٩٣٨ ، وربما قبل أن يصارحنا به شاعر آخر ، وأنه لايزال يقال إلى اليوم وإن يكن بطرق مختلفة . فى هذه القصيدة — أيضا — يرى الإنجليز أس البلاء — بالنسبة لفلسطين خاصة ، وأنها لن تحترمنا إلاّ إذا توحدنا ، فتتعامل معنا بصدق الخوف أو كذب الحب . أما فى حال تفرقنا فإنها ليست بحاجة إلى هذا أو ذاك . ويعود إلى الإنجليز مرة أخرى — ولعلهم فى تصوره يمثلون كل أطماع الغرب فى الوطن العربى ، فيرى أن السكوت على ابتلاع فلسطين سيكون مقدمة لطلب المزيد ، وهذا دافع آخر لحتمية التصدى :

لعمر أبى ما الانكليز بمنتهٍ — لهم مطمع إلاّ بناء من الرهب
فإن تصدموهم كفكفوا من شرورهم ...

فليست فلسطين بآخر حسوة تبلّ صدى الأعداء بل أول الشرب
وإن لم تعصّوهم بها وتروهم مرارة ماظنوا من السائغ العذب
ليلفظ منها ما أراد ازدراده فمّ عَادُهُ بلع اللذيذ من النهب
تحسوكم حتى يروا أنهمن رُوُوا ولا رِيَّ ما شاموا الثمالة فى العقب

ثم يختم قصيدته بأمنية يائسة حزينة ، يعز على مكفوف البصر أن يسجّلها على نفسه ، وأن يعلنها على الناس :

وددت بجدع الأنف لو كنت مبصرا قديرا على حمل القناة أو العضب

فى قصائده الأخرى يعيد الشبيب ترديد أفكاره ونداءاته ، مع إضافات تمليها الأحوال المتغيرة ، كالحث على التبرع لمساعدة « الاضراب » على الاستمرار ، وإعانة المتضررين منه ، وضرورة أن تقف الدول العربية التى لها تمثيل سياسى خارجى ، وتصويت فى عصبة الأمم موقف الايجابية المستمرة ، فى دعم فلسطين ، ولا تنشغل عنها بهمومها الخاصة التى يمكن استدراكها مستقبلا .

هذه البداية المبكرة جدا ، لم تكن سبقا تاريخيا معزولا ، وحتى لو كانت كذلك فإنه من التعسف تجريدها من نبل المعنى ، والحقيقة التى يدل عليها رصد تيارات الشعر وفنونه فى الكويت أنها ــ هذه البداية ــ اكتسبت قوة الاستمرار ، وقوة التأثير فى الوجدان الكويتى ، فمن ناحية ، لا نكاد نجد شاعرا كويتيا ليست له قصائد عن فلسطين ، نذكر هنا شعراء الجيل الماضى : فهد العسكر ، وخالد الفرج ، وعبد الله سنان ، وعبد الله حسين الرومى ، وفاضل خلف ، وغيرهم (وسنعرض لشىء من نشاطهم حين نتوقف عند التوجهات الفكرية) ومن ناحية أخرى نجد أن الكويت كانت الملاذ الأكبر لمهاجرى فلسطين ، فى أعقاب الحربين (١٩٤٨ ، ١٩٦٧) فاجتمع على أرضها ما لم يجتمع لهم على أرض أخرى غير فلسطين ذاتها (٤١) ،

أو ما تبقى منها ، ولم يكونوا مجرد قوة عمل تكتسب قوتها ، بل كان لهم حياة ووجود وفاعلية فى الحياة الثقافية ، وفى الصحافة ، وفى الفن ، والإعلام الرسمى والشعبى ، فضلا عن حياة المال والتجارة ، كان لهم مجتمعهم الخاص إذا أرادوا ، وكانوا فى صميم البنية الاجتماعية العامة فى الكويت أيضا .

أما الموقف الآخر ــ ولا نظن أننا بحاجة إلى التفصيل فيه ، بعد ما تأكد من أن المثقف الكويتى كان ــ فى صوت الشاعر ــ أول الملبين بالفن لنداء فلسطين والوقوف معها وتجميع الصفوف حولها فى محنتها ــ فهو استصحاب قضية فلسطين إلى كل محفل وموقع ، وتبنى الصوت الفلسطينى أينما ارتفع . فى شهر ديسمبر ١٩٨٧ ، كانت « ثورة الحجارة » تأخذ مكان « المانشيت » الرئيسى فى صحف الكويت ، يوميا ، وتدعم بالصور والنداءات ، وجمع التبرعات السخية ، ولم يكن مضى على قيامها غير أيام . وفى ذلك الشهر نفسه كان تلفزيون الكويت يذيع أغنية مصورة عن أطفال الحجارة ، أعدها الفنيون فيه .

وفى كثير من المحافل الأدبية والمهرجانات ، حين كان يأتى دور إعطاء الكلمة لممثل وفد الكويت ، كان يعتبر كلمة ممثل فلسطين معبرة بذاتها عن الكويت !! من هنا ليس بحاجة إلى تعليل ما نجد من إصرار الشعر فى الكويت ، على اصطحاب « الهم الفلسطينى » أينما ذهب . سنكتفى بأمثلة قليلة .

فى عام ١٩٧٣ زار وفد رابطة أدباء الكويت تونس ، وفى مهرجان الشعر ألقى أحمد السقاف ــ رئيس الوفد ــ قصيدة تحية ، ويا لها من تحية !! إنها محفوفة بظلال وضباب كان يحيط بالموقف التونسى الرسمى (البورقيبى) من العمل الفلسطينى الفدائى كأسلوب لتحريرها ، ومن القضية عامة . عن حب تونس والفرح بلقائها ، حدث دون تحفظ ، ولكن : ماذا عن فلسطين ؟ من

هنا كان هذا المطلع :

إن تعاتبنا فما يجدى العتابُ ليس بين العين والقلب حجابُ
كم تشوّقنا ويا رُبَّ خَلٍ يتهاداه ذهاب وإيابُ
نحن نحدو الركب بالحب وكم من أناس تركوا الركب وغابوا
لم نجد فى البعد بعدا فالهوى أبداً يذكيه شوق وغياب

* * *

وهتفنا حين لاحت جنة هذه تونس ، مرحى يا صحاب
قد عرفناها فمن أطيابها أرج يفديه مسك وملاب
يا بنى تونس عفوا إن بدت كلمات لم يخالفها الصواب(٤٢)

هكذا يبادر الشاعر ، فيقدم الاعتذار ، ويلتمس العفو ، عن « خطأ » مقصود سيتورط فيه ، وقد يخدش علاقة الضيف بالمضيف ، أو يسىء إلى المناسبة المهرجانية فى ذاتها . من هنا كان تقديم الاعتذار ، وكان باستطاعته أن يغيّر القول ، ولكن لا سبيل إلى هذا ما دامت « فلسطين » هى القضية . إن على مثقفى تونس ـــ أو بعض مثقفيهم ـــ كما تدل الصياغة مما يعنى وجود تيارين تجاه القضية ـــ أن يمكروا فى فلسطين ، وأن يرتبوا علاقاتهم الدولية على هذا الأساس ، فإذا كانت تونس قد عانت ولا تزال تعانى من الاستعمار ، فإن من الخطأ أن تنسى تجربتها الخاصة ، إذا ذكرت فلسطين !!

البدء بإعلان الحب لتونس ، وعدم التنكر لها فيما أصابها :

ما نسيناكم ففى وجداننا لكمو شيدَتْ بروج وقبابُ
إن شربتم بعض وقت علقما فتراب العرب فى المشرق صابُ
منذ نصف القرن عشنا نكبة ملؤها بؤس وظلم واغتصاب

ثم يغمز « دعاة السلم »(٤٣) بأنهم فى أبراج ، يسليهم السراب عن الريّ ، أما الشعب فيتلهى بالخطب والشعارات :

فى فمى أفراحكم شبابة وأساكم فى مناجاتى ربابُ
تهزأ الدنيا بكم حين ترى كيف يلهيكم هتاف وخطاب

وأشد خطرا من هذا أن التعلق بأوربا مترسب فى أعماقكم ، يفسد عليكم الرؤية الصافية لقضايا العروبة ، لقضية فلسطين بصفة خاصة :

فيشير بإشارة ذكية تلتقط صميم الصياغة (فى عودة الضمير) إلى اختلاف التونسيين ما بين متحمس للعروبة ، ومشايع للفرنسة والنهج الأوربى فى الحياة :

يرقد الغاصب فى أعينكم ولكم فيكم عداء واحترابُ

ثم يحيى نضال تونس فى بنزرت ، ويستحث الهمم أن تواصل ، غير عابئة بقوة الخصم . أما ما جاء عن فلسطين فى القصيدة ، فإنه أبيات تمجيد لنضال أهلها ، وإصرارهم على الثأر والعودة ، ومن هنا كان العتاب ، وكان الختام ، فكأن « الشعور بفلسطين » ـــ فى الحقيقة ـــ صانع نسسيج القصيدة ، ومحدد سياقها الفكرى(٤٤) .

وحين يذهب عبد الله العتيبى إلى بعداد ، ضمن فعاليات الأسبوع الثقافى الكويتى فى العاصمة العراقية (عام ١٩٧٩) وكانت « كامب ديفيد » وقعت ، ومناوشات إيران وحديثها عن تصدير الثورة تصاعدت ، كان هذا رأى الشاعر فى الموقف ، وكانت بغداد أمل الخلاص :

الحالكات بباب الشرق تزداد فجددى العهد للإشراق بغداد(٤٥)

غير أنه يسفر فى ختام قصيدته عن أمنيتين عزيزتين إحداهما للكويت ، والأخرى لفلسطين ، أمنيته للكويت أن تمتد مياه شط العرب إلى بلاده لتروى

وتخضر ، أما أمنيته لفلسطين فتمر عبر توحيد القوة العربية ، والتعبير هنا له مغزاه الخاص ، الحاد ، بل المتطرف المغالى ، ولكن .. لماذا لا ، وهو — فى تصوره — من أجل فلسطين ، وفى سبيلها يصبح أى شىء ممكنا :

فى كل يوم يصب الليل ظلمته ... فى وجه مشرقنا ، والليل أصفاد
سحائب الليل فى « يافا » تلبدها ... فهل ستمطر وجه « النيل » بغداد !!؟
عودى تعد بسنا الأقصى منائره ... وفى ربى مصر — حتما — تورق الضاد

لقد ساقه الإشفاق على مصير فلسطين إلى حافة الهوى ، والمبالغة فى الحكم ، وهل أورقت « الضاد » فى أرض كما أورقت فى أرض مصر ؟! وهل يرى حقا أن « النيل » بكل بذخه وتدفقه التاريخى يحتاج إلى أمطار بغداد ؟ لقد سوغت فلسطين للشاعر هذا ، ولا عذر غيره ، مقبولاً أو غير مقبول . لكن الشاعر يحلق إلى آفاق السمو ، ويحمل بجدارة هموم المثقف العربى ، وأسئلته ، ومصادر قلقه ، فضلا عن توافق الإيقاع ، وتداخل الصور والأسئلة ، بدرجة يستحيل فيها الفصل ، مما يؤدى إلى تصور مجسد للموقف الحائر الذى يقفه العقل العربى من قضية فلسطين ، لا يعرف تماما كيف بدأت ، ولا يملك فعلا يفرض نهاية لها ، إنما هى أسئلة حائرة ، هى دعوة إلى البحث عن جواب من موقف الالتزام . قصيدة : « إشارة مهمة »(٤٦) ، وهكذا تبدأ :

عن القدس تسألنى الأزمنه
وكل المسافات والأمكنه
وكل المساجد .. كل المنائر ،
كل القباب التى لفّها اليتم
... يا للسؤال الذى يطفى العمر فى لجة الانكسار
عن القدس ماذا أقول ؟

وقد أشرنا من قبل إلى « الانتفاضة » أو ثورة الحجارة ، التى أخذت مآزرتها فى الكويت وجوها متعددة ، وكان للشاعر منها موقف ، ونشير إلى قصيدة خليفة الوقيان « البشارة »(٤٧) — وفى التسمية علامة ودلالة — ويقول مطلعها :

الأرض ترجمكم حجارتها
ويفقأ عينكم شوك النخيل
فى القدس فى العشار
فى ميسان ، فى أنحاء غزة ، فى الجليل ،
يتعانق الحجر النخيل ...

فكأنما رأى الشاعر أن انتفاضة الحجارة ، هى وجه آخر للصمود ضد أعداء العروبة ، ومكمل لما بدأ على الحدود العراقية الإيرانية .

النزعة الإنسانية

قبل أن نقترب من جلاء هذا الجانب فى الشعر الكويتى ، نقرر أمرين : أن النزعة الإنسانية هى جوهر التجريد للشعر ، هى شرط الشاعرية ، ولو لم تسفر قراءة شعر الشاعر عن موقف إنسانى ، كان انتسابه للشعر باطلا أو محرفا ، إنه « شاعر » بمقدار تعاطفه مع الأشياء ، بمقدار حبه للبشر ، بمقدار تمرده على القبح والنقص ، بمقدار شمول رؤيته للتجاذب الكونى بين عناصر الوجود ، بمقدار ما يرى فى أى جزء — مهما كان ضئيلا — روعة الكل وعظمته . الأمر الثانى أن الإيمان القومى ليس معطلا للإنسانية ، ليس ضد الإنسانية ، إذا ظننا هذا نكون قد خلطنا بين الإيمان القومى والاستعلاء العرق ، ونكون سقطنا فى وهم « شعب الله المختار » من منظور آخر .

غير أننا نريد أن نخالف فى « منهجية » هذه الفقرة ، فلا نقدم نماذج مقتطعة من سياقها لبعض الشعراء الذين نتوسم فى تجاربهم وضوح هذه النزعة الإنسانية ، إننا نؤثر ــ هذه المرة ــ أن نقدم قصيدة واحدة ، فى نصّها الكامل ، نتبعها بدراسة تحليلية شاملة ، تكشف عن إنسانية هذه القصيدة ، ليس فى تجريد فكرتها وحسب ، وإنما فى إتقان صناعتها أيضا .

سنجد مواقف إنسانية على قدر من الشفافية ، فى بعض قصائد عبد الله سنان ، حين يكتب عن « البعير » ، وقد تجاوزه الزمن ، وأهمله البدوى الذى طالما لاذ به فى الأزمات وعند الخطر ، إذ اتخذ السيارة ، والطائرة ، ولم يعد أمام البعير غير انتظار النهاية(٤٨) . وفى « الهندية » يتجلى الحب رابطة فوق الحواجز ، رابطة طاهرة(٤٩) ، وفى « المهرى » يتقدس عرق العمل ، ويقيم الانسان بكرامته على نفسه(٥٠) . .

وتتجسد النزعة الإنسانية فى شعر خليفة الوقيان فى البحث عن المثال ، والتشوق لاكتشاف المجهول ، فى التعاطف مع العناء الإنسانى وعرق الكادحين ، ورفض الفردية والاستعلاء تحت أى دافع ، إن قصائد ديوانه الأول « المبحرون مع الرياح » تنمو فى هذه المسارات ، وأول قصائده « قال لى صاحبى » ترفض الانخداع بمظاهر الجمال ، وتبحث عن جمال الحياة فى حفظ الكرامة بالعدالة :

ليس فى خاطرى عداء لزهر يتمطى به الربيع شهيا
غير أنى سألت من ذا سقى الحقـ ـل وروّى ثراه دمعا عصيا
وعلى وجنة الورود دماء لشقى قضى أبيا وفيّا
ليضوع الأريج فى كل قصر وتزين العطور وجها بغيا ؟

ويتأكد هذا المنحى فى القصيدة التى حمل الديوان اسمها ، وتزداد النزعة

ثراء فى قصيدة « رأيى ورأيك »(٥١) .

ثم نبلغ ساحة أحمد العدوانى ، الشاعر الذى كان سندا ، أو مبتدأ لأهم مشروعات الكويت الثقافية ، وكان مسؤولا عن حركة النشر ، ولم ينشر ديوانه إلا وقد تقدمت به السن (ظهر ديوان أجنحة العاصفة عام ١٩٨٠) إننا دون خطأ فى التعميم ــ نستطيع أن نضيف قصائد الديوان إلى رؤيته الإنسانية ، من حنينه إلى الماضى مبرأ من النظرة السلفية الجامدة(٥٢) ، إلى تأمله الصوفى وتعاليه على مهاترات الواقع والدارج(٥٣) ، إلى تفلسفه فى النظر إلى الوجود(٥٤) ، إلى استبطانه لذاته ، والغوص فى ظلماتها(٥٥) ... وفى هذا المعنى الأخير ، نختار لأحمد العدوانى هذه القصيدة ، وقد نظمها عام ١٩٦٩ ، فى صميم مرحلة نضجه :

اعتــراف

حدقت فى مرآة نفسى
فلم أجد نفسى
بل لاح لى حشد من الظلال
جميلة الشكل .
لكنها ــ وا أسفا !! ليست لى!!

* * *

حدقت فى مرآة نفسى !
فلم أجد نفسى ..
بلى ..
وجدت هيكلا

تمردت كنوزه على البلى !!
وا أسفا !! كنوزه تمردت على
البلى !!
فصار للقبر وللتابوت والصنم
فى ظل وجدانى حرم

* * *

حدقت فى مرآة نفسى
فدار رأسى !!

* * *

يا أنتم !! يا أهلى ..
لكم مرايا فى نفوسكم
فحدقوا فيها !!
لكن بصدق لا يهاب السيف أو
يخشى القلم
وخبرونى .. ما الذى تقوله المرايا ؟
عن عالم الخفايا ... ؟؟؟

* * *

يا أنتم يا أهلى ..
عودوا إلى أنفسكم
وحدقوا فيها ..
لعل من بين ظلالها .. ظلى
فأنتم يا أهلى ..
وا أسفا .. مثلى !!

* * *

لقد اخترنا هذه القصيدة ، هذه المرة ، عن قصد ، ليس لأنها قصيرة وتناسب دراسة مختصرة ليست مختصة بنقد الشعر أو تحليله ، وإنما لأنها تجربة بطبيعتها ذاتية ، بل مغرقة فى الذاتية ، إنها لحظة كشف ، أو مكاشفة ، هى أبعد ما تكون عن أن تكون تجربة اجتماعية ، أو لها امتداد نحو الأغيار ، ومع هذا فقد تحركت فى اتجاه معاكس (أو مناقض) لبدايتها ، ثم .. بلباقة فريدة ، اكتملت الدائرة ، والتحمت النهاية بالبداية ، صانعة نسقها الخاص كبناء مستقل .

إن اختيار العنوان « اعتراف » كما يدل على خصوصية اللحظة ، فإنه يحدد لونها . فالعرف ، والعقل المراقب يقولان إن الاعتراف دائما يكون إفشاء لسر تسىء إذاعته إلى صاحبه أو إلى آخرين ، أو إلى الطرفين !! فالتجربة ـــ من عنوانها ـــ متشائمة ، وسنرى أن الشاعر كما خرج بتجربته الاعترافية من طابعها الفردى إلى الإنسانى العام ، استطاع أن يتحول بها من التشاؤم السلبى إلى الدعوة إلى مصارحة النفس والتغيير . أما الوسائل الفنية التى حقق بها هذا التحول فإنها غاية فى البساطة ، وفى التعقيد معا .

ليس العدوانى أول من حدق فى مرآة نفسه(١٦) ، ولكنه أول من حدق مرتين ، ليستكمل رحلة الاكتشاف ، ثم التفت وراءه ليرى هل هو حالة مفردة أو فريدة ، أم أن الناس جميعا (للأسف) مثله ؟!

قام بناء القصيدة على أربعة مقاطع ؛ بين المقطعين الأولين ثنائية تقوم على التشابه ، وبين المقطعين الآخرين ثنائية أخرى تقوم أيضا على التشابه ، ولكن ، بين المقطعين الأولين معا ، والأخيرين معا ثنائية تقوم على التضاد . وتقوم بين حد التشابه ، وحد التضاد ، جملة واحدة ، انقسمت بين فعلين بينهما الترابط الطبيعى بين الفعل والاستجابة :

حدقت فى مرآة نفسى / فدار رأسى

وقيام هذه الجملة على التخوم الفاصلة يجعلها محسوبة على التشابه فى أى من القسمين ، ومحسوبة على التضاد بينهما ، ويجعل منها معلما قائما بذاته ، وكأنها عنوان بديل للقصيدة ، ولعل هذا سلوك ، أو تصرف مستحدث ، ابتكره الشاعر المعاصر بديلا للتصريع فى سياق القصيدة ؛

وحين يتحدث النقد الحديث عن ترتيب أفكار القصيدة ، ليتم لها معنى الوحدة وتتماسك تماسكا عضويا ، فإن هذا يبدو صعبا فى تجربة شديدة التركيز ذات طابع كشفى (صوفى) مثل هذه القصيدة . لكنه حقق لها العضوية بذلك التكنيك الصياغى الذى قام عليه البناء اللغوى والصورى ، ثم باختزال اللغة (وبعض الأسئلة) إلى الحد الأقصى ، بحيث لم يتركنا الشاعر فى تيه ، لقد اكتفى بأن رسم لوحته على زجاج مضبب ، فهى تشف بقدر لمن يتأمل ، وتغمض بقدر على المتعجل .

لماذا نحدق فى المرآة ؟

هذا سؤال بدهى لمن يبدأ بقراءة القصيدة ، ولسنا نتوقع بالطبع أن يسأل القارىء نفسه مثل هذا السؤال بصوت عال ، أو حتى دون صوت ، لكنه يضمر السؤال من خلال توقع الإجابة ، الماثلة فيما ترتب على التحديق . التحديق ليس مجرد نظر ، إنه تمعن ، هدفه اكتشاف شيء غامض ، وهنا تتأكد المفاجأة ، إنه لم يجد نفسه ، تلك التى كان يعتقد أنها معه دائما ، وإنما وجد مكانها ظلالا (أرى أنها تعود إلى نظرية المثل كما صورها أفلاطون ، وبخاصة أنه وصف هذه الظلال بالجمال ، وبأنها « شكل » ، وبأنه بعيد عنها) فتأكد انفصال الماهية عن الشكل ، أو الهيولى عن الصورة ، على حد تعبير القدماء .

لماذا نعيد التحديق فى المرآة ؟

لاعتقادنا أن التحديق الأول لم يوصلنا إلى الحقيقة ، لم يكشف أمامنا كل المعميات ، وإنما كشف مرحلة ، ودل على التى تليها . فى التحديق الأول وجد الجسد (الظلال الجميلة الشكل) فى التحديق الثانى شاهد مصير هذا الجسد المهدد بالبلى ، فأحس بالأسى لتمرده المحكوم بالفناء ، ولهذا التمرد (العبثى) وهذا المصير الحتمى ، اكتسب الجسد ، وكل ما يتخذ لصيانته قداسة وحرمة .

إن الموجود الأول (فى المقطع الأول) هو نفسه الموجود الثانى (فى المقطع الثانى) وهذا واضح من التحريف المتعمد لاستخدام أداة الجواب (بلى) التى يعرف الشاعر جيدا قاعدة استخدامها ، بل إنها تستخدم فى العامية الكويتية بالتزام دقيق لشرط الفصاحة . وهكذا يصبح السياق ، مع إظهار المضمر :

حدقت فى مرآة نفسى
فلم أجد نفسى
ـــ [ألم تجد نفسك حقا ؟]
ـــ بلى
ـــ وجدت هيكلا ..

فكما كانت الظلال خطوة أولى نحو إدراك النفس ، كان الهيكل خطوة ثانية ، وتصبح النفس الحقيقية غائبة حاضرة ، بالتأمل ، وبلوغ الصدق .

ثم تتصدر « يا أنتم » المقطع الثالث ، لتوازن « الأنا » المضمرة ، أو المفهومة فى المقطعين الأولين ، وتتكرر فى الرابع أيضا ، لتتأكد نزعة الشاعر الاجتماعية الإنسانية ، لقد ارتطم بلغز الفردية ، فكان الالتفات إلى الجماعة ، والانغمار فيها ، ومناشدتها أن تسير معه فى طريق الكشف والصدق ، فإن معناه الفردى لا يكتمل إلاّ بوجوده وسط الجماعة (عودوا إلى أنفسكم .. لعل من بين ظلالها ظلى) .

إننا إذ نتأمل التجربة المغرقة فى الذاتية ، كيف انتهت إلى شعور قومى مرتبط بالجماعة ، من حقنا أن ننوه إلى جماليات الشكل ، وعمق الصدق اللذين ارتقيابها إلى الإنسانية .

الهوامش والمصادر

١ - كانت البداية دراسة عواطف العذبى الصباح التى قدمتها للحصول على درجة الماجستير من جامعة الكويت (١٩٧٠) بعنوان : « الشعر الكويتى الحديث » ، ثم كتب الدكتور إبراهيم عبد الرحمن دراسة عن أهم شعراء الكويت من خلال دواوينهم ، تناولهم فرادى . وصدرت موسوعة خالد سعود الزيد عن « أدباء الكويت فى قرنين » من ثلاثة أجزاء .. ثم تتابعت الدراسات وتنوعت .

٢ - هنا نذكر بقصائد شوقى (أمير الشعراء) عن دمشق ، وعن طرابلس (الغرب) وعن السودان ، إلخ ، وهى قصائد مستثارة بمناسبات ألمة . وهذا غير ما نعنيه .

٣ - كان لشوقى فضل السبق لشىء من ذلك حين كتب عن « زحلة » ، ولكن هذا اللون فى شعره قليل ، فضلا عن أنه لم يأخذ حجم الظاهرة لدى الشعراء فى مصر ، أو فى أى مصر عربى ، مثلما أخذ لدى شعراء الكويت .

٤ - ديوان : بيت من نجوم الصيف (ط شركة الربيعان) ص ١٥٧

٥ - ديوان : بيت من نجوم الصيف ، قصيدة : جيكور بعد عام ص ١٤٣ ـــ وجيكور قرية بدر شاكر السياب القريبة من البصرة ، وقد تغنى بها كثيرا . فالصديق فى القصيدة هو السياب ، والقصيدة فى رثائه . وفى الديوان قصيدة أخرى عن السياب ، وقصيدة « أنا فى البصرة » التى وضعها فى مفتتح الديوان .

٦ - « مجردة » نهر فى تونس ، كتب الشاعر عنه قصيدتين : « نهر مجردة » ص ٦٥ ، « على ضفاف مجردة » ـــ التى حمل الديوان اسمها ـــ ص ٨٢ وقد فطن أدباء تونس لمغزى صنيع الشاعر ، ورغبته فى تخليد نهرهم ليلحق ـــ شعريا ـــ بأنهار الشرق العربى : النيل وبردى ودجلة والفرات . انظر الديوان : ص ٦٥

٧ - ويعود الشاعر إلى هذا المعنى فى قصيدته الأخرى عن النهر التونسى : « على ضفاف مجردة » إذ يقول :

أتونس أنت مراح الفؤاد ... وأنت منى الشاعر العبقرى
وفى جوّك الرحب صغت القريض ... وأنشدتك اللحن من مزهرى
ورددت ألحانى الشاديات ... على أفق مجردة الأنور
فمن ضفة النهر وحى سرى ... بروحى ، ولولاه لم أشعر

٨ –قصيدة : الفجر الجديد [عن بنزرت] ص ٢٧

٩ –ديوان : على ضفاف مجردة : ص ١٤٣

١٠ –ديوان : على صفاف مجردة : ص ٩٧

١١ –يرجع فى نص « الجنة الضائعة » إلى « ديوان الشابى » تحقيق وتقديم عز الدين إسماعيل ، ص ٣٦١ ويلاحظ اختلاف الصياغة فى مطلع القصيدة .

١٢ –ديوان : « المبحرون مع الرياح » صدر عن ذات السلاسل ـــ الكويت ١٩٧٤ .

١٣ –ديوان : « المبحرون مع الرياح » ـــ : ص ١٠١ .

١٤ –صدر ديوان « تحولات الأزمنة » عام ١٩٨٣ ، « والخروج من الدائرة » صدر عام ١٩٨٨ ، وفيهما انعكس موقف الشاعر بقوة فى وقوفه إلى جانب العراق فى حربه مع إيران .

---

١٥ –ديوان : « بقايا الألواح » : ص ٤ .

١٦ –فى الصفحات : ٣١ ، ٦٠ ، ٧٤ .

١٧ –ديوان « شعر أحمد السقاف » : ص ٢١٦.

١٨ –القصيدتان بنصهما الكامل من بين مختارات شعرية ألقاها الشاعر خالد سعود الزيد فى كلية التربية الأساسية ، ونشرت ضمن مجلد الموسم الثقافى للكلية ٨٥ / ١٩٨٦ ـــ الكويت ١٩٨٧ .

١٩ –ديوان « شعر أحمد السقاف » : ص ٢٧ .

٢٠ –الديوان السابق نفسه : ص ١٣٧ .

٢١ –من ديوان : « الخروج من الدائرة » : ص ٥٥ .

٢٢ –ديوان : « مزار الحلم » : ص ١١ .

٢٣ –ديوان : « مسافات الروح » : ص ٤٣ .

٢٤ –من هذا الفريق الشاعر يعقوب السبيعى ، فقد خلا ديوانه الأول : « السقوط إلى الأعلى » (١٩٧٩) مما يتجاوز ذاته وعلاقاته المباشرة . فى حين تضمن ديوانه الثانى : « مسافات الروح » (١٩٨٥) قصيدتين فى مؤازرة العراق ، وتمجيد صمودها .

٢٥ –نذكر هنا أسماء الشعراء : عبد الله حسين الرومى ، ومحمد أحمد المشارى ، وعبد الله سنان ، ومحمود شوقى الأيوبى ، وغيرهم .

٢٦ – ما من شاعر كويتى إلاّ وكتب عن الجزائر وحيا نضالها ، وقصائد أحمد السقاف ، وعبد الله سنان ، وفاضل خلف ، وغيرهم منشورة معروفة ، عن أوراس ، وجميلة بوحريد ، وجيش التحرير .. إلخ .

٢٧ – المربد : ضاحية صحراوية من ضواحى البصرة ، أقام بها الفرزدق بيتا ، وابتنى جرير لنفسه بيتا أيضا ليهاجى صاحبه تلك المهاجاة المسفّة الهابطة المعروفة بالنقائض ، وقد كان أحلاس البادية يجتمعون حولهما ، ويتعصبون لهما مما هدّد بالشر ، فجاء أمير البصرة وأحرق البيتين ، وطرد الشاعرين ، وشتت أنصارهما . وقد عمل العراق على إعادة الاسم ، باعتباره كان سوقا من أسواق الشعر ، ودأب على عقده سنويا فى بغداد ، إبان اشتعال الحرب مع إيران ، وكان يجمع له الشعراء العرب من كل الأقطار .

٢٨ – ديوان « مزار الحلم » : ص ١٠٥ .

٢٩ – انظر فى نصها وشرحها والتعليق عليها : « ديوان الأعشى الكبير » : ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين . الناشر : المكتب الشرق للتوزيع . بيروت .

٣٠ – أشار الشاعر إلى أنه أخذ هذا الشطر من النابغة بتصرف . وقد قاله النابغة فى مدح النعمان ، وصحته وتمامه :

فما الفرات إذا جاشت غواربه ترمى أواذيّه العبرين بالزّبد

٣١ – ديوان : « مزار الحلم » : ص ١٣٧ .

٣٢ – ديوان « مسافات الروح » ص ٣٩ وكان أبو محجن شارب خمر ، فحبسه سعد بن أبى وقاص ، وكان فى جيشه إبان معركة القادسية . فلما رأى أبو محجن القتال تحرق شوقا إليه ، وطلب من زوجة سعد أن تفك قيوده على أن يقاتل ، ثم يعود إلى القيود .. ففعلت ، وشارك فى القتال . ما وجه العلاقة بين الشاعر وأبى محجن ؟!

٣٣ – ديوان : « مسافات الروح » : ص ٤٣ .

٣٤ – فى أوائل الستينيات كتب فكرى أباظه مقالا خطيرا نشره فى مجلة « المصور » كان يخالف فيه ، أو يقترح فيه على السياسة المعلنة ، ويوجهه إلى زعيمى العالم فى ذلك الوقت : خروشوف وكنيدى . فكان أن نحّى عن عمله ، وظل مهملا حتى اعتذر عن مقالته ، وتراجع عن رأيه . وهذا التصلب من رؤساء الدول خلق رأيا عاما

(والعكس صحيح أيضا) لا يقبل حوار الآراء واختلافها فى الاجتهاد حول هذه القضية المصيرية . إنه رأى واحد فقط لا يقبل بسماع غيره !!

٣٥ –حتى فى الأعمال الأدبية (غير الشعر) كالمسرح والرواية ، مع أن مجالى التعبير عن الرؤى المتعددة أو المختلفة متاح فنيا أكثر مما هو متاح فى شكل القصيدة الغنائية ، مع هذا لم « يجرؤ » أحد على « اقتراح » حاد أو طرح رؤية جديدة للصراع العربى الاسرائيلى . انظر مثلا مسرحية « الغرباء » لعلى عقله عرسان ، ورواية « طريق العودة » ليوسف الساعى . والطريف أن الرؤية الجديدة ، أو طرح بدائل للصراع العسكرى جاء من أدباء فلسطين أنفسهم ، انظر مثلا روايتى سحر خليفة : « الصبار » و « عباد الشمس » وما كتبناه عنهما فى دراستنا : « الريف فى الرواية العربية » الفصل السابع : « فلسطين الأرض والريف » . والكتاب من سلسلة عالم المعرفة ، رقم (١٤٣) .

٣٦ –صقر بن سالم الشبيب ، شاعر الكويت (١٨٩٢ – ١٩٦٣) كان متمردا على الطريقة العلائية المعرية ، ومحافظا فى شعره . جمع ديوانه وحققه أحمد البشر الرومى وعبد الستار فراج – مكتبة الأمل بالكويت .

٣٧ –ديوان صقر الشبيب : ص ١٨٩. والقصيدة تحت عنوان : « الأعمال لا الأقوال » .

٣٨ –وهذه الصورة الفنية القائمة على القياس مستمدة من البيئة الطبيعية فى الكويت ، فقد كان المطر – فى ذلك الوقت – المصدر الأول لمياه الشرب والزراعة ، وهى صورة تراثية أيضا .

٣٩ –للشاعر قصيدة بعنوان : « يا عقل » يقول فى ختامها :

عليك يا عقل بعد الله معتمدى ... وبعده لك تعظيمى وتبجيلى
فكن دليلى إذا ما حيرة عرضت ... وكن إذا ليل شك جنّ قنديلى
يا عقل أنت سماوى الهدى فأبنْ ... ما غاب من وجه تحريم وتحليل
وسدّ أذنىّ عما القوم قد أخذوا ... فيه يخوضون من قالٍ ومن قيل

٤٠ –قصيدة : « بلا وحدة ضياع » « ديوان صقر الشبيب » : ١٠٥ وقد نشرت فى « السجل » فى ٢١ يناير (كانون الثانى) ١٩٣٨ .

٤١ –ونعرف أن أقطارا عربية لا تسمح لأبناء فلسطين بالدخول إليها ، وأخرى تسمح بمجرد العبور أو السياحة دون الإقامة والعمل ، وثالثة تستبقى أعدادا مقننة ، لا تعطيهم قوة التواجد الاجتماعى .. وليس هذا بحاجة إلى شرح أو توضيح .

٤٢ – ديوان « شعر أحمد السقاف » بعنوان : « تونس » – ص ١٩٨ .

٤٣ – وكانت الدعوة إلى الصلح والتفاوض أول من نادى بها « بورقيبة » .

٤٤ – ويتكرر هذا عند الشاعر الكويتي كثيرا . انصر مثلا قصيدة « نهر مجردة » – من ديوان فاضل خلف ، ص ٦٥ – إنه يحيى النضال التونسي في « ساقية الأحرار » كما يحيى مساندتهم للنضال الجزائري ، ثم ينتهي إلى فلسطين :

فهل لك في نصر جديد محجل يضيف إلى ماضيك صرحا ممردا
فلسطين قد حلّ البلاء بساحها يحاربها الأهلون والدهر والعدا
وهذا أوان البذل يا ابنة عقبة فمدى إليها من بطولتك اليدا
وقولى لقاء اليوم في أرض تونس وفي مهرجان القدس موعدنا غدا

٤٥ – ديوان : « مزار الحلم » : ص ١٣٧ .

٤٦ – ديوان : « مزار الحلم » : ص ٥١ .

٤٧ – ديوان : « الخروج من الدائرة » : ص ٣٩ .

٤٨ – ديوان : « نفحات الخليج » جـ ١ « البواكير » : ص ٢٦ .

٤٩ – السابق نفسه : ص ١١٠ .

٥٠ – السابق نفسه : ص ١٣٦ .

٥١ – ديوان : « المبحرون مع الرياح » ص ٧٥ .

٥٢ – القصائد : صفحة من مذكرات بدوى ، يا غدنا الأخضر ، أفكارنا دجاجة ، وقفة على طلل .

٥٣ – في ملحمته المطولة الفريدة : شطحات في الطريق .

٥٤ – القصائد : الناسك وشكوى الشيطان ، بقايا رؤى ، معرض اللعب ، البحيرة الخالدة ..

٥٥ – ديوان « أجنحة العاصفة » ص ١٢٠ ، والتحليل من دراسة لنا عن الصورة في شعر العدواني بعنوان « الرسم بألوان ضبابية » لم تنشر بعد .

الفصل السادس

آفــــاق أخــــرى

لانزال — فى هذا الفصل الأخير من دراستنا — مع التوجهات الفكرية والوجدانية التى يصرّفها الشعب الكويتى فى إتجاه العروبة ، والمبدأ القومى ، ويحارب من خلالها الانعزالية والاقليمية والتعالى بكافة أسبابه : العرقية والثقافية والتاريخية . وقد استقل الشعر بفصل بلغ مساحته دون أن يبلغ القول فيه مداه ، ومن ثم يمكن اعتباره مؤشرا أو فاتحة لقول يفصل الدوافع والغايات ، ويرصد أو يستنبط الدلالات . وسيكون هذا الفصل تتمة لسابقه فى مجالات الإبداع الفنى والفكرى ، فنتعرف فيه على فن المسرح والصحافة وحركة التأليف ونشاط النوادى والجمعيات ، فيبدو هذا الفصل الأخير ، لنا الآن ، مكملا لما عرفنا من نشاط الشعراء ، ومن وجه آخر هو استكمال لما سبق التعريف به من أنشطة الأجهزة الرسمية الحكومية ، فى وزارة الاعلام ، والمجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، والهيئة العامة للجنوب والخليج العربى ، وجامعة الكويت ومعهد الكويت للأبحاث العلمية ، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمى . إننا هنا نستكمل الصورة « الطوعية » التى يختارها المواطن الفرد معبرا عن توجهه الفكرى وتعلقة الوجدانى ، بعيدا أو مستقلا عن التوجيه الرسمى ، والخطط والبرامج ، إنه هنا أكثر تعبيرا عن ذاته — كما رأينا فى مواقف الشعراء — وهذا يؤكد من وجه أن الخطط والتوجهات « الرسمية » التى تجسدت فى مطبوعات تصدر عن الكويت ، وأسابيع ثقافية تقيمها الكويت ، ومؤسسات علمية تقيمها وتموّلها الكويت ، إنما هى فى صميمها تصدر عن إيمان قومى

يرتضيه المواطن العادى وتسخو نفسه بما تبذل الدولة فى سبيله من أموال ، ومن وجه آخر يدل على تناغم الجهود الرسمية والشعبية ، فإذا اختلفت وسائل التعبير ، فإن الهدف واحد . وعلى سبيل المثال نذكر جائزة الشيخ عبد الله المبارك الصباح للإبداع العلمى ، وجائزة الدكتورة سعاد الصباح للإبداع الفنى ، وجائزة البابطين الأدبية ، التى ترصد لها آلاف الدنانير ، ويعلن عنها سنويا على مدى الوطن العربى . إنها تكمل ماتقوم به « الدولة » من تقديم جائزة الكويت للتقدم العلمى ، السنوية فى مجالات العلوم ، والطب والأدب ، والتراث إلخ . وجائزة معرض الكتاب السنوى فى الكويت ، لأحسن كتاب كويتى ، وأحسن كتاب عربى ، فى علوم مختلفة أيضا ، وهى مواكبة لمعرض الكتاب ، الذى يقام سنويا فى شهرى نوفمبر وديسمبر ، وهو مهرجان ثقافى شامل .

أولا : المسرح

وكيف يكون المسرح عاملا من عوامل التنمية الثقافية فى الكويت ، وفى الوطن العربى عامة ؟ قد يكون الجانب الاعلامى الذى يستخلص من المسرحية مفيدا فى هذا الجانب ، كما أن التقارب اللهجى ــ أو اللغوى ــ من خلال شيوع العروض المسرحية وانتقالها فى داخل القطر الواحد وبين الأقطار العربية إحدى علامات أو منشطات التوحد الروحى والتفاهم المشترك . هناك أمور أخرى سنعرض لها بشىء من التفصيل ، لكننا قبل أن نحددها ننقل عن عبد الكريم برشيد قوله : « المسرح هو الحضور ، فوسائل الإعلام تخبرك بما جرى ، على اعتبار أنك غائب عما جرى ، ولكن المسرح يدعوك لأن تكون شاهدا على الفعل ، وأن تكون فاعلا فى الأحداث ومنفعلا بها . المسرح هو الوجه الثانى للديمقراطية ، لأنهما معا يقومان على الحضور والحوار والمشاركة

والتجمع ، وعلى التعبير الجماعى والتلقائى . وبهذا يمكن القول : إن مستقبل المسرح ــ فى الوطن العربى ــ مرتبط بمستقبل الديمقراطية فيه[1] »

هل تعطينا عبارة « المسرح هو الوجه الثانى للديمقراطية » تعليلا مقنعا ، كافيا ، لازدهار الحركة المسرحية فى الكويت ، تلك الحركة التى لايتجاوز عمرها ــ بعد البدايات الساذجة الحائرة ــ ثلاثين عاما ، ومع هذا استطاعت أن تؤكد شخصيتها ، وفاعليتها ، ليس من خلال الاحتشاد الخاص للفوز فى المهرجانات المسرحية العربية (وقد فازت الكويت بالمكان الأول فى مهرجان دمشق المسرحى عن عرضها لمسرحية ألفريد فرج : « على جناح التبريزى وتابعه قفه » ، (١٩٧٦) كما فازت مسرحية « رحلة حنظلة » لسعد الله ونوس ، التى قدمها المسرح العربى (الكويتى) بالجائزة الأولى للابداع المسرحى فى مهرجان بغداد (١٩٨٥) وقد أخرج المسرحية الأولى صقر الرشود ، وأخرج الثانية فؤاد الشطى) إننا لانعنى هذا فالفورة غير الاستمرار ، وغناء عصفور واحد ، أو عصفورين لايعنى وصول الربيع !! إنما نقصد هذا الكم الواضح من الفرق المسرحية[2] . ومهما يكن من أمر فإننا نحدد مجالات عمل المسرح فى الكويت ، ضمن إطار التنمية الثقافية العربية ، بأربعة أمور نرى أنها مؤثرة فى تنمية المجتمع الكويتى ، ومقاربة بينه وبين المجتمع العربى الشامل ، وعاملة على تقوية الأواصر الثقافية والاجتماعية بين الجزء والكل ، وموصلة لرسالة التنوير والتقارب إلى المواقع العربية المتباعدة ، عاملة على تقريبها . ويتحقق هذا بأربعة أمور كما قدمنا :

١ ــ الطرح الجاد للقضايا الاجتماعية (التى تتوغل إلى صميم المجتمع الكويتى) بقصد تغييره إلى الأحسن ، وتوسيع دائرة اهتمامه ، بتحطيم دوائر عزلته وكشف سلبياته ، بما يطامن من احتمال تعاليه لأسباب نفسية أو مادية .

٢ ـــ التوجه القومى حين تطرح القضايا المشتركة (السياسية أو الاجتماعية) كموضوع مسرحى ، ولايعنى هذا أن يكون موضوع المسرحية يجرى بين بلدين أو أكثر مثلا ، أو أن يكون موضوعا سياسيا صراحة ، إنه قد يكون اجتماعيا من صميم البيئة ، ومع هذا يبقى للتوجه القومى دور فى تأصيل فهم المشكلة أو حلها .

٣ ـــ العرض المسرحى فى الكويت ، وهل أفاد من القدرات العربية المقيمة فى الكويت ، أم أنه اعتبرها خارج دائرة العمل ؟ إن هذه القضية قد تتوافق طردا ، أو عكسا ، مع الجمهور المتخيل لمشاهدة المسرحية . الاحتمالان واردان ، وواقع الحركة المسرحية فى الكويت ، وقوائم العاملين فى العروض المسرحية ، يملى الاجابة الصحيحة .

٤ ـــ حين احتاجت مسارح الكويت إلى نصوص مؤلفة خارج الكويت ، بالتحديد نصوص عربية ، إلى من توجهت من المؤلفين ؟ وماذا إختارت من موضوعاتهم ؟ وبأى مستوى عرضت تلك الموضوعات ؟ هذه فى رأينا المقاييس الأربعة ، التى على ضوء واقعها ، نضع الحركة المسرحية فى الكويت ، كعامل من عوامل التنمية الثقافية العربية ، أو نحكم بنفيها خارج تلك الدائرة المتفاعلة !!

١ ـــ بالنسبة للقضية الأولى : الطرح الجاد للقضايا الاجتماعية ، نوضح أننا لانعنى بالطرح الجاد التجهّم ، أو العبارات الحادة ، أو الشخصيات المتشنجة ، وإنما نعنى أن تضع المسرحية أصابعنا على موضوع حقيقى ، ومؤثر ، جذرى فى تنبيه الأذهان إلى مشكلة ، وأن يكون البناء المسرحى موجها للمشاهد أن يفكر فى الموضوع ، وأن يعدّل من أفكاره أو سلوكه تجاهه ، دون أن تعنى هذه الدعوة أن ندفع به إلى دائرة النكد ، أو الحزن ،

أو حتى التجهم ودون أن يكون الطرح ضاحكا ، مسطحا ، لايخلف فى النفس غير الضحك ، بل يدفع بالعقول إلى مزيد من الكسل ، من خلال شعور خادع بالرضا عن النفس ، وأنه ليس فى الامكان « أظرف » مما كان !! ولعل هذا هو الطابع الغالب (السائد) فى المسرح العربى بوجه عام . يقول عبد الرحمن بن زيدان : « عندما نرجع إلى واقع المسرح العربى ، لنحدد المضامين الفكرية ، والقضايا المطروحة فى دلالته ، فالضرورة تفرض علينا تعرية جانب سلبى بدأ يفرض نفسه ، ويعمق وجوده فى مسار العملية الإنتاجية ، وهو الترف الفكرى الثقافى ، الذى يبقى العقول فى حالة من حالات الكسل الممتع ، حيث يصبح مجرد التفكير إجهادا لامعنى له ، هذا الجانب السلبى تمثل فى الطابع الهزلى الرخيص ، الذى أفرغ جوهر المسرح من كل مضمون طموح إلى تأسيس مسرح عربى ، بل وهّمش كل الصراعات التى تعمق البحث ، وتنقب عن النظرية المحددة لعلاقة هذا الفن بالأصعدة النفسية والاجتماعية والفكرية للانسان العربى . إن هذا الوجه الذى طغى على المسرح العربى نتيجة الدعم والسند الذى يلقاه من طرف الأيديولوجية المهيمنة ، وعلم الجمال البرجوازى المستورد ، جعله يعادى ممارسة الفن الواقعى ، ويثبط من قوة النضال الهادف إلى تطوير الإبداع الفنى فى الطريق الواقعى ، وينفى الأهمية الاجتماعية للمسرح الهزلى على أنه ـــ فى الفن ـــ انعكاس للهزلى فى الحياة » (٣) لقد أطلنا الاقتباس من بن زيدان لنصل إلى هذه النقطة الفارقة : هل الهزل فى الفن انعكاس للهزلى فى الحياة ؟ أم هو إحدى الطرق فى التعبير عن قضايا جادة لايمكن طرحها إلا بهذه الصورة ، أو على الأقل : هذه إحدى وسائل طرحها ، وهى وسيلة تشف عن مقدار الجدية فيها ؟ ونعود إلى واقع الحركة المسرحية فى الكويت وأسلوب طرحها للقضايا الاجتماعية التى تهم التكوين السكانى الكويتى . سنجد الجدية ، بل الجدية القاسية ماثلة فى كثير من المسرحيات ، بدرجة

استدعت أن يطلق بعض نقاد الصحافة على فرقة مسرح الخليج العربي اسم : « مسرح المعقدين » ، مع هذا سنجد الهزل الذى يشف عن الجدية ماثلا منذ البدايات ، وحتى فى مرحلة « الارتجال » وقبل أن تعرف الكويت « النص المسرحى » . لقد كان توقع الشر من النفط الذى دخل حياة الناس ، بل اقتحمها ، واكتسح الثوابت وعوامل الاستقرار سائدا فى تلك المسرحيات المبكرة ، لقد صورت مسرحية « حرامى آخر طرز » كيف أن العناية بتوفير وتأمين المياه أهم من توفير النفط[٤] . وفى مرحلة الارتجال أيضا ، المبكرة جدا ، عرضت مسرحية « قرعة وصلبوخ فى باريس » والقرعة هى القرعاء ، والصلبوخ هو القار ، وقد استخدما اسمين لشخصين ، وقد عرضت المسرحية عام ١٩٥٦ وأثارت الرأى العام ، وهى تصور سفه الأثرياء الجدد ، وما يحيطون به أنفسهم من ترف يناقض واقعهم ومظهرهم ، كما عرض محمد النشمى ــ الذى قاد العمل فى المسرحيتين السابقتين ، مسرحيات أخرى تواجه تعقيدات الجهاز الوظيفى الذى بدأ يتغلغل فى بيئة بعيدة عن التعقيد ، من اليسير أن تحصل فيها على الثقة . لقد استدعت الطفرة الاقتصادية وانعكاساتها الاجتماعية كثيرا من الموضوعات على مستويات مختلفة ــ فالكوميديا الهزلية القريبة من الارتجال نجدها فى مسرحية « اشرايكم ياجماعة[٥] » التى كتبها حسين الصالح الحداد ، وعرضت عام ١٩٦٩ وكانت تطرح السؤال الحائر : هل كان من الخير للكويت أن تتجنب الطفرة الحضارية وتأخذ بأسلوب التدرج البطىء ؟

هذه بمثابة ارهاصات مهدت لظهور مؤلفى المسرح الذين أخذوا أماكنهم فى الديوان العام للحركة المسرحية العربية ، عبر السيطرة على أصول الحرفة ، وجدية القضايا التى يتم تشريح المجتمع من خلالها . نذكر هنا سعد الفرج ،

السبت ١٧ سبتمبر ـ ١٩٨٨ ـ العدد ٤٨٧٦

وطن للكلمات

مـــــوال حب .. الـــــى مســـــرح المعقديـــــن ! (١)

«مسرح المعقدين» يحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لولادته خلال شهر اكتوبر القادم . وهي مناسبة لا يمكن ان ندعها تمر دون كليمة تليق بالنشاط المسرحي لهذه الفرقة التي خبرها المشاهدون بعطائها الجاد . طوال الخمس عشرة سنة الاولى من عمرها .

والوطن ايمانا منها بالدور الايجابي الذي اضطلعت به فرقة «مسرح المعقدين» لن نكتفي بهذه الكلمات بل ستكرس ملفا لمسيرة المسرح .. ومرد ذلك هو حرص الوطن على ان يعود لهذه الفرقة دورها الايجابي .. وزخمها الاخضر الواعد الذي بشرتنا به .

وتنتهز الوطن هذه المناسبة لتتمنى للفرقة العمر الفني المديد العامر بالعطاء والابداع اللذين خبرهما جمهور المسرح ابان حياة الفنان المسرحي «صقر الرشود» رحمه الله وايام حضور توأمه الفني الكاتب المسرحي عبدالعزيز السريع .. فضلا عن مشاركة المبدعين العرب امثال الكاتب المسرحي التلفزيوني الاستاذ محفوظ عبدالرحمن والمؤرخ والناقد المسرحي د.محمد حسن عبدالله .. وغيرهما من مريدي «مسرح المعقدين» !

● «مسرح المعقدين» هو الاسم الحركي لمسرح الخليج الذي كان ينعت به ابان سني حياته الاولى ! وقد سمي كذلك من قبل فئة رأت في توجهه واختياره تعاليا على الجمهور الذي خبر المسرح على انه ساعة فرجة طافحة بالضحك والمسرة فقط لا غير ! وكان ظن من اطلق تسمية «مسرح المعقدين» انها ستكون بمثابة تهمة وسبة تشين مسيرة الفرقة وتلطخ صيتها . لكن الذي حدث بعد قيام مسرح الخليج وتواتر اعماله المسرحية الجيدة والجادة هو ان التسمية المذكورة اصبحت علامة مسجلة على التوجه الجاد للفرقة .. ودلالة على اختيارها السباحة ضد تيار مغازلة مزاج جمهور المشاهدين ودغدغة غريزة الضحك عنده تأسيا بالشعار العتيد «الجمهور عاوز كده» .

● فبينما كانت جل الفرق المسرحية تعزف «موشح الجمهور عايز كده» بتنويعات مختلفة تتنافس على كسب الجمهور وجذبه بالنكات اللفظية والمفارقات اللغوية والحركات الجسمية البهلوانية .. اقول بينما كان حال العروض المسرحية كذلك .. فان «مسرح الخليج العربي» اختار ان يمسرح هموم الوطن وقضايا الامة .. فضلا عن هموم الانسان !

زد على ذلك ان نقلة المسرح في الكويت من المسرح المرتجل الى مسرح النص المكتوب قد تم عبر مسرحية «تقاليد» التي كتبها الفنان صقر الرشود احد اعمدة مسرح الخليج والذي تأسس بعد كتابته لهذه المسرحية بكم سنة قليلة . ولا تنس ان اول مسرحية كويتية صيغت وفق المعايير الفنية والموضوعية للدراما كانت من ابداع الكاتب المسرحي الفنان عبدالعزيز السريع حسب شهادة الناقد والمؤرخ المسرحي الدكتور محمد حسن عبدالله .

● سليمان الفهد

وصقر الرشود وعبد العزيز السريع ، وخالد رمضان ، وحسن يعقوب العلى ، ومهدى الصايغ ، وسليمان الحزامى . لقد انتصر سعد الفرج لحتمية التطور وأيأس الجامدين من إمكان تجميد حركة التقدم[٦] ، ولم يسكت الحميد حتى ردد الجد وراءه : « الأرض تدور رغم أنف جدك » ، وفى « الكويت سنة ٢٠٠٠[٧] طرحت مخاوف المستقبل بلا مواربة ، فقد أسلم الناس أنفسهم للترف ، وفقدوا القدرة على العمل ، ثم جاء النذير عام ٢٠٠٠ ليعلن نضوب النفط ، فلم يكن أمام الجوع إلا العودة إلى البحر ـــ الصديق القديم الذى نسوه ، فنسيهم ـــ ومن ثم كان الفشل والغرق هو المصير !! كوميديا سوداء مبكرة (١٩٦٦) حاولت حفز الهمم والأفكار إلى تصور بديل لمجتمع الاستهلاك . سيتوفر الصديقان الزميلان صقر الرشود وعبد العزيز السريع ـــ من خلال العمل فى فرقة الخليج العربى ـــ على تقديم دراما الأسرة الكويتية ، وهى تعانى الطفرة الاقتصادية ، فتوقظ الشهوات وتطلقها من عقالها[٨] ، وهى تعانى الغربة الروحية[٩] ، والغربة الثقافية[١٠] وتحاول إجتيار فاصل الطبقية ، والاستعلاء العرقى[١١] .. إلخ ، ويمكن أن نطلق تعميما واحدا فى هذا المجال ، فنقول إن المسرح فى الكويت ، فى صميمه اجتماعى ، يعنى بالأسرة، أو ماتعانية الأسرة نتيجة المرحلة الأنتقالية من مجتمع « العائلة الكبيرة » ـــ أو الحمولة ـــ إلى الأسرة الصغيرة التى تستهدف لتقلبات شتى ، وتجتاز صراعات مابين الأجيال . قد يبدو هذا بشكل مباشر ـــ كما فى مسرحية « الدرجة الرابعة » لعبد العزيز السريع (١٩٧٢) أو تنتزي فى سياق آخر ، كما فى « ضحية بيت العز » لسعد الفرج وعبدالحسين عبد الرضا (١٩٧٥) وفى مسرحية « للصبر حدود » لخالد عبد اللطيف رمضان (١٩٨٠) وقد يقترن الصراعان : صراع الاجيال وصراع الطبقات فى سياق واحد ، كما فى « تنزيلات » لمهدى الصايغ (١٩٨١) .

٢ ــ ومع صحة القول بأن التأليف المسرحى فى الكويت يركز اهتمامه على قضايا الأسرة ، يشرح من خلالها مركبات المجتمع وتطلعاته وتفاعلاته ، فإن الأمر لاينحصر فى هذا المدى . لقد انحصرت العينة المنتقاة (لزمن ليس بالقصير) فى الأسرة الكويتية ، فكانت بذلك معبرة عن مجتمع الكويتيين ، وليس المجتمع فى الكويت ، ولكنها حين وسعت من دائرة رؤيتها ، صححت الكثير من جوانب الرؤية ، واتفق مدى العينة مع المدى الواقعى لحركة المجتمع(١٢) واقترن هذا بيقظة الحسّ النقدى لدى المؤلف الكويتى ، فمن خلال السبيكة المشتركة فى المجتمع الكويتى من كويتيين ، وعرب غير كويتيين ، ستكون مفاهيم الصواب والخطأ ، واقتسام الفعل ورد الفعل والعجز عن الفعل مشتركا بين الجميع . فى مسرحية « ١ ، ٢ ، ٣ .. بم » كان الانحياز إلى القديم واضحا لدى الكاتبين وقد يتضمن الانحياز لقيم مجتمع ماقبل النفط دعوة ضمنية للانغلاق أو الاكتفاء بالنفس . أما « بحمدون المحطة » فقد تساقط الجزء الكويتى المتفاعل مع أوربا مهترئا محطما فى حين تمتع بالعافية والتجذر الجانب المتفاعل مع الامتداد العربى المناظر . وفى مسرحية « شياطين ليلة الجمعة » قال رئيس تحرير الصحيفة (الكويتى) لمحرر من مرؤوسيه ، ساخرا من قدرته المحدودة : « أنت !! ما كان يمكن أن تكون صحفيا فى غير الكويت » ، فرد عليه المحرر (غير الكويتى) ثائرا لنفسه : « أنت ، ماكان يمكن أن تكون رئيس تحرير إلا فى الكويت(١٣) ، وظهرت « الزوجة الثانية » غير الكويتية على المسرح ، لتأخذ حقها كاملا ، ويتعلق بها ــ ولو إلى حين ــ أبناء ضرتها(١٤) ، وتحظى باعجاب الجمهور ولو إلى قبيل النهاية . وفى مسرحية « الواوى(١٥) ظهر صاحب البناية ، الرأسمالى المستغل ، يفرض الأجور العالية على العمال الكادحين ، لايفرق بين كويتى وغير كويتى ، كما يتزوج العجوز الكويتى المتصابى فتاة (غير كويتية) فى عمر أبنائه أو أقل ،

فيحطم قلبها ، ويفقد عقله ، وتظل نموذجا للطهارة ، وفى « ضحية بيت العز » يذهب الفتى المراهق (غير الكويتى) ضحية التسرع والعنجهية من الرأسمالى ، الذى يقع اختياره على أحد تابعيه من الكويتيين ليحمله تبعة جريمته . وأذكر أن تدريبات مسرحية « شياطين ليلة الجمعة » كانت تجرى ، حين فاجأتنا حرب أكتوبر٧٣ ، والمسرحية من سبع لوحات انتقادية ، قاسية فى نقدها لسلبيات المجتمع الكويتى ، ولكن العبور ، وتحسن الموقف العربي أنعش الآمال ، وارتفعت شعارات أن يدخل النفط المعركة بان يستخدم كعامل ضغط فى توجيه التصويت فى هيئة الأمم ، وفى تصدير السلاح . وقد أضاف عبدالعزيز السريع نشيدا أخيرا هو ختام المسرحية ، يعقب به على مشاهد الانتقاد الحاد ، بأن الحل هو فى مزيد من الانتماء للكويت والانتماء للعروبة ، والدفاع عن أهدافها ، ولو كان الثمن أن يتوقف النفط ، ويعود الكويتيون مرة أخرى إلى حياة البحر محتفظين بشيمتهم العربية[١٦] .

وينفرد حسن يعقوب العلى بالتطلع إلى طرح القضايا العامة (القومية) فى مسرحيتين ، إحداهما من تأليفه ، وهى مسرحية « الثالث »[١٧] ، والأخرى إعادة صياغة لنص قديم كتبه أحمد الرجيب ، وهى « خروف نيام .. نيام[١٨] ، « والثالث » تستمد حكايتها من « أبى الحسن المغفل » (إحدى حكايات ألف ليلة) فهل المؤلف هو « الثالث » الذى يستمد نفس الحكاية (بعد مارون النقاش وسعد الله ونوس الذى منحها رؤية جديدة فى « الملك هو الملك ») أو أن « الثالث » هو موقع « الحلم » بين النوم واليقظة ، وبخاصة أن حكاية أبى الحسن تعرف بـ « النائم اليقظان » ؟ مهما يكن من أمر فإنها تعرض لأخطار الحكم الشمولى ، وماتتذرع به من أن مجتمع « الأسرة الواحدة » فرقته الأهواء ، وليس من حل إلا بالبحث عن دكتاتور عادل !!

وفى « خروف نيام .. نيام » يبرز كيف يمسخ الحاكم الفرد حقائق الأشياء ، ويفقد شعبه الموضوعية ، وصحة التصور ، ويجعل من حاشيته لعبة لاتصلح حتى للنفاق . ولحسن يعقوب العلى مسرحية رمزية عن فلسطين ، اختار لها اسم « عشاق حبيبة[١٩] » ، وهى فتاة رائعة الحسن ، ليس لها إخوة ، وإنما أبناء عمومة ، وحماتها الطبيعيون هم سبب بلائها ، غير أن إنقاذها من المحنة يتم على يد ابن عم آخر ، ظهر فى الوقت المناسب !! إن المسرحيات التى كتبت من أجل فلسطين قليلة جدا ، ساهمت فلسطين نفسها بمسرحية واحدة ، هى « ثورة الزنج » وساهمت سورية بأخرى ، هى « الغرباء » وساهمت مصر بمسرحيتين هما « وطنى عكا » و « حبيبتى شامينا »[٢٠] وفى هذا المجال تدخل الكويت بمسرحية « عشاق حبيبة » ، وتعانى هذه المسرحية ماعانته سابقاتها جميعا حين تعرض لموضوع لامجال فيه للاجتهاد الفكرى ، ولا للابتكار فى الحل أو النهاية ، ويسيطر « التوازن » على مخيلة الكاتب ، فتتحول الرموز إلى نوع من « التنكر » . ومهما يكن وضع هذه المسرحية من الوجهة الفنية ، فإنها تظل علامة على توجه ، ورمزا لعلاقة ، ولم يكن مؤلفها رفيقا فى نقده ، ولقد انتهت إلى مقولة إنه لن ينقذ « حبيبة » أدعياء عشقها ولاضعاف العشق ، سينقذها العاشق الحقيقى الذى يملك الدافع العميق ، إنه الشعب الفلسطينى نفسه .

٣ ــ من الطبيعى أن المؤلف المسرحى الكويتى ، حين يكتب مسرحية فإنه سيكتبها عن مجتمعة الخاص ، لمشاهده الكويتى ، وأنه ــ لكى يجسد هذا الوضع على خشبة المسرح ستكون شخوصة كويتية . هذه بدهيات . لكن التركيبة السكانية فى الكويت انتهت إلى أن أصبح العرب (من غير الكويتيين) المقيمين يبلغون عدد أبناء البلد . لقد جاء هؤلاء ليعملوا فى وظائف الدولة

والمصانع ، والحرف اليدوية ، والتجارة ، والتعليم . ولكن الإعلام ــ الشديد الحساسية ، والفن المسرحى ــ المرتبط مباشرة بالتعبير عن المجتمع ، والموجه مباشرة الى جمهوره الخاص ، هذان الحقلان ، نادرا مايسمح لغير « المواطن » بالتسرب إليهما ، إما تحت ضغط الموهبة المتميزة ، وتكون الاستعانة لأداء عمل محدد ، فى مرحلة معينة ، وإما من خلال وحدة المعتقد السياسى ، الذى يجعل فلسفة « الحزب ' وعقيدته فوق كل اعتبار . لقد تدفق إلى الإعلام الكويتى ، والمسرح فى الكويت (ونقصر اهتمامنا عليه) آلاف من أبناء العرب ، دون أن تكون لهم الموهبة التى لاتعوض ، ودون أن يتم اختيارهم بعد اختبارهم إيديولوجيا ، لقد التحقوا بالعمل بنفس الإمكانات والقدرات والفرص التى تكون للمواطن نفسه ، فى أى عرض مسرحى تم على خشبة المسرح فى الكويت ، ستعكس الجهود الفنية ونوعية العاملين التكامل من خلال التنوع الذى نجده فى المجتمع بشكل عام . حين تعرفت إلى فرقة مسرح الخليج العربى أواسط الستينات ، كان من بين أعضائها ثلاثة ، هم أشد العناصر إيجابية ومشاركة (إلى جانب قطبيها : الرشود والسريع) : عبد الرحمن الصالح (كاتب ، وهو مؤلف أول فيلم كويتى) ومحبوب العبدالله (ناقد صحفى) ووليد أبو بكر (أديب ناقد) وأسندت إلى أسمهان توفيق بطولة أكثر من مسرحية[٢١] . إننا لانبحث أو نتصيد حالات فردية ، ونحن نعرف أن الكويت استقدمت « زكى طليمات » ليؤسس فيها حركة مسرحية على أسس علمية ، وأن هذا الصنيع أغضب الذين كانوا فى واجهة العمل ، فاضطرهم قدوم طليمات إلى التراجع عن الصف الأول وكتب بعضهم مذكراته ــ فيما بعد ــ معبرا عن غضبه ونقده ، وكما لم يجد من « يراعى خاطره » عند قدوم طليمات ، فيسند إليه عملا أو منصبا يسكته ، فكذلك وجد من يرد على

مذكراته غير المنصفة ، وينتصف لطليمات بعد رحيله عن الكويت بل بعد رحيله عن الدنيا[٢٢] !! لقد استبقى الكويتيون من خصال البادية ، ومن مآثر الأخلاق التاريخية المتوارثة للعرب ، استبقوا القدرة على الإنصاف ، والانتصاف ، ولو من النفس ، بل من النفس أولا . أما وقد كبر طليمات و لم يعد قادرا على إدارة العمل المضنى ، فقد أخذ سعيد خطاب مكانه ، وكان من قبل رئيسا لأكاديمية الفنون فى القاهرة . وقد ضمت هيئة التدريس بالمعهد العالى للفنون المسرحية (الكويتى) أساتذة من العراق ، وفلسطين ، وتونس ، وسورية ، ومصر ، والمغرب ، والسودان !! إلى جانب أبناء الكويت . وفى مرحلة من تاريخ هذا المعهد كان به من كبار المخرجين : سعد أردش ، وكرم مطاوع ، وأحمد عبد الحليم ، وكمال ياسين ، والمنصف السويسى !! فتأمل كيف جمع أكبر المواهب ، فتدفقت بالعطاء على الحركة المسرحية فى الكويت إن هذا يذكرنا بمرحلة من تاريخ جامعة الكويت ، حين استقطبت فى قسم واحد من كلية الآداب « الأربعة الكبار » فى الفلسفة الحديثة من العرب : زكى نجيب محمود ، ومحمد عبد الهادى أبو ريده ، وتوفيق الطويل ، وعبد الرحمن بدوى ، ومن بعدهم جاء فؤاد زكريا ، فكأنما جمعت الفلسفة العربية كاملة فى بناء واحد . لقد تكرر هذا فى مواقع مختلفة من الخليج ، وفى الكويت بصفة خاصة ، وكانت له آثار إيجابية على الكويت بالطبع ، وعلى نشاط هؤلاء الأعلام العلمى أيضا ، وقد تألم شاعر كويتى (الدكتور عبد الله العتيبى) للنظرة الجافية التى تلاحق بنجاح العاملين العرب فى الخليج ، وهى عكس الطريقة التى ينظر بها إليهم إذا حققوا هذا النجاح فى الغرب :

إذا عالم أمس بأرض غريبة

فهذا انتصار للعروبة فى الغرب

وإن سار من أرض لأخرى شقيقة
يقال : بلاد النفط أغرته بالكسب !!

ونعود إلى مانهتم به من أمر المسرح ، فنعرف أن هؤلاء الخمسة المعدودين فى مجال الإخراج المسرحى لم يكونوا مجرد « أساتذة » فى المعهد ، يعلمون عددا قليلا من طلاب الخليج ، أو العرب عامة ، وإنما تولوا إخراج عدد من العروض ليس بالقليل ، يعتبر ـــ إلى الآن ـــ من العلامات البارزة . فأخرج المنصف السويسى مسرحية « انسوا ياناس » معربة عن جريجورى جورين[٢٣] ، وأخرج كرم مطاوع « الأشجار تموت واقفة » معربة ، ثم « مكوِّتة » ـــ أعدها باللهجة الكويتية حسين الحداد ، وأطلق عليها اسم « السدرة » ـــ وهى من تأليف اليخاندرو كاسونا[٢٤] . كما أخرج سعد أردش مسرحية « رسائل قاضى أشبيلية » لألفريد فرج[٢٥] . وأخرج أحمد عبد الحليم المسرحيات : « أربعة واحد » ـــ عن مسرحية إنهم يقتلون الحمير تأليف لينين الرملى ، و « رأس المملوك » لسعد الله ونوس ، و « المتنبى يجد وظيفة » لعبد السميع عبد الله[٢٦] . . . إلخ . ينبغى أن نراقب : كيف أفادت البيئة المسرحية من وجود هؤلاء الأعلام فى فنهم ، ولم تعزلهم أعمالهم « الرسمية » وإنما أتيحت لهم فرص التفاعل ، ونراقب أيضا كيف كان هذا التعاون طريقا إلى الارتفاع بمستوى النصوص المختارة ، لغة ، وفكرا ، ومحتوى ، وأنها لم تكن محصورة فى مايطلق عليه « قضايا المجتمع » ، وإن لم تكن تجافيها ، لكنها ترتفع بمستوى الصياغة ، وترشح الرمز ، ومن ثم تقارب القضية الانسانية ، أو تصبح فى صميمها ، كما نشاهد فى « رسائل قاضى اشبيلية » ، و « الأشجار تموت واقفة » .

فى عام ١٩٨٣ أصدر مسرح الخليج العربى ثبتا ضخما ، بمناسبة مرور عقدين على تأسيسه (١٩٦٣ ـــ ١٩٨٣) ، وفى عام ١٩٨٦ أصدر المسرح

العربى ثبتا خاصا به بمناسبة يوبيله الفضى أو « مسيرة ربع قرن » . فى هذين الكتابين الضخمين تعريف بالعناصر المشاركة فى كل عرض قامت به الفرقة ، داخل الكويت وخارجها ، ودون أن ينص على جنسية هؤلاء المشاركين ، فاننا سنجد دلائل وحدة العمل ، وراء وحدة العاملين ، مع أنهم من أقطار مختلفة ، جمع بينهم حب المسرح ، وأن يبقى مسرحا عربيا .

٤ ــ ونصل إلى المقياس الرابع ــ الأخير ــ فى سبر درجة التفاعل بين الحركة المسرحية فى الكويت ، والحركة الشاملة للمسرح العربى ، فى وجه واحد من أوجهه ، وهو انتخاب المخرج الكويتى لنص عربى مؤلف خارج الكويت : إلى من كان يتجه ، وماذا كان ينتخب من مسرحياتهم ؟

(أ) المسرح العربى : اختار المسرحيات الاتية :

لمحمود تيمور : صقر قريش (١٩٦٢) ابن جلا (١٩٦٣) المنقذة (١٩٦٣)

لتوفيق الحكيم : فاتها القطار (١٩٦٣) عمارة المعلم كندوز (١٩٦٢) الكنز (١٩٦٤) سلطان للبيع[٢٧] (١٩٧٦) .

لعلى أحمد باكثير : مضحك الخليفة (١٩٦٣) .

لفتوح نشاطى : آدم وحواء (١٩٦٤) .

لأنور عبد الملك : ٣٠ يوم حب (١٩٧٣) .

لسمير سرحان : امبراطور يبحث عن وظيفة[٢٨] (١٩٧٤) .

لأحمد عثمان : الدينار (١٩٨٣) .

لسعد الله ونوس : رحلة حنظلة (١٩٨٥) .

(ب) واختار المسرح الشعبى من مسرحيات :

لينين الرملى : أربعة واحد[٢٩] (١٩٧٥) .

سعد الله ونوس : رأس المملوك[٣٠] (١٩٧٧) .

عبد السميع عبد الله : المتنبى يجد وظيفة (١٩٧٩) .

محمد الماغوط : المهرج (١٩٨٠) .

(جـ) أما مسرح الخليج العربى فكان أقل الفرق استعانة بالمؤلف العربى خارج الكويت ، وقد اختار :

لمحفوظ عبد الرحمن : حفلة على الخازوق (١٩٧٦) ، عريس لبنت السلطان (١٩٧٨) .

لألفريد فرج : الحلاق (١٩٨٣) .

(د) واختار المسرح الكويتى من مسرحيات :

عبد الله بركات : ناطور الدنانير (١٩٦٧) لما حصل لى بطلت أصلى (١٩٦٨) .

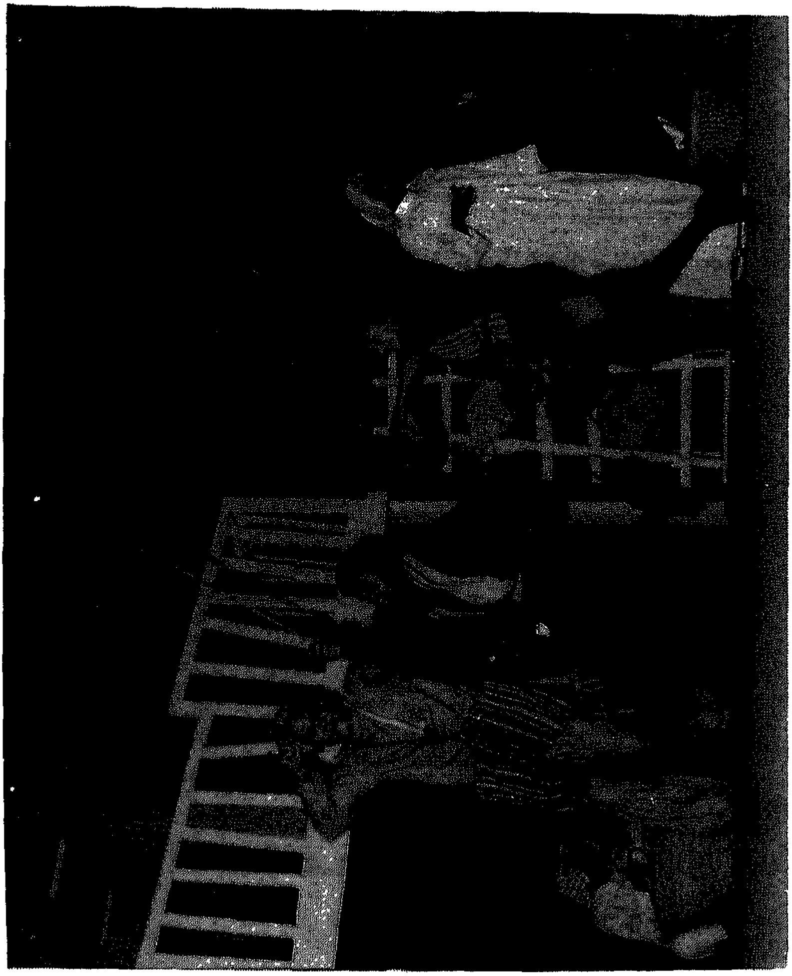
الفريد فرج : رسائل قاضى اشبيلية (١٩٦٨) .

نبيل بدران : جحا باع حماره (١٩٨٠) .

ونضيف إلى ماسبق : مسرحية « على جناح التبريزى » التى مثلتها فرقة مشتركة من الفرق ، وأخرجها صقر الرشود (١٩٧٦) وكانت خير عروض مهرجان دمشق فى ذلك العام ، وشهد الفريد فرج أن العرض الكويتى لمسرحيته أرتفع إلى مستوى الخلق والابداع ، وأنه خير صيغة لعرضها[٣١] ، ونضيف إيضا مسرحيات أختارها القطاع الخاص ، مثل : باى باى لندن ، التى حظيت بشهرة واسعة ، وهى من تأليف نبيل بدران ، ومسرحية باى باى عرب ، لنبيل بدران أيضا . كما مثل المسرح الجامعى : الفيل ياملك الزمان[٣٢] (١٩٨٤) .

هذا فضلا عما ألفه السيد حافظ لمسرح الطفل : الشاطر حسن ، وسندريلا ، وسندس ، ومحاكمة على بابا . كما ألف محفوظ عبد الرحمن مسرحية واحدة للطفل بعنوان : السندباد البحرى .

بعد هذه العملية التى توشك أن تكون إحصاء دقيقا للعلاقة بين المخرج المسرحى الكويتى ، والمؤلف المسرحى العربى (غير الكويتى) نجد أن دائرة التفاعل التى تبدأ من اختيار المخرج للنص اختارت من المؤلفين من تحقق فى مسرحياتهم المضمون الانسانى والقومى ، والنظرة التقدمية والبناء الفنى المتقن . يمكننا أن نتحاوز الاختيارات المبكرة من تيمور والحكيم وباكثير (وقد قام بها طليمات لأسباب تعليمية تدريبية تتعلق بمرحلته ، فضلا عن طبيعة المرحلة سياسيا) إن إبداعات سعد الله ونوس وألفريد فرج ، ومحفوظ عبد الرحمن ، تدخل فى صميم الرسالة الثقافية للكويت ، هى دعوات (فنية) صريحة إلى التغيير فى سبيل التقدم ، إلى تحطيم الخوف ورفض العبودية ، إلى بناء المجتمع على قيم الأصالة ، ومسئولية الضمير ، ويدخل فى هذا أيضا ما أخذ من أعمال سمير سرحان ، ونبيل بدران ، والماغوط ، ولينين الرملى ، وعبد السميع عبد الله . كانت هناك اختيارات غير هذه بالطبع ، وليس لها هذا التوجه ، استمد فيها مسرح الريحانى حينا ، وقصص بعض الأفلام القديمة حينا آخر ، وهى ليست الموجة الغالبة ، وهى أيضا حكايات للترفيه والإضحاك ، وهى لاتحمل مضمونا معاكسا أو ناقضا لرسالة الكويت الثقافية ، وهذه هى المسألة الجوهرية التى نعنى بها فى إطار التنمية الثقافية على المستوى القومى الشامل . وقد تآزرت أسماء هؤلاء المبدعين العرب مع أسماء من اختير لهم من عمد المسرح العالمى : إبسن ، وهنرى بيك ، وكاسونا ، وموليير ، ليتأكد هذا المنحى النقدى التقدمى فى حركة المسرح فى الكويت . وحين ارتضى المخرج الكويتى



وثيقة ١٤

باقتسام العرض مع مؤلف غير كويتى ، وإنما ينتمى إلى قطر عربى آخر ، فإنه كان فى هذه القسمة يمد جسرا من التفاعل ، والتفاهم ، وتوحيد المشاعر مابين قطرين من خلال تعدد الرؤى للنص الواحد ، وخلق مناخ فكرى واحد ، وذوقى متقارب بين المشاهدين العرب فى أقطار متعددة ، وهذا بدوره من صميم التنمية الثقافية العربية ، وأحد أهدافها المستقرة ، ولسنا نقول بأن هذا التوجه خاص بالكويت ، إننا نعطيه معناه ونكشف عن قيمته وأهميته ، وإن كنا نرى ــ من خلال الرصد والاحصاء ــ أنه كان الأكثر نشاطا ، وعافية فى الكويت . عن أى قطر عربى آخر .

ثانيا : حركة التأليف

لاتستطيع هذه الأسطر المحدودة ، المخصصة لرصد حركة التأليف ــ أن تتابع النشاط الفكرى فى كافة اتجاهاته ومراحله ، فمثل هذا العمل يحتاج إلى فهرسة وتبويب وتقص شامل ــ يحتاج إلى فريق من المختصين المؤهلين لأدائه . ونحن فى هذه الدراسة ــ على أية حال ، نكتفى بإقامة المؤشرات الدالة ، والتنبيه إلى الملامح الأساسية ، ولهذا يمكن أن نكتفى برصد جهود مؤسسة واحدة ، هى جامعة الكويت ، فى مرحلة محددة من تاريخ تطورها ، هى السنوات العشر الأولى ، ونرى ماذا أختار أعضاء هيئة التدريس بها من موضوعات للحصول على درجاتهم الجامعية العالية ، وماذا ألفوا بعد انتظامهم فى العمل بالجامعة . وهذا الاختيار للجامعة ، وللسنوات العشر الأولى ، فيه قدر من المصادفة وقدر من التدبير ، فقد تصادف أن أصدرت إدارة المعلومات بالجامعة سجلا شاملا يعرف بالأستاذ الجامعى الكويتى[٣٣] ، وقد أعاننا هذا السجل لاشك ، بالاضافة إلى مايتصل بالمعرفة الشخصية من كتب ومعلومات . على أن لهذه السنوات العشر الأولى أهمية خاصة ، فى اختبار المبدأ

الذى نريد استخلاصة من حركة التأليف بين باحثى جامعة الكويت ، فالمبدأ المقرر أن أية جامعة إنما تنشأ لتؤدى خدمة علمية وثقافية لقطرها بحدوده السياسية ، ولم نعرف أن جامعة انشئت لتخدم منطقة تتجاوز تلك الحدود ، إلا لأهداف سياسية أو اقتصادية ، وهى عادة لاتكون الجامعة الأولى أو الوحيدة داخل القطر . وإذاً ، فليس محلا للسؤال أن نقول إن جامعة الكويت ــ وهذا منطقى وطبيعى تماما ــ إنما أنشئت لتلبى حاجات الكويت أولا ، وقصدا . وقد كانت الكويت بلدا « مسكوتا عنه » فى مجال الدراسات العلمية والأدبية ، لانجد ــ حتى افتتاح الجامعة ــ دراسة علمية ذات منهج توثيقى واصطلاحات معتمدة عن تاريخ الكويت ، أو جغرافيتها ، أو قوانينها ، أو سياستها ، أو نظامها الاجتماعى ، أو اقتصادها ، أو مياهها أو أمراضها .. إلخ .. إلخ ، وهذا يعنى ــ من وجه آخر ، وفى هذه السنوات العشر الأولى بصفة خاصة ــ أن جميع الأبواب مشرعة ، وجميع القنوات عطشى إلى الماء ، وأن أى موضوع يختارة الباحث للماجستير أو الدكتوراه ، ويتعلق بالكويت ، سيكون بلده فى حاجة إليه ، وسيكون موضع قبول ، بل ترحيب ، بل قد يعتبر تزكية خاصة فى المشاركة العامة على مستوى الدولة ، وقيادة سعيها إلى التكوين . إن البحث « فى » الكويت مطلب أساسى فى تلك المرحلة ، وفيه ما يستغرق كل تطلعات الجيل الجامعى الأول إلى الاكتشاف والبحث وتعميق النظر وتصحيح المسار . وإذا أردنا أن نرتب الأوليات فى دوائر فان حاجات الكويت ومطالبها تأخذ بالنسبة للباحث الكويتى ، فى جامعة الكويت ، موقع مركز الدائرة ، تنداح عنها دائرة الخليج التى تتسع قليلا لتضم إليها الجزيرة العربية ، ثم تأتى دائرة الوطن العربى فى النهاية ، أو باتساع خريطته الشاملة . هذه أوليات لاتثير شكا ولاجدلا ، ويمكن اختبارها على ضوء أية جامعة واتجاه

البحوث فيها ، سواء كانت تلك الجامعة تقع فى وهران ، أو فى البصرة ، أو فى الاسكندرية ، أو فى صنعاء ، وسواء كان مجال الدراسة علميا ، أو أدبيا .. فى هذه السنوات العشر الأولى سنجد الاستجابة لمطالب الكويت واضحة ، فى كافة المجالات : الاجتماع ، والأدب ، والتربية ، والقانون ، والخدمات ، والاقتصاد ، والصناعة ، والعمالة ، والهجرة .. إلخ . كما سنجد البحث العلمى المتحرر من المكان والمرتبط به فى نفس الآن يؤدى دوره كالبحث فى الخلية السرطانية[٣٤] ، أو العلاقة بين طفيلى البلهارسيا والخلايا الدفاعية فى دم السائل الوسيط[٣٥] ، أو « طيف أشعة جاما لمستويات الطاقة فى نواة معينة » أو « دراسة احتمالات تصادم ذرات الأرجون بشعاع من الالكترونات[٣٧] إلخ إلخ ، ونحن لانستطيع استثناء مثل هذه الموضوعات المغرقة فى العلمية ، وفى الدقة ، وفى الجزئية ، من أن يكون لها انعكاس ثقافى على البيئة الخاصة ، والبيئة العربية الشاملة ، كما لانستثنى الاهتمام بالإقليم فى تكوينه البشرى ، فهذا التكوين جزء من الكل العربى ، وتنمية المجتمع المحلى هو عائد بالضرورة إلى المجتمع الشامل ، والكويت التى حملت أرضها من العرب الوافدين أكثر مما حملت من أبنائها ، أحق بأن توصف الدراسات الخاصة بها ، بأنها ذات مردود عربى شامل لهذه الصفة الخاصة بها ، أو هى صادقة عليها أكثر مما تصدق على غيرها .

مع هذا فإننا نؤثر من مؤلفات هذا الرعيل الجامعى الأول ما اتخذ موضوعه من التراث ، أو من قطر عربى آخر ، أو قام منهجه على الموازنة بين الكويت وقطر عربى آخر ، باعتبار أن المردود يتصل مباشرة دون وسيط إلى المواطن العربى فى « الموقع الآخر » .

سنجد ــ أولا ــ أن التوجه إلى التراث العربى الإسلامى شامل ، يضم الأدب إلى التاريخ ، والجغرافيا ، وأصول التشريع والقانون والاقتصاد . بل إن

التراث يختبر على ضوء احتياجات وخطط التنمية فى المستقبل . وهذه أمثلة وإرشادات :

الدكتور عبد الله المهنا : الرثاء فى الشعر العربى القديم ، وتحقيق كتاب ارتياح الأكباد للسخاوى (جامعة كمبردج ١٩٧٥) .

الدكتوره سهام الفريح : ابن قلاقس الاسكندرى : دراسة فنية وتحقيق ديوانه (جامعة القاهرة ١٩٧٩) .

الدكتور سليمان الشطى : شروح المعلقات (قديما وحديثا) (جامعة القاهرة ١٩٧٨) .

الدكتور زيد عبد الله الزيد : أسرة بنى المنجم وتاريخها الأدبى فى العصر العباسى (جامعة مانشستر ١٩٧٩) .

الدكتورة منيرة الرشيد : أسرة أبى حفصة وشعراؤها (مابين الأمويين والعباسيين) دراسة فنية (جامعة مانشستر ١٩٨٠) .

الدكتور يوسف الحشاش : دراسة وتحليل لكتاب الاحاطة فى تاريخ غرناطة للسان الدين بن الخطيب (جامعة مدريد المركزية ١٩٧٩) .

الدكتورة حياة ناصر الحجى :عصر الناصر محمد بن قلاوون (الكلية الملكية ـــ جامعة لندن ١٩٧٥) .

الدكتور عبدا لله يوسف الغنيم : أشكال سطح الأرض فى شبه الجزيرة العربية ، كما وردت فى المصادر العربية القديمة (جامعة القاهرة ١٩٧٦) .

الدكتور أحمد ضاعن السدان : العقود : دراسة مقارنة بين القوانين العربية ، ومبادىء الاسلام (جامعة ديوك الامريكية ١٩٨١) .

الدكتور مبارك النويبت : الدعوى الجنائية (بحث مقارن بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعى) (جامعة الأزهر ١٩٧٣) .

الدكتور خالد المذكور :ابن أبى زيد القيروانى وأثره فى الفقه المالكى : دراسة مقارنة (جامعة الأزهر ١٩٧٨) .

الدكتور عجيل النشمي : الفصول فى الأصول للجصاص : تحقيق ودراسة فى أصول التشريع الإسلامى (جامعة الأزهر ١٩٧٧) .

الدكتور أحمد مبارك البغدادى : الفكر السياسى لأبى الحسن الماوردى (جامعة ادنبرة ــ اسكتلندة ١٩٨١) .

الدكتور خالد محمد بدوى : تحديد وتوزيع الأرباح فى المؤسسات التى تقوم على أساس المشاركة فى الأرباح (البنوك والشركات الاستثمارية الإسلامية اللاربوية (جامعة ميسورى الامريكية ١٩٨٠) .

الدكتور صادق اسماعيل : فلسفة إخوان الصفا التربوية فى القرن الرابع الهجرى (جامعة هارفرد ١٩٧٤) .

هذا مايتعلق بمحور « التراث » (وقد تندّعنا دون قصد بعض الأسماء وبعض الجهود) ويمكن أن نضيف إليه جهود الذين حصلوا على الدكتوراه فى النحو ، (هناك على الأقل الدكتور يوسف المطوع ، والدكتورة وسمية المنصور) لكننا نفضل أن نبقى فى دائرة « حرية اختيار الموضوع » فدارس النحو ليس له مندوحة عن العودة إلى الماضى ، وليس كذلك الذين توجهوا إلى التراث الأدبى ، والجغرافى ، والتربوى ، والتشريعى ، وحتى النظام المحاسبى وإدارة الأعمال . هكذا قدمت هذه المؤسسة (جامعة الكويت) خمسة عشر دكتورا ، اختاروا تراث أمتهم العربية الإسلامية طواعية ، وأقرتهم النظم العلمية على الاختيار ، وكان لهم هذا الانجاز الذى يستحق التقدير . وقد تتشعب اهتمامات عضو هيئة التدريس ، وهذا حقه بل جزء من طبيعة المعرفة المتجددة ، ولكننا سنجد الرغبة فى تعميق الخبرة الخاصة مستمرة ، عاما بعد عام ، على

سبيل المثال : يهتم عبد الله المهنا بفنون الشعر القديم ، فيترجم دراسة مرجليوث ـــ التى نعرف كم أثارت من الضجة حين ألف طه حسين كتابه عن الشعر الجاهلى) .

وتستمر حياة الحجى فى عنايتها بعصر المماليك ، فى مكوناته ، وعلاقاته الخارجية ، وكبار رجالاته . ويواصل عبد الله الغنيم عنايته بالتراث الجغرافى فيعرف بـ : « مصادر البكرى ومنهجه الجغرافى » ويستخلص « جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك » ويضم خبرة إضافية للمشتغلين بالتراث (الجغرافى خاصة) حين يقدم بيليوجرافيا شاملة عن « المخطوطات الجغرافية فى المتحف البريطانى » . ثم نخلص إلى محور آخر ليست له عمومية التراث ، كما أنه لا يقف عند حدود الإقليم (الكويت) إنه يختار موضوعه محددا بقطر آخر ، يجرى عليه دراسته ، أو يقيمها على دراسة مقارنة بين قطرين أحدهما الكويت ، أو قطرين أحدهما عربى والآخر غير عربى . وهذه أمثلة وإشارات :

الدكتورة رشا حمود الصباح : صورة العرب فى الأدب الايطالى فى العصور الوسطى (جامعة بيل الأمريكية ١٩٧٧)

الدكتور طارق عبد الله : تأثير الأدب الإنجليزى (من خلال كولردج ووردذورث) على الأدب العربى (من خلال عبد الرحمن شكرى) (جامعة نيويورك ١٩٧٧)

الدكتورة نجاة عبد القادر القناعي : العثمانيون والقسم الشمالى من شبه الجزيرة العربية) (جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٧٦)

الدكتورة فتوح الخترش : العلاقات السياسية السعودية اليمنية (جامعة الكويت ١٩٧٥)

الدكتور داود سليمان العيسى : النظريات المتعلقة بأعمال السيادة فى القانون الفرنسى ، وفى قوانين بعض الدول العربية (جامعة رين بفرنسا ١٩٨٠)

الدكتور عادل الطبطبائى : النظام الاتحادى فى الإمارات العربية (دراسة مقارنة) (جامعة عين شمس ١٩٧٨)

الدكتور على ذياب المشوط : متداخل الحلقة ، الطائف ، المملكة العربية السعودية ، (دراسة جيولوجية لمنطقة متداخل الحلقة) (جامعة وسكونسن الأمريكية ١٩٧٧)

وللدائرة الخليجية خاصة أمثلة وإشارات تمتد ما بين الماضى السحيق ، إلى الراهن والمستقبل .

الدكتور سليمان سعدون البدر : دراسة تاريخية لمنطقة الخليج العربى والحضارات التى نمت على شواطئه أثناء الألف الرابع قبل الميلاد (جامعة الاسكندرية ١٩٧٦)

الدكتورة نورية صالح الرومى : الحركة الشعرية الحالية فى الخليج العربى (بين التقليد والتطور) (جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٧٩)

الدكتور شملان يوسف القناعى : تأثير سياسة النفط والتسلح على علاقات الولايات المتحدة بدول الخليج (جامعة فلتشر الأمريكية ١٩٧٨)

الدكتور عبد المالك التميمى : التبشير فى منطقة الخليج العربى (جامعة درهام ـــ بريطانيا ١٩٧٨)

الدكتورة بدرية العوضى : الجوانب القانونية لمنع تلويث البحار بالزيت ، مع الإشارة بصفة خاصة للخليج العربى (جامعة لندن ١٩٧٥)

وتتسع الدائرة لتشمل الوطن العربى ، أو الشرق الأوسط ، أو نمط الدولة النامية ، بدءا بالكويت :

الدكتورة كافية جواد رمضان : تقويم قصص الأطفال فى الكويت ، مقارنة بقصص الأطفال فى الوطن العربى ، ومصر خاصة (جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٧٨)

الدكتور خلدون النقيب : تغير الأنماط فى المجتمع فى الشرق الأوسط (الكويت كنموذج) (جامعة تكساس ـــ أوستن ١٩٧٦)

الدكتور فيصل سالم العلى السالم : الأبعاد الإكولوجية لإدارة التطور فى الدول النامية (جامعة تكساس ١٩٧٣)

وبعد ، فهذه « قائمة » أخرى من خمسة عشر دكتورا ، درسوا خمسة عشر موضوعا إننا لم نرد أن يكون العدد مساويا تماما لأولئك الذين اتخذوا من التراث موضوعا ، أو منطلقا للموازنة ، أو المقارنة ، أو الامتداد إلى المستقبل ، ودليل ذلك أننا لم نضمن هذه « القائمة » اسم الدكتور محمد الرميحى ، لمجرد أن السجلّ المشار إليه آنفا لم يحدد موضوع الدكتوراه ، (التى نالها من جامعة درهام ـــ بريطانيا ١٩٧٣) ونحن نعرف نشاطه المتجه إلى الخليج فى دراساته المتعددة [٣٨] ، ولكن هكذا أملى واقع الحال العلمى فى بعثات جامعة الكويت ، عبر السنوات العشر الأولى من مسيرتها الناجحة ، وبالطبع هناك أضعاف هذا العدد لا نجد ضرورة الإشارة إلى تخصصاتهم (ذكرنا إحصاء لهم فى فصل سابق) إذا اقتصرنا على من نرى أن لهم علاقة مباشرة بالتنمية الثقافية على مستوى العربى ، وكانت تلك بداياتهم حين اتجهوا إلى الدراسة العليا ، ولقد أختلفت بهم سبل تنويع المعرفة أحيانا ، وتعمقت فى نفس الاتجاه أحيانا

أخرى ، كما نلاحظ فى أبحاث محمد الرميحى ، وفتوح الخترش ، وبدرية العوضى بصفة خاصة ، كل فى مجال تخصصه (٣٩) . إن هذه الدراسات ـــ على تنوعها ـــ وقد نشرت فى كتب ، وترددت أفكارها فى مؤتمرات وندوات على مساحة الوطن العربى ، واستخدمت كمصادر فى دراسات أخرى مستجدة أجريت خارج الكويت ، لابد أن تحتسب ضمن عوامل التفاعل الفكرى والبحثى ، والتنمية الثقافية للوطن العربى . إن الباحث قد نال بها درجته العلمية ، هذا مما لاشك فيه ، ولكننا لا نملك تجريده من نبالة القصد ، ورحابة الفكر ، وعروبة التوجه ، وهو يؤثر اختيار هذا الموضوع بعينه ، على موضوعات أخرى ، كان يمكنه أن ينال بها الدرجة والوظيفة أيضا ، ولعلها كانت أقل عناء وأسرع استجابة ، غير أننا لا نملك إلاّ الشعور العميق بالتقدير ، لباحث كان يفكر فينا جميعا وهو يروض موضوع أطروحته ، ويكتشف منهجه ، ويعانى فى صياغته ، واستخلاص نتائجه . إن هذا يعنى ـــ فى النهاية ، من بين ما يعنيه ـــ أن حب الكويتيين لوطنهم الكويت ، الذى يبدو لغيرهم مبالغا فيه ، أو متجاوزا ، كان شعورا عميقا فى القلب ، وانتماء إيجابيا للحرص عليه . ولكنه لم يكن أبدا تحديدا لإقامة الولاء القومى ، ولم يكن أبدا اعتقالا لحرية الفكر واتساع آفاق البحث العلمى .

ثالثا : بناء الانسان

ونحن نشعر بما فى هذا العنوان من عمومية ، تجانب التحدد ، ربما ساعد على هذا الإسراف فى استخدام هذا التعبير فى خطب السياسيين ، دون أن يعنى شيئا محددا ، أو أهدافا تسوق إليها خطط مدروسة . وقد كان فى ضميرنا ـــ وفى تصورنا المنهجى ـــ أن تخصص هذه الفقرة لصحافة الكويت ، باعتبارها وجها من أوجه التواصل القومى ، وعلامة على « اختيار الانتماء » لدى الأفراد

والجماعات ، (وهو ما نعنى به فى هذا الفصل) لكن الصحافة الكويتية ، مع وفائها لما نصفها به ، ليست إلاّ جانب من جوانب بناء الإنسان فى ذاته ، وفى تواصله مع الآخرين . وإذا كان التعليم (بما فيه الجامعة) والإذاعة والتليفزيون من بين « أجهزة الدولة » التى ترسم سياساتها ، وتموّلها ، وتشرف عليها ، فإننا سنتوقف لنقدم تعريفا موجزا « بالأجهزة » الشعبية التى تشارك فى صنع الرسالة ذاتها ، مستندة إلى سياستها الخاصة ، معبرة عن إرادتها الحرة (حتى وإن يكن بعضها معانا من الدولة ممثلة فى وزارة الشئون الاجتماعية) وهذا يشمل ـــ إلى جانب المسرح ، وقد بيناه ـــ الصحافة ، وجمعيات النفع العام ، والنوادى الرياضية ، والفنية .

لا تتسع هذه الأسطر لذكر شىء عن « الظاهرة الصحفية » فى الكويت ، فلها امتداد تاريخى يرجع إلى عام ١٩٢٨ ، ولها حضور قوى على امتداد الوطن العربى ، ولعل الصحافة الكويتية ـــ مع الصحافة اللبنانية فى زمن ازدهارها ـــ تكون الوحيدة التى تصدر موجهة حديثها إلى ، ومعبرة فى محتواها عن الأمة العربية كلها . إنها تحتفظ بمكاتب دائمة ـــ وليس مجرد مراسلين ـــ فى عدة عواصم عربية ، ولهذه المكاتب اهتمام بأخبار الكتب والأعمال الفنية ، وما ينشر حولها من دراسات . كما أن حجم متابعات السياسات العربية يأخذ مدى واضحا فى كل صحيفة ، وهذا متوقع فى تكوين سكانى محدود ، يتلقى كل صباح سبع جرائد عربية يومية : الرأى العام ، والسياسة ، والقبس ، والأنباء ، والوطن ، أضيف إليها الآن : صوت الكويت الدولى ، والفجر الجديد ، فضلا عن جريدتين بالانجليزية والأوردية ، هما : آراب تايمز ، وكويت تايمز . أم المجلات الأسبوعية والشهرية والفصلية فتصل إلى سبعين مجلة ، فى مقدمتها : النهضة ، أسرتى ، الرسالة ، الرائد ، الهدف ، الطليعة ، اليقظة ، الملاعب ، عالم الفن ، المجتمع ، مرآة الأمة ، البيان ، الوعى الإسلامى . . الخ .. الخ ..

وهذه جميعا تتوجه إلى المواطن فى الكويت ، كما تتوجه بمحتواها إلى المواطن العربى فى الكويت ، وفى موقعه من الخريطة الشاملة ، وهذا التوجه يتجاوز لغة الخطاب ، وطريقة التفكير ، إلى المحتوى ذاته ، ولهذا ـــ وهذه ملاحظة خاصة ـــ سنجد قارىء الصحافة المقيم فى الكويت أو يستديم الاطلاع على صحفها ، أكثر معرفة وإحاطة بالكتاب والأدباء والمفكرين ، والكتب ، والمسرحيات ، والفنانين ، والعلماء والمخترعين والسياسيين ، والقضايا المعلقة ، والمشكلات المزمنة ، والتجمعات والجمعيات العربية ، فى أى قطر كانت من الأرض العربية ، هو أكثر معرفة من أى مواطن عربى آخر فى موقع آخر ، وهذا قول لا نرسل فيه الزعم إرسالا ، وإن دليله قائم حين نقلب أى صحيفة تصدر فى الكويت يومية أو أسبوعية أو شهرية . وبالمثل فإن جمعية الصحافيين الكويتية التى تضم (١٢٥ عضوا كويتيا)[٤٠] تضم نحو ضعف هذا العدد من العاملين فى التحرير ـــ من غير الكويتيين ، ومثلهم من الفنيين . ولسنا بسبيل ما تقدمت به صحافة الكويت من استخدام وسائل الاتصال ، والصدور خارج البلاد (فى لندن مثلا) والطباعة الحديثة ، والألوان ، فهذا نجاح مهنى خاص لا يتصل بما نحن فيه اتصالا مباشرا ، ولكننا سنذكر لها استقلال رؤيتها وجرأتها فى إفساح صفحاتها للمعارضة حينا ، ولمن يكون التيار الغالب ضدهم حينا آخر ، فتستمع ـــ على سبيل المثال ـــ لشاه إيران وتحاوره فى وقت ظهرت أطماعه فى الخليج بازغة ، وتجرى مقابلات مع السادات ، والسياسة المعلنة والمطبقة لدولة الكويت هى مقاطعته . وفى مجال السياسة الداخلية ، ونقد الأجهزة الحكومية ، فيمكن العودة إلى كتاب « صحافة الكويت : رؤية بين الدوافع والنتائج[٤١] » ، وسنجد من خلال توجيه الاتهام ، ومرافعات الدفاع فى قضايا وزارة الإعلام مع بعض الصحف نوعية الأخبار والتحليلات التى نشب النزاع بسببها .

تنتشر فى صحافة الكويت كتابة الخواطر اليومية القصيرة ، فى نصف عمود أو أقل ، تحت عنوان ثابت ، وهذه نماذج لعناوين بعضها : « فى الصميم » ، « صباح الخير » ، « بينى وبينك » ، « محطة » ، « يوم ويـوم » ، « بلا عنوان » ، « ليس إلاّ » ، « زووم » ، « شرباكة » ، « قبس محلى » ، « على الدرب » ، « بلا قناع » ، « مناظر » ، « الله بالخير » ، « حوار الطرشان » ، « يا ألطاف الله » ، « شطحات » .

ولهذا دلالته على حميمية المتابعة لكل ما يجرى فى الوطن ، وللعلاقة « الخاصة » مع القارىء .

أما جمعيات النفع العام فهى متعددة تعدد أنساق العمل واختلاف المهن فى الكويت ، ويمكن تحديد ٣٢ جمعية ، هدفها خدمة أعضائها ، أو تقديم الخدمات العامة . ومن النوع الأول : جمعية المهندسين الكويتية ، جمعية المحامين الكويتية ، جمعية المعلمين . . إلخ .. ولكن النوع الثانى هو الأكثر انتشارا ، واتصالا بما نحن بسبيله من اكتشاف جسور التواصل مع الوطن العربى ، بهدف التنمية الثقافية . نذكر فى هذا المجال :

١ ــ جمعية الجنوب والخليج العربى :

وقد تم إشهارها فى ١٠ / ٣ / ١٩٦٣ ، وأهدافها ــ كما حددتها لائحتها ــ (أ) مساعدة طلبة الجنوب والخليج العربى فى مختلف معاهد التعليم فى الكويت ، وسائر الدول العربية والأجنبية .

(ب) التعاون مع الهيئات المهتمة بالشئون الثقافية والاهتمام بالرعاية الاجتماعية ، وإرسال الطلبة فى بعثات تعليمية ، وفقا للشروط والأحكام التى يقررها مجلس الوزراء .

فهذه الجمعية ، كما نرى ، هى الوجه « الشعبى » لنشاط الهيئة العامة للجنوب والخليج العربى . فهذه الهيئة تمارس خدمتها الثقافية « هناك » والجمعية تؤدى نفس الرسالة ، وتبذل نفس الرعاية ، « هنا » فى الكويت ، وتلتقى « هناك » و « هنا » فى توجيه الطلبة إلى التعليم فى بعثات للخارج .

٢ ــ جمعية صندوق التعليم العالى للاجئين العرب :

وقد تم إشهارها فى ١٩٦٣/٤/٢٤ ، وتنحصر رسالتها فى أهدافها المعلنة ، وخلاصتها : توفير فرص التعليم والتحصيل الجامعى ، وما فوقه ، والتخصص العلمى والنظرى والمهنى للطلبة اللاجئين العرب ، وفقا لأحكام قانون الصندوق وأنظمته .

وقد نصت أهداف الجمعيات الأخرى ، مثل رابطة الأدباء ، وجمعية الخريجين الكويتيين ، والجمعية الكويتية للفنون التشكيلية ، ورابطة الاجتماعيين ، نصت أهدافها على رعاية أفراد المجتمع (فى الكويت أصلا) والعمل على تنمية العلاقات بين أعضاء الجمعية وأندادهم فى الأقطار العربية ، ولم يكن هذا المحور الأخير مجرد نص يعبر عن « وجاهة » أو « أمنية » ، لقد أعمل هذا النصّ دائما ، وقد كانت وفود رابطة الأدباء تجوب العواصم العربية ، فى إطار سياسة « الأسابيع الثقافية » التى شهدتها الجزائر ، والمغرب ، وتونس ، وطرابلس ، وبغداد ، وعدن ، وصنعاء ، والقاهرة ، الخ .. الخ . كما أسهمت جمعية الخريجين بإقامة ندوات وتنظيم مؤتمرات ، بالتنسيق مع المجلس الوطنى للثقافة (مؤتمر : قضايا تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى) وبالمشاركة مع جامعة الكويت (مؤتمر : أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى) ، وقد كان لها موسمها الثقافى ، كما كان لرابطة الأدباء موسمها ، وأمسياتها الشعرية ، واستضافتها للمفكرين والأدباء والشعراء العرب ، وقد كانت صفحات مجلتها

« البيان » تعبيرا عن نظرتها المتوحدة المتكاملة للأدب والفكر والشعر فى الأقطار العربية ، ولم تكن « البيان » تعتمد على ما يوافيها به بريد الأدباء من بحوث ودراسات ، بل كانت تستكتب الأقلام التى ترى أنها تؤدى خدمة للثقافة العربية ، وتتخذ لها مراسلين دائمين فى عواصم الثقافة العربية . كما كان لرابطة الاجتماعيين موسمها ، ومنهجها ، الذى نتخذ الوقوف عند بعض مفرداته مؤشرا على نشاط هذه الجمعية ، وسائر الجمعيات كذلك :

فى فصل سابق أشرنا إلى المواسم الثقافية فى الكويت عبر الخمسينيات ومدى ما كان لها من رواج واسع ، وكيف كوّنت دائرة تفاعل بين المثقف العربى القادم إلى الكويت ، وجمهور الندوات المتنوّع فى العاصمة وما حولها ، ورأينا كيف كان ينتقى هؤلاء المحاضرون من أقطار عربية مختلفة ، ومدى اتساق موضوعات محاضراتهم مع التوجهات الأساسية (المقبلة) لرسالة الكويت الثقافية . وقد كانت هذه المواسم من صنع دائرة المعارف (وزارة المعارف ، ثم وزارة التربية فيما بعد) وفى هذا الفصل نرصد الظاهرة نفسها (الندوات) والاتجاه ذاته (التأصيل والتنوير والاستعداد للمستقبل) فى نشاط الجمعيات الأهلية ، لنكشف على ضوء هذا الرصد تناغم الجهود ، وتكامل العمل ، وثبات الهدف ، ولأنه ليس فى مكنة هذه الدراسة أن تتابع كافة الجهود فى هذا المضمار ، ولعله ليس مطلوبا منها كذلك ، فإنها تكتفى بالتعريف بأنشطة جمعية واحدة هى « رابطة الاجتماعيين » فى فترة زمنية محدودة ، نختارها عشوائيا ، هى عامى ١٩٧١ ، ١٩٧٢ (أو الموسم الثقافى الرابع ، والموسم الثقافى الخامس بالنسبة لنشاط الرابطة)[٤٢] . ورئيس الرابطة ـــ فى ذلك الوقت ـــ الأستاذ عبد العزيز الصرعاوى ، الذى عمل وكيلا لوزارة الشؤون الاجتماعية ، ثم وزيرا للبريد والبرق والهاتف ، ثم سفيرا للكويت فى المملكة

المغربية ، وقد ترك فى كل موقع شغله ما يؤكد إيجابيته واحترامه للفكر والثقافة . وفى هذين الموسمين المشار إليهما ، كان يقوم بتقديم المحاضرة الأولى (افتتاح الموسم) ويعطى من خلال محاضرته حدود ومؤشرات المحور الذى ستدور حوله محاضرات الموسم ، وهى ثلاث وعشرون محاضرة ، وهذا يعنى أنها ــ وهى تقدم أسبوعيا ــ تغطى نحو ستة أشهر من العام .

ليس مصادفة أن موسم ١٩٧١ تجمع حول محور أساسى هو « التراث العربى الإسلامى » وهو محور ثابت فى كافة مستويات الخطاب الثقافى الكويتى ما بين الندوات والمؤتمرات ، وعالم الفكر ، وعالم المعرفة . أما الموسم التالى ــ ١٩٧٢ ــ فعقد حول « المجتمع العصرى واحتياجاته » ، وكما أشرنا فى فصل سابق أن التفاعل مع العصر واجتناء إيجابياته ، وتوقّى انحرافاته هدف ثابت من أهداف الرسالة الكويتية . ونسجّل هنا ملاحظتين : أن محاضرة افتتاح الموسم ١٩٧١ التى ألقاها الأستاذ الصرعاوى ، وكانت تحت عنوان : « نحو مستقبل أفضل أو : الدعوة إلى النظر فى تراثنا العربى الإسلامى وإحيائه » كانت جسرا ممتدا إلى عنوان المحور الذى دارت حوله جهود المحاضرين فى الموسم التالى وهو « المجتمع العصرى واحتياجاته » ، كما هو واضح فى اختيار العنوان ، وهو مما يؤكده المحتوى حين نعود إلى نصّ المحاضرة . الملاحظة الثانية أن كل محور من المحورين يضع الوطن العربى على امتداده فى الاعتبار الأول ، فتطرح قضاياه فى تصورات نظرية حينا ، وطابع تطبيقى شامل حينا آخر ، كما يضع الكويت فى خط مواز يلبى احتياجاتها المحددة تحت نفس العنوان . ويتحقق هذا التوازن بين القومي والمحلى من خلال اختيار المحاضرين والمشاركين فى الندوات (بعد اختيار عنوان المحاضرة أو الندوة بالطبع) كما أنه يراعى التركيبة السكانية فى الكويت ، واتجاه الاهتمام ، وحجم الارتباط بالموضوع لدى جمهور هذا المستوى من المحاضرات والندوات .

عن التراث العربى الإسلامى عقدت خمس محاضرات ، وندوة واحدة ، فهناك إذاً ست إطلالات على الموضوع نفسه :

١ ـــ نحو مستقبل أفضل ، أو : الدعوة إلى النظر فى تراثنا العربى الإسلامى وإحيائه : الأستاذ عبد العزيز الصرعاوى

٢ ـــ دور التراث العربى الإسلامى فى تدعيم القومية العربية : الدكتور محمد ناصر

٣ ـــ التراث العربى والفلسفة الإسلامية : الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة .

٤ ـــ دور بعض الشخصيات العربية فى ريادة الفكر الإسلامى : الدكتور زكى نجيب محمود

٥ ـــ أثر العرب فى حضارة الغرب والعالم : الدكتور شاكر مصطفى .

٦ ـــ [ندوة] دور الجامعات والمراكز الثقافية فى إثراء التراث العربى والإسلامى ، لمواكبة التقدم العلمى والتكنولوجى : الأستاذ إبراهيم الشطى ـــ الدكتور يعقوب الغنيم ـــ الأستاذ أنور النورى .

المشاركون جميعا من أساتذة جامعة الكويت ، أو قياداتها الإدارية ، وهذا يكشف بدورة عن تفاعل البنى الثقافية وقوة حضور الجامعة كمؤسسة ثقافية فى التكوين العام ، وهم من الكويت وسورية والعراق ، ومصر .

أما المحور التكميلى ـــ فى نفس الموسم الثقافى ـــ فقد خصص للرعاية الاجتماعية فى الكويت ، وقد تشعب فى اتجاهات الرعاية الاسكانية ، وتنمية الموارد البشرية ، ورعاية الشباب والطفولة .. إلخ .

أما الموسم الخامس (١٩٧٢) وقد عقد حول « المجتمع العصرى واحتياجاته » فقد مزج بين الفكر النظرى الفلسفى ، وصورة المجتمع العربى ، وصورة المجتمع الكويتى بخاصة فى محاضرات وندوات متعاقبة (٢٣ محاضرة وندوة) تحدث فيها أعلام مشهود لهم فى تخصصاتهم ، منهم : الدكتور زكى نجيب محمود ، الدكتور توفيق الطويل ، الدكتور وحيد رأفت ، الدكتور رمزى الشاعر ، الدكتور نور الدين حاطوم ، الدكتور اسكندر النجار ، الدكتور سعد عبد الرحمن . ومن شباب العلماء فى الكويت الدكتور حسن على الإبراهيم (أول رئيس كويتى لجامعة الكويت) والأستاذ أحمد على الدعيج ، مدير مجلس التخطيط .. وغيرهم .

لقد طرحت مطالب العصرية غير محصورة فى الاحتياجات الآنية المرحلية ، أو المستقبلية القريبة . هناك الماضى أيضا : ماذا نستبقى منه ؟ بعبارة أخرى : ما مدى احتياج واقعنا ومستقبلنا إليه . وهناك المستقبل الذى يعد الراهن خطوة حتمية لبلوغه . أما احتياجات المجتمع العصرى فقد تم تناولها من خلال مفهوم العصرية ، والخصائص الحضارية ، والنظم السياسية ، والسياسة التربوية ، والخدمة التطوعية الأهلية ، ومستقبلية التشريع ، والنمو الحضرى ، والإنجازات العلمية المعاصرة وأثرها على الإنسان .

ونستكمل صورة النشاط الثقافى الشعبى بإشارة تتعلق بالفنون التشكيلية ، ولها نشاط واضح ، ومستوى مرموق ، مما يجذّر علاقة الكويتى بالفن ، وبالفن التشكيلى بصفة خاصة . نكتفى — فى هذا التعريف الموجز — أن نعرض بعض صفحات كتاب الفنان « عبد الرسول سلمان » : « بداية مسيرة الفن التشكيلى فى الكويت » (وقد صدر عام ١٩٧٥ ، فتعريفاته تقف عند هذا الحد) وقد نشر من شهادات النقاد فى الصحف الفنية ، والمختصين المترددين على معارض

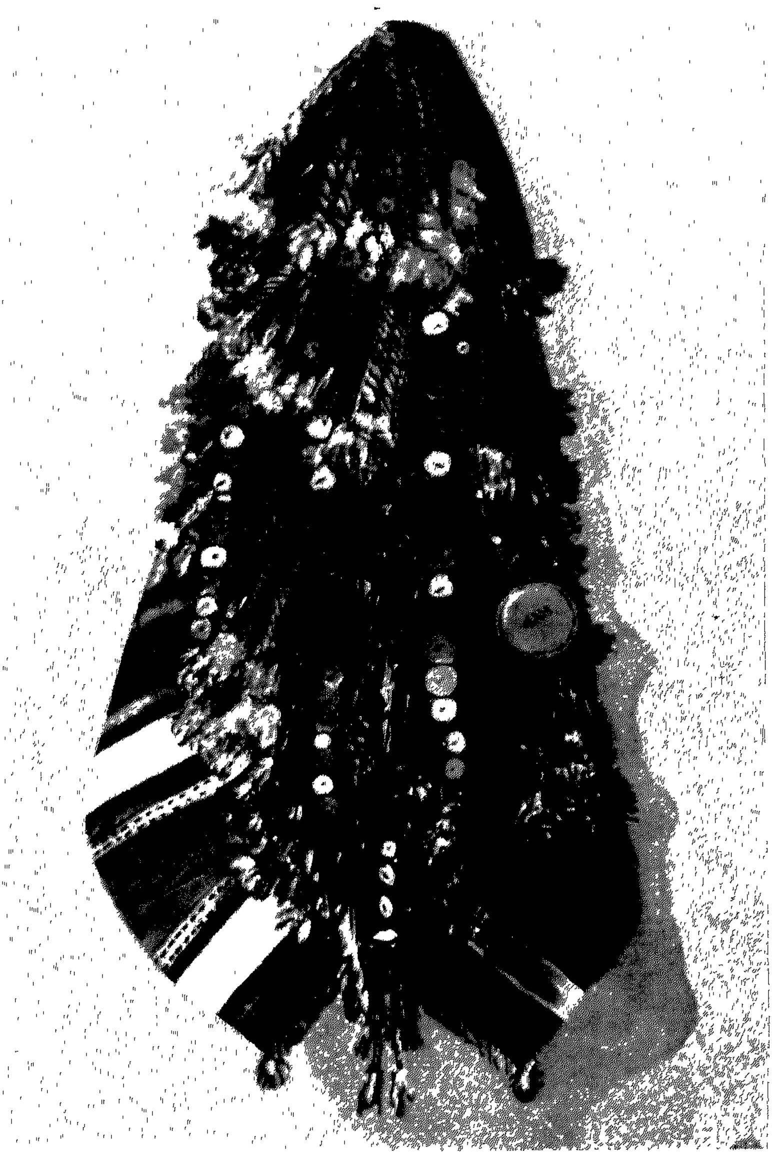
الفن التشكيلى التى تقام دوريا فى الكويت ، وخارجها ، بل نشر من لوحات وتماثيل الفنانين ، ما هو بذاته شهادة على تميزهم ، وأصالتهم . حين كانت أمور الفن فى رعاية وزارة التربية ، دأبت على إقامة « معرض الربيع » سنويا ، وعلى استضافة أعمال منتخبة لبعض التشكيليين العرب فى المعرض ، وقد أرسلت وزارة التربية عددا غير قليل من الفنانين الهواة فى بعثات إلى الخارج (العربى ، والأوربى) وأتاحت لكل منهم أن يتلقى فنه وينظم معرفته بالأسلوب الذى يناسبه ، ولهذا سنجد من لازم الدراسات الحرة ، ومن حصل على درجات عاليه من أعرق معاهد الفن فى القاهرة ، ولندن ، وروما على التحديد .

أما تنظيمات الفنانين فى الكويت فقد بدأت بالمرسم الحر ، ثم تبلورت بإنشاء الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية (عام ١٩٦٧) ولم تكن هذه الجمعية حجرا أو احتكارا ، فهناك جمعيات أخرى لها إسهامات فنية غير منكورة . وبعد إنشاء المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، صار السند الأكبر للجمعية ، ولحركة الفن فى الكويت ، باقتنائه للمتميز من إبداعاتهم ، وحفظها ، وإقامة المعارض ، واستضافة الفنانين من خارج الكويت ورعاية معارضهم .

وقائمة أسماء التشكيليين فى الكويت ممتدة ، ولكنها لن تغنى عن مشاهدة أعمالهم ، من أشهرهم : معجب الدوسرى ، أحمد زكريا الأنصارى ، أيوب حسين ، خليفة القطان ، طارق السيد فخرى ، محمود الرضوان ، عيسى صقر ، عبد الله القصار ، عبد الحميد اسماعيل ، خالد العقود ، جواد جاسم ، أمير عبد الرضا ، محمد الدمخى ، بدر القطامى (وقد صدر عنه كتاب خاص يحوى عددا من أشهر لوحاته) عبد الله سالم ، سامى محمد ، خزعل عوض ، إبراهيم إسماعيل ، عبد الرسول سلمان ، ساميه السيد عمر ، يوسف القطامى ،

صبيحة بشارة (وهى تكتب القصة القصيرة أيضا ، وصدر لها مجموعتان) نسرين عبد الله ، أحمد عبد الرضا .

سنجد تنوعا فى استخدام الأداة ، ما بين رسم ، ونحت فى الخشب ، وفى الحجر ، وطرق للحديد ، والنحاس الخ . كما سنجد توجها إلى التراث العربى والإسلامى ، يتنفس فى الوحدة الزخرفية ، وتكوينات الخط العربى ، ورسم الشخصيات التاريخية العربية مثل شخصية طارق بن زياد ، وشجرة الدر ، وسيدنا بلال مؤذن الرسول . كما نجد الحداثة ومحاولة ابتداع أسلوب خاص ، كما نجد فى السيركلزم ، أى الدائرة ، أو « التدويرية » كوحدة فى التشكيل ، التى آثرها الفنان بدر القطامى ، وعرف بها .



وثيقة ١٥



وثيقة ١٦



وثيقة ١٧

الهوامش والمراجع

١ ــ عبد الكريم برشيد منظر المسرح الاحتفالى ، وأحد عمد الإبداع فى المغرب ، والاقتباس من دراسته عن « المسرح والتخطيط المستقبلى له ، فى إطار الثقافة العربية » وقد نشرت ضمن بحوث : « الخطة الشاملة للثقافة العربية » : حـ ٣ ص ٣٩٠ .

٢ ــ هنا فى الكويت أربع فرق أهلية معانة من الدولة : المسرح العربى ، المسرح الشعبى ، مسرح الخليج العربى ، المسرح الكويتى . ثم هناك المسرح الجامعى ، والمسرح التابع للمعهد العالى للفنون المسرحية . وبعد هذا توجد مسارح القطاع الخاص ومن أهمها : مسرح الناس ــ المسرح الجديد ــ مسرح الفنون ــ المسرح الكوميدى ، مسرح السور ، المسرح الأهلى ــ مؤسسة الفنانين ــ المسرح الحر ــ مسرح السلام ــ مسرح الأمل ــ مسرح الشباب ــ مؤسسة البدر .

فهذه ثمانىَ عشرة فرقة ، تختلف مستوياتها ، كما يختلف حجم نشاطها ، وقد تخصصت أربع منها فى « مسرح الطفل » فكان الرواج شاملا بحق . .

٣ ــ عبد الرحمن بن زيدان : أسئلة المسرح العربى ــ ص : ١٨٧ ، ١٨٨ (الناشر : دار الثقافة بالدار البيضاء عام ١٩٨٧ وهذا الاقتباس مقدمة لدراسة نقدية لمسرحية « ضاع الديك » للكاتب عبد العزيز السريع .

٤ ــ عرضت هذه المسرحية المرتجلة عام ١٩٥٢ ــ انظر : المسرح فى الكويت : خالد سعود الزيد ص ٤٢ ، ٤٣ وتتلخص المسرحية فى وجود خزانين لدى إحدى الأسر الفقيرة ، فى أحدهما نفط ، وفى الآخر ماء . حين اقتحم اللص بيت الأسرة سرق خزان المياه ، وترك لهم النفط ! !

أهمية المياه وسبقها على أهمية النفط تمثل رأيا عاما كويتيا قديما ، ومستمرا ، ومما قاله فى هذا الشاعر الشعبى فهد بورسلى :

لــيت هالنفــط الغزيـــر ينقــلب مـــاى الغديـــر
مانبــى النفـــط ومعـــاشه صرنـــا للعـــالم طمـــاشه
ضاع بالطوشه الفقير

والمعنى : ليت هذا النفط يتحول إلى ماء . (لانبغى) مرتبات النفط ، أمواله ، فقد جعلتنا محل تهكم فى العالم ، وضاع فقراؤنا فى زحام الصراع ! !

٥ ـــ وتعنى : مارأيكم ياجماعة ، وحكايتها أن زوجة خرساء تاق زوجها وأهلها إلى أن تنطق وتسترد إنسانيتها ، فظهر طبيب عرض نوعين من العلاج : سريع فورى ، وبطيء متدرج مالت الأسرة إلى العلاج السريع ، فتكشف عن زوجة خرقاء حمقاء لاتجيد غير المنابذة ! ! وهكذا وقف المؤلف ضد الطفرة ، ورأى أن التدرج (فى تعلم الكلام) هو الذى يحمى الزوجة (الكويت) من أخطائها . يراجع : الحركة المسرحية فى الكويت (طبعة ثانية) ص ٢٦٨

٦ ـــ فى مسرحية « عشت وشفت » (١٩٦٤) .

٧ ـــ عرض المسرح العربى هذه المسرحية فى موسم ١٩٦٦ .

٨ ـــ فى مسرحية « فلوس ونفوس » لعبد العزيز السريع (١٩٧٠) ، ومسرحية « الطين » لصقر الرشود (١٩٦٥)

٩ ـــ فى مسرحية « المخلب الكبير » لصقر الرشود (١٩٦٥)

١٠ ـــ فى مسرحية « ضاع الديك » لعبد العزيز السريع (١٩٧٢) ومسرحية « ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ بم » التى كتبها بالاشتراك مع صقر الرشود (١٩٧٢) ومسرحية « عنده شهادة » لعبد العزيز السريع (١٩٦٥)

١١ ـــ فى مسرحية « الحاجز » لصقر الرشود (١٩٦٦) و « بحمدون المحطة » (١٩٧٤)

١٢ ـــ كتبنا حول هذا الموضوع فى « المسرح الكويتى بين الخشية والرجاء » ـــ دار الكتب الثقافية ، بالكويت ١٩٧٨

١٣ ـــ مع تغيير طفيف فى العبارة ليمكن قراءتها بعيدا عن اختلاف اللهجة .

١٤ ـــ فى مسرحية « للصبر حدود » ولكن المؤلف حمل بعد ذلك على الزوجة الثانية ، وتشتت خط الدراما ، فاختلط الأمر ، هل هى مرفوضة لأنها « الثانية » أم لأنها غير كويتية ؟ !

١٥ ـــ وهو « الذئب » وقد اتخذ عنوانا لعرض مسرحى واحد ، قام على ثلاث مسرحيات قصيرة ، لثلاثة من المؤلفين (١٩٧٦) .

١٦ ـــ تقول كلمات النشيد الجماعى الختامى ، يقوده ، صوت امرأة ، وصوت رجل :

المـرأة : كل الأمل فيك .

انت ولدى

قوم انتخى (من النخوة) .
ريحة هلى (أهلى)
شد العزم واركب على كفوف الخطر

الرجل : واللى يبى (يبغى) الزين يعمل ياولد .
اخطف شراعك واتكل واقهر قهر
كويت العرب ياشعله نورها القدر .
حسك علا ماينطفى طول الدهر
الله على عزم الرجال .
الإيد واحدة فى الخطر .
النمط يوقف تحدى
نشتمنا نرجع للبحر ! !

راجع فى تحليل « شياطين ليلة الجمعة » دراستنا لها فى « المسرح الكويتى بين الخشية والرجاء » : ص ٥٧ وما بعدها .

١٧ ــ الدكتور حسن يعقوب العلى ناقد صحفى لفن المسرح سابقا ، حصل على الدكتوراه من بريطانيا فى أدب المسرح ، وهو أول عميد كويتى للمعهد العالى للفنون المسرحية . « الثالث » هى مسرحيته الأولى (بعد محاولة مبتدئة) عرضها المسرح العربى عام ١٩٧٦

١٨ ــ عرضها المسرح العربى عام ١٩٨٢ .

١٩ ــ عرضها المسرح العربى عام ١٩٧٨ .

٢٠ ــ ثورة الزنج للكاتب الشاعر معين بسيسو ، والغرباء لعلى عقله عرسان ، وطنى عكا لعبد الرحمن الشرقاوى ، حبيبتى شامينا للدكتور رشاد رشدى . من المحتمل أن هناك مسرحيات أخرى أقل شهرة ، أو أقل جودة لم تصل إلينا ، ولم نقصد إلى ذكر القطر الذى ينتمى إليه الكاتب أى مغزى سياسى أو قومى ، وماأردناه أن صعوبة الموضوع فى أنه « جاهز » و « محدد » ، ولهذا لايتحمس له كتاب المسرح ، دون أن يكون هذا حكما على إيمانهم القومى .

٢١ ــ وحين يتفق الزى ، كما فى حالة الصالح والعبد الله ، أو يمكن إتقان اللهجة ، كما فى حالة اسمهان توفيق ما كنت أعرف الكويتى من غيره ، واحتاج الأمر إلى زمن طويل ، وربما إلى سؤال فى ظروف معينة .

٢٢ ــ هذا الموضوع برمته فى كتاب خالد سعود الزيد : « المسرح فى الكويت ، مقالات ووثائق » ص ٧٠ ــ ٩٦ وأماكن أخرى من الكتاب .

٢٣ ــ أخرجها لفرقة المسرح العربى فى موسم ١٩٨٠ .

٢٤ ــ أخرجها لفرقة المسرح الكويتى فى موسم ١٩٧٦ ــ والسدرة هى شجرة « النبق » .

٢٥ ــ كان ذلك عام ١٩٧٨ ، لفرقة المسرح الكويتى أيضا .

٢٦ ــ هذه المسرحيات عرضتها فرقة المسرح الشعبى فى مواسم : ١٩٧٥ ، ١٩٧٧ ، ١٩٧٨ واستمر الاستاذ أحمد عبد الحليم فى ممارسة الإخراج بالكويت ، طوال عمله المستمر بالمعهد العالى . . .

٢٧ ــ وهى تسمية خاصة لمسرحية السلطان الحائر ، وقد ارتضاها الحكيم ، كما ارتضى تعديلا محدودا أجراه الدكتور حسن يعقوب العلى فى بعض المواقف قرب الختام .

٢٨ ــ وقد مثلت فى مصر ونشرت تحت اسم : ملك يبحث عن وظيفة .

٢٩ ــ وقد عرضت خارج الكويت باسم : إنهم يقتلون الحمير .

٣٠ ــ وتمامها : رأس المملوك جابر .

٣١ ــ قال الكاتب الكبير هذا ، مرتين ، بينهما ستة عشر عاما : حين رأى العرض الأول للمسرحية فى الكويت ، وحين دعى للاحتفال بعيد ميلاد صقر الرشود الخمسين (وكان قد مضى على وفاته أكثر من عشرة أعوام) بالمركز الثقافى الكويتى بالقاهرة (يونيو ١٩٩١) .

٣٢ ــ عرضت تحت اسم : الفيل ياكبرى البلدان .

٣٣ ــ صدر هذا السجل عام ١٩٨١ وتضمن أعضاء هيئة التدريس فى ذلك العام ، والمعروف أن جامعة فتحت أبوابها عام ١٩٦٦ ، ولكن أحدا من أعضاء هيئة التدريس (الكويتيين) لم يحصل على درجة الدكتوراه قبل عام ١٩٧٢ وبهذا تصدق الإشارة إلى السنوات العشر .

٣٤ ــ كان هذا بحث عبد اللطيف أحمد البدر فى أطروحة الدكتوراه ، وعنوانه الكامل : التغيرات الكيماوية والسلكية لخلايا السرطان ومقارنتها مع نظائرها الطبيعية ، حصل عليها من جامعة تكساس .

٣٥ ــ موضوع أطروحة دكتوراه جاسم محمد يوسف عبد السلام ، حصل عليها من جامعة هارفارد عام ١٩٧٩ .

٣٦ ــ وهو موضوع دكتوراه عفيفة سيد حسن بهبهانى ، حصلت عليها فى الفيزياء من جامعة ليفربول عام ١٩٧٩ .

٣٧ ــ وهو موضوع دكتوراه مصطفى عباس معرفى ، حصل عليها من جامعة ميتشجان عام ١٩٧٦ (فيزياء ذرية) .

٣٨ ــ نص السجل الجامعى على أربعة كتب هى : البترول والتغير الاجتماعى فى الخليج العربى ، مشكلات التغير السياسى والاجتماعى فى البحرين ، الجذور الاجتماعية للديمقراطية فى مجتمعات الخليج المعاصرة ، معوقات التنمية الاجتماعية فى مجتمعات الخليج المعاصرة . ومن أهم كتبه وأشهرها : « الخليج ليس نفطا » ! ! وفى العنوان دلالات كثيرة ! ! .

٣٩ ــ ويمكن أن نضيف هنا ــ لاستكمال تصورنا ــ الذين حصلوا على الدكتوراه ولم يكونوا أعضاء فى هيئة التدريس بالجامعة ، ودرجات الماجستير أيضا .

٤٠ ــ إحصائية عام ١٩٨٥ ــ انظر ملاحق كتابنا : صحافة الكويت : رؤية بين الدوافع والنتائج .

٤١ ــ صدر عن « منشورات مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية » ١٩٨٥ .

٤٢ ــ هذا يعنى أن رابطة الاجتماعيين بدأت إقامة ندواتها بمجرد تكوينها ، إذ تم إشهارها فى ٢٧ / ٨ /١٩٦٧ .

استفتاح

هذه كلمة ختامية ، آثرنا أن نجعل إشراق البداية عنوانا لها ، ليس على سبيل التفاؤل ، وإنما — أيضا — لأن الفصل الصامت فى مسيرة الثقافة فى الكويت ، سيحتاج إلى بداية جديدة ، قد يستمر فيها قديم ، ولكنها لابد (من يعرف نفسية الكويتى وطريقة تفكيره) ستبدأ أشياء جديدة ، ستفتح طرقا جديدة للثقافة ، ولعلنا بهذا الإسهام المحدود نقدم بداية خيط قابل لأن يتحول إلى نسيج له شخصيته وجماله .

بعد قراءة ما قدمنا من صفحات عن التكوين الثقافى للكويت ذاتها ، وقدرة مثقفيها على اكتشاف رسالة ، بتحديد وسائلها وأهدافها ، ومراحل عملها ونظامه ، وبعد التعرف على طبيعة هذه الرسالة ، وأساليبها فى الوصول إلى من يهمهم أمرها فى كل أقطار الوطن العربى ، وبعد أن سلطنا الضوء على العناصر الفاعلة فى توجيه تلك الرسالة ، على المستويين الرسمى (الدولة) والشعبى (المبدعين والمؤلفين) ، لم نرد أن نقول : ليس فى الإمكان أبدع مما كان ! ! إن « المثال » غاية لاتدرك ، ومفهوم « الكمال » يتطور ويتغير بتطور الفكر ، وبتغير العلاقات الاجتماعية والدولية أيضا .

وقد وجه للعمل الثقافى الكويتى اتهامان ، يجازف بإرسالهما بلا رويّة ، أولهما يزعم بأنه ليس للكويت من فضل فيما صنعت ، لأنها مجرد ممول ، أما مضمون الثقافة فإنه من صنع غيرها ! !

وهذا تحريف يتعمد الانتقاص ، فمن وجه : إن التمويل هو الذى جعل الممكن حقيقة ، والاحتمال واقعا ، والعجز مقدرة ، وليست الكويت وحدها تملك المال ، ولاهى أغنى من يملكه ، ولكنها صنعت مالم يصنع غيرها ، وهذا أوضحناه قبل ، ولو أن الكويت حصرت دورها الثقافى فى حدود استطاعة أبنائها ، لم يكن مستبعدا أن يقال إنها تنكمش فى حجم طاقتها السكانية المحدودة بخلا بالمال ورغبة فى « تلميع » أبنائها وقصر العمل عليهم ، ولو كانت رسالتها الثقافية قومية حقا ، ونابعة من ضميرها لوجب أن تستعين بجميع القادرين المؤهلين الذين قعد القصور المادى بهممهم ، وحجب عطاءهم ، مهما كانت مواقعهم فى الوطن العربى الكبير . على أننا رأينا — فى فصل سابق ، وكما يدل تعريفنا بالنشاط الشعبى الإبداعى ، أن فئات من أبناء الكويت قد حصلوا على أرقى الدرجات العلمية ، من جامعات العالم رفيعة المستوى ، وانهم فى مجال التأليف كانت لهم إبداعات متميزة .

المجازفة الأخرى التى توجه كاتهام ، تقول : ومأأهمية عدة ملايين من الدولارات أو الدنانير ! ؟ هل أتاحت لكل راغب فى الثقافة أن يقرأ ؟ إنها أفادت عدة آلاف ، ولكن ، ما نسبتهم إلى الملايين من البشر الذين لا يجدون زادهم الثقافى إلى اليوم ؟ !

وهنا نتذكر قول الأصوليين القدماء : الاعتراض وارد ، والحكم مُسلَّم . ونقول أيضا : كلمة حق أريد بها باطل ، لسبب بدهى ، وهو : على أى أساس يمكن اعتبار الكويت — وحدها ، ودون غيرها — مسئولة عن « تثقيف » مائة وخمسين مليونا ؟ ! وإذا كان هذا القول يتأسس بالنظر إلى من لم تصله الرسالة ، أو لم يصل هو إلى مستوى تلقى الرسالة ، فقد تم إغماط رأى ، ومصادره تجربة الدين تلقوا هذه الرسالة ، وتفاعلوا معها ، وكان لها دور فى تنمية قدراتهم ، أو التنوير بأفكارهم ! ! ونقول إنه مع ما فى هده المجازفة من مجافاة للموضوعية ، فإنها قد تهدى إلينا تصورا لامتداد واجب ، للدور الثقافى للكويت . « سنجازف » بدورنا لتقديم بعض المقترحات ، بعضها يتجه إلى تنمية ماهو قائم ، وتطوير فكرته ، وبعضها بهدف تعميم الرسالة ، واستكمال وسائلها . وقبل أن نفعل هذا نقول إن مانشير إليه توجد بداياته فى مشروعات المجلس الوطنى للثقافة ، وبعض آخر لدى مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، أو فى وزارة الإعلام ذاتها . وليست العلاقة بين هذه الأجهزة ، أو سلطة القرار مما يدخل فى المقترحات ، ومن ثم فإنها لا تحدد « المخاطب » .

١ — أول المقترحات تنظيمى ، وعلى افتراض أن المجلس الوطنى ، هو الجهة التى تتصدر جهات العمل ، فإن الاقتراح أن تضم هيئته الاستشارية ، أو مجلس إدارته أعضاء من جميع ، أو بعض الأقطار العربية (مثلما تفعل المجامع اللغوية والعلمية) والهدف من هذه المشاركة توسيع الرؤية ، وتنويع الوسائل ، ودراسة الصدى ، وإدخال التعديل أو التطوير وقد رصد الواقع من جميع زواياه . إن الأمر يختلف كثيرا عن إدارة الخطة فى حدود تصورات المقيمين فى الكويت (سواء من أهلها أو من الوافدين عليها) مهما كانت مشاربهم الثقافية متنوعة أو قدراتهم كبيرة . إننا بهذا الصنيع لا نسبغ على الخطة أنها ثمرة « رؤية عربية » شاملة ، وحسب ، وإنما سنكتسب لعملنا مساحات جديدة من الموضوعات المقترحة ، قبل أن تكون مساحات جديدة للتوزيع . أما معايير الاختيار ، والتكامل من خلال التنوع بين من يقع عليهم الاختيار ، فهذا تفصيل يأتى بعد إقرار المبدأ ، ولايصعب الاهتداء إليها .

٢ ــ وقد بدأت مشروعات ثقافية كبرى ، لكنها تتحرك ببطء ، وأشير إلى مشروعات أخرى ، هى أمنية المثقف العربى ، و لم يبدأ العمل فيها أو أصبحت من المسكوت عنه .

* إن معجم « تاج العروس » تتقاطر أجزاؤه منذ ثلاثين عاما ، ولايزال أمامه الكثير . فى كم من الأعوام ألفه الزبيدى ؟ وهل يتصور أن مقدرته « الفردية » فى التأليف ، تتجاوز مقدرة علمائنا ــ بصيغة الجمع ــ فى تحقيق النص ، ومقدرة مطابعنا ــ بالجمع أيضا ــ فى الطبع والنشر ؟ ! إن بعض البطء ــ بعضه فقط ــ يرجع إلى إسناد الطبع إلى مطبعة حكومة الكويت دون غيرها ، وهى تغص بالكتب والمجلات والدوريات إلخ ، وهذا التصرف صحيح من الوجهة المالية ، والتنظيمية ، ولكنه ليس الحتم الذى لا مناص منه إذا أريد استكمال عمل فى « جيل » ، وليس فى عدة أجيال .

* وقد كان مشروع ترجمة « مجلة العلوم » الأمريكية ، وإخراجها فى صورة علمية وفنية متقنة وراقية ، بتوجيه خاص من أمير البلاد ، أرادها هدية إلى شباب الباحثين العرب . فما القول فى ترجمة دائرة المعارف البريطانية ، والإسلامية ؟ إن الحاجة إليهما ، وإلى ما يماثلهما ، ليست أقل عند الباحثين من شباب العرب ، وشيوخهم أيضا .

* هناك إرشادات قديمة فى أعمال المجلس الوطنى (ترجع إلى عام ١٩٧٥) عن تكوين لجنة لكتابة تاريخ العرب والإسلام . فهل يمكن العودة إلى طرح المشروع الخطير من جديد .

* هناك مشروعات بدأت فى مؤسسة الكويت للتقدم العلمى ، مثل نشر بحوث الدكتوراه ، والكتاب الأول ، والعمل الإبداعى الأول . لكن أمر اختيار هذه الكتب والبحوث مرهون بالوجود فى الكويت ، والقدرة على تقديم العمل المرغوب فى نشره إلى المؤسسة . الاقتراح هو تطوير وتوسيع دائرة الاختيار ، فيوكل إلى خمس جامعات عربية ــ مثلا ــ كل عام ، أن ترشح كل منها كتابا ، أو بحثا جديدا للدكتوراه فى فرع معّين من العلوم أو الآداب ، وترشح وزارات الثقافة ، أو مجالس الثقافة ، أو اتحادات الكتاب : الأعمال الأدبية . إن هذا الصنيع كما يمنح مددا لاينقطع ، يتيح الفرصة للحصول على « الأجود » ويذكى المنافسة فى سبيل التقدم . ويمكن توقى أن تصبح الترشيحات محاباة للمقربين ، بعرض نتائج الاختيار أو الترشيح على لجنة عليا ، لها الرأى الأخير .

٣ ـ وهناك مجالات ، هى الآن مصادر خصبة للثقافة ، تبلغ بوسائلها إلى مالم تبلغه المطبوعات ، فى مقدمة هذه المجالات التلفزيون ، والسينما ، وشريط الكاسيت . إن التغير السريع فى بعض أقطار الوطن العربى ، يجتاح المعالم ، ويمحو ملامح التاريخ ، وقد تعرضت الكويت فى الخمسينات خاصة ـ لشىء من هذا ، ثم تداركت الأمر ، وأوقفت هدم القديم . هذا مجال حصب ، ومهم ، لأفلام تسجيلية تعجز تلك الأقطار عن تدبير نفقاتها ، أو تنفيذها فنيا . وحتى فى مجال الدراما التلفزيونية ، والفيلم السينمائى ، والأغنية . إن جميع المثقفين العرب يؤلمهم ما يشاهدون من دخول تجار الفن إلى مجال الإنتاج ، وإخضاع الذوق العام ، والفكر العام لمبدأ الربح والخسارة ، أو الربح السهل السريع فى الحقيقة . بدلا من الألم ، ليكن العمل فى الاتجاه البديل ، الجدية والجمال معا ، بالإنفاق السخى ، دون حرص (مبالغ فيه على الأقل) على الربح ، أو الربح السريع . أعتقد أنه آن أوان تأسيس « هيئة السينما والتلفزيون » كويتية ، أو خليجية ، مقرها الكويت ، ومجال عملها الوطن العربى ، وهدفها انتاج الأعمال الفنية المتميزة : التسجيلية ، والدرامية ، والموسيقية .

٤ ـ ولعلنا ندرك الآن ، باقتناع أكثر ، أن العلاقات الثقافية بين الكويت وبعض الأقطار العربية ، لا يكفى لاجتناء إيجابياتها وجود ملحق ، أو مستشار ثقافى كويتى فى كل سفارة ، هو مشغول بتعاقدات المدرسين ، وبالطلبة الكويتيين . إن « العلاقات » أكثر تشعبا ، ولايمكن إهمالها إلى حين الحاجة إليها ، فمثل هذه الأمور تعتمد على التأثير البعيد المدى ، المستمر ، وعلى الحضور القوى ، من خلال الكتب ، والصحف ، والمحاضرات ، والعروض . . إلخ . لهذا سيكون من المهم تماما الاحتفاظ بالمراكز الثقافية التى تكونت على عجل فى بعض العواصم الثقافية العربية ، وتحوير دورها بحيث تصلح لأداء رسالة مستمرة ، وليس خدمة أزمة عارضة وحسب ، بل نرى إضافة مراكز أخرى ، حتى تصبح شبكة متصلة على مساحة الوطن العربى ، الذى عملت الكويت دائما ، فى مجال الثقافة ، وهو موضوع الصون والإجلال ، فى قرارة ضميرها .

فهرس الوثائق

وثيقة ١ : عبد الناصر يفتتح بيت الكويت بالدقى ، بالقاهرة (١٩٥٦) ٦٧
وثيقة ٢ : منشور للدعاية الطلابية بجامعة الكويت ٧٥
وثيقة ٣ : غلاف كتاب لقضية عامة تثيرها الدعاية الطلابية ٧٦
وثيقة ٤ : الاتجاه الآخر له دعايته أيضا ٧٧
وثيقة ٥ : بوستر دعاية طلابية ٧٨
وثيقة ٦ : صورة الصفحة الأولى من مجلة « الرأى الطلابى » ٧٩
وثيقة ٧ : رسالة من عميد آداب بغداد ، إلى عميد آداب الكويت ٩٠
وثيقة ٨ : وكانت جامعة الكويت محكما مقبول الحكم ٩١
وثيقة ٩ : غلاف كتاب يحمل أعمال مؤتمر عن أزمة التطور
الحضارى للوطن العربى ، بالكويت ١٧٤
وثيقة ١٠ : غلاف كتاب عن ندوة قضايا التنمية للموارد
البشرية فى الوطن العربى ، بالكويت ١٧٥
وثيقة ١١ : صفحة من مجلة العربى عن الأسابيع الثقافية ١٧٩
وثيقة ١٢ : صورة لبعض قرارات المجلس الوطنى ١٨٠
وثيقة ١٣ : تحية « صحفية » لمسرح الجدية . . مسرح المعقدين ٢٣٣
وثيقة ١٤ : مشهد من مسرحية ردوا السلام ٢٤٤
وثيقة ١٥ : لوحة « سدو » للفنان التشكيلى بدر القطامى ٢٦٤
وثيقة ١٦ : لوحة « أنوثة » للفنان التشكيلى عيسى صقر ٢٦٥
وثيقة ١٧ : لوحة « المصير » للفنان التشكيلى عبد الرسول سلمان ٢٦٦

المؤلف فى سطور

- د . محمد حسن عبد الله
- أستاذ النقد الأدبى بجامعة القاهرة (كلية التربية بالفيوم)
- عمل أستاذا بآداب الكويت ، منذ إنشاء جامعتها ١٩٦٦ وحتى عام ١٩٨٧
- له اهتمام خاص بأدب الخليج وثقافته ومسرحه وصحافته . وهذا كتابه العاشر عن الكويت .
- صدرت له فى « عالم المعرفة » دراستان من قبل :
الحب فى التراث العربى ــ الريف فى الرواية العربية .
- من أهم مؤلفاته : الواقعية فى الرواية العربية ــ الإسلامية والروحية فى أدب نجيب محفوظ ــ الصورة والبناء الشعرى ــ التراث فى رؤية عصرية .
- عضو اتحاد الكتاب (فى مصر) وعضو منتسب برابطة الأدباء فى الكويت .
- يكتب الرواية والقصة القصيرة والمسرحية .
- من المنصورة ، بجمهورية مصر العربية .

الكتاب القادم

النقطة المتحولة :
أربعون عاما
فى استكشاف المسرح
تأليف : بيتر بروك
ترجمة : فاروق عبد القادر

صدر عن هذه السلسلة

١	ـ الحضارة	تأليف : د/ حسين مؤنس
٢	ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر	تأليف : د/ إحسان عباس
٣	ـ التفكير العلمي	تأليف : د/ فؤاد زكريا
٤	ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تأليف : د/ أحمد عبدالرحيم مصطفى
٥	ـ العلم ومشكلات الإنسان المعاصر	تأليف : زهير الكرمي
٦	ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها	تأليف : د/ عزت حجازي
٧	ـ الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية	تأليف : د/ محمد عزيز شكري
٨	ـ تراث الإسلام (الجزء الأول)	ترجمة : د/ زهير السمهوري تحقيق وتعليق : د/ شاكر مصطفى مراجعة : د/ فؤاد زكريا
٩	ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تأليف : د/ نايف خرما
١٠	ـ جحا العربي	تأليف : د/ محمد رجب النجار
١١	ـ تراث الإسلام (الجزء الثاني)	ترجمة : { د/ حسين مؤنس د/ إحسان العمد مراجعة : د/ فؤاد زكريا
١٢	ـ تراث الإسلام (الجزء الثالث)	ترجمة : { د/ حسين مؤنس د/ إحسان العمد مراجعة : د/ فؤاد زكريا
١٣	ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تأليف : د/ أنور عبدالعليم
١٤	ـ جمالية الفن العربي	تأليف : د/ عفيف بهنسي
١٥	ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة	تأليف : د/ عبدالمحسن صالح
١٦	ـ النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية	تأليف : د/ محمود عبدالفضيل
١٧	ـ الكون والثقوب السوداء	إعداد : رؤوف وصفي مراجعة : زهير الكرمي
١٨	ـ الكوميديا والتراجيديا	ترجمة : د/ علي أحمد محمود مراجعة : { د/ شوقي السكري د/ علي الراعي
١٩	ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف : سعد أردش

٢٠ ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	ترجمة : حسن سعيد الكرمي مراجعة : صدقي حطاب
٢١ ـ مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف : د/ محمد علي الفرا
٢٢ ـ البيئة ومشكلاتها	تأليف : { رشيد الحمد د/ محمد سعيد صباريني
٢٣ ـ السـرق	تأليف : د/ عبدالسلام الترمانيني
٢٤ ـ الإبداع في الفن والعلم	تأليف : د/ حسن أحمد عيسى
٢٥ ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف : د/ علي الراعي
٢٦ ـ مصر وفلسطين	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن
٢٧ ـ العلاج النفسي الحديث	تأليف : د/ عبدالستار إبراهيم
٢٨ ـ أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة : شوقي جـلال
٢٩ ـ العرب والتحـدي	تأليف : د/ محمد عماره
٣٠ ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة	تأليف : د/ عزت قرني
٣١ ـ الموشحات الأندلسية	تأليف : د/ محمد زكريا عناني
٣٢ ـ تكنولوجيا السلوك الإنساني	ترجمة : د/ عبدالقادر يوسف مراجعة : د/ رنجا الدريني
٣٣ ـ الإنسـان والثروات المعدنية	تأليف : د/ محمد فتحي عوض الله
٣٤ ـ قضايا أفريقية	تأليف : د/ محمد عبدالغني سعودي
٣٥ ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠ـ١٩٧٠)	تأليف : د/ محمد جابر الأنصاري
٣٦ ـ الحب في التراث العربي	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله
٣٧ ـ المســاجد	تأليف : د/ حسين مؤنس
٣٨ ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف : د/ سعود يوسف عياش
٣٩ ـ ارتقاء الإنسان	ترجمة : د/ موفق شخاشيرو مراجعة : زهير الكرمي
٤٠ ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف : د/ مكارم الغمري
٤١ ـ الشعر في السودان	تأليف : د/ عبـده بـدوي
٤٢ ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف : د/ علي خليفة الكواري
٤٣ ـ الإسلام في الصـين	تأليف : فهمي هويدي

٤٤ ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع — تأليف : د/ عبدالباسط عبدالمعطي
٤٥ ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي — تأليف : د/ محمد رجب النجار
٤٦ ـ دعـوة إلى الموسيقا — تأليف : د/ يوسف السيسي
٤٧ ـ فكرة القانون — ترجمة : سليم الصويص
مراجعة : سليم بسيسو
٤٨ ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان — تأليف : د/ عبدالمحسن صالح
٤٩ ـ صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي — تأليف : صلاح الدين حافظ
٥٠ ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية — تأليف : د/ محمد عبدالسلام
٥١ ـ السينما في الوطن العربي — تأليف : جان ألكسـان
٥٢ ـ النفط والعلاقات الدولية — تأليف : د/ محمد الرميحي
٥٣ ـ البدائيـة — ترجمة : د/ محمد عصفور
٥٤ ـ الحشرات الناقلة للأمراض — تأليف : د/ جليل أبو الحب
٥٥ ـ العالم بعد مائتي عام — ترجمة : شوقي جلال
٥٦ ـ الإدمـان — تأليف : د/ عادل الدمرداش
٥٧ ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنميـة — تأليف : د/ أسامة عبدالرحمن
٥٨ ـ الوجوديـة — ترجمة : د/ إمام عبدالفتاح
٥٩ ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا — تأليف : د/ أنطونيوس كرم
٦٠ ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الأول) — تأليف : د/ عبدالوهاب المسيري
٦١ ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني) — تأليف : د/ عبدالوهاب المسيري
٦٢ ـ حكمة الغرب (الجزء الأول) — ترجمة : د/ فؤاد زكريا
٦٣ ـ الإسلام والاقتصاد — تأليف : د/ عبدالهادي علي النجار
٦٤ ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة) — ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد
٦٥ ـ مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية — تأليف : عبدالعزيز بن عبدالجليل
٦٦ ـ الإسلام والشعر — تأليف : د/ سامي مكي العاني
٦٧ ـ بنـو الإنسان — ترجمة : زهير الكرمي
٦٨ ـ الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية — تأليف : د/ محمد موفاكو
٦٩ ـ ظاهرة العلم الحديث — تأليف : د/ عبدالله العمر
٧٠ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) القسم الأول — ترجمة : د/ علي حسين حجاج
مراجعة :د/ عطيه محمود هنا
٧١ ـ الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي — تأليف : د/ عبدالمالك خلف التميمي
٧٢ ـ حكمة الغرب (الجزء الثاني) — ترجمة : د/ فؤاد زكريا

٧٣ ـ التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي	تأليف : د/ مجيد مسعود
٧٤ ـ مشاريع الاستيطان اليهودي	تأليف : د/ أمين عبدالله محمود
٧٥ ـ التصوير والحياة	تأليف : د/ محمد نبهان سويلم
٧٦ ـ الموت في الفكر الغربي	ترجمة : كامل يوسف حسين مراجعة : د/ إمام عبدالفتاح
٧٧ ـ الشعر الإغريقي تراثا إنسانياً وعالمياً	تأليف : د/ أحمد عتمان
٧٨ ـ قضايا التبعية الإعلامية والثقافية	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن
٧٩ ـ مفاهيم قرآنية	تأليف : د/ محمد أحمد خلف الله
٨٠ ـ الزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام)	تأليف : د/ عبدالسلام الترمانيني
٨١ ـ الأدب اليوغسلافي المعاصر	تأليف : د/ جمال الدين سيد محمد
٨٢ ـ تشكيل العقل الحديث	ترجمة : شوقي جلال مراجعة : صدقي حطاب
٨٣ ـ البيولوجيا ومصير الإنسان	تأليف : د/ سعيد الحفار
٨٤ ـ المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية	تأليف : د/ رمزي زكي
٨٥ ـ دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية	تأليف : د/ بدرية العوضي
٨٦ ـ الإنسان وعلم النفس	تأليف : د/ عبدالستار إبراهيم
٨٧ ـ في تراثنا العربي الإسلامي	تأليف : د/ توفيق الطويل
٨٨ ـ الميكروبات والإنسان	ترجمة : د/ عزت شعلان مراجعة : { د/ عبدالرزاق العدواني ، د/ سمير رضوان }
٨٩ ـ الإسلام وحقوق الإنسان	تأليف : د/ محمد عماره
٩٠ ـ الغرب والعالم (القسم الأول)	تأليف : كافين رايلي ترجمة : { د/ عبدالوهاب المسيري ، د/ هدى حجازي } مراجعة : د/ فؤاد زكريا
٩١ ـ تربية اليسر وتخلف التنمية	تأليف : د/ عبدالعزيز الجلال
٩٢ ـ عقول المستقبل	ترجمة : د/ لطفي فطيم
٩٣ ـ لغة الكيمياء عند الكائنات الحية	تأليف : د/ أحمد مدحت إسلام
٩٤ ـ النظام الإعلامي الجديد	تأليف : د/ مصطفى المصمودي

٩٥ ـ تغيير العالم	تأليف : د/ أنور عبدالملك
٩٦ ـ الصهيونية غير اليهودية	تأليف : ريجينا الشريف ترجمة : أحمد عبدالله عبدالعزيز
٩٧ ـ الغرب والعالم (القسم الثاني)	تأليف : كافين رايلي ترجمة : د/ عبدالوهاب المسيري د/ هدى حجازي مراجعة . د/ فؤاد زكريا
٩٨ ـ قصة الأنثروبولوجيا	تأليف : د/ حسين فهيم
٩٩ ـ الأطفال مرآة المجتمع	تأليف : د/ محمد عمادالدين إسماعيل
١٠٠ ـ الوراثة والإنسان	تأليف : د/ محمد علي الربيعي
١٠١ ـ الأدب في البرازيل	تأليف : د/ شاكر مصطفى
١٠٢ ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية	تأليف : د/ رشاد الشامي
١٠٣ ـ التنمية في دول مجلس التعاون	تأليف : د/ محمد توفيق صادق
١٠٤ ـ العالم الثالث وتحديات البقاء	تأليف : جاك لوب ترجمة : أحمد فؤاد بلبع
١٠٥ ـ المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي	تأليف : د/ إبراهيم عبدالله غلوم
١٠٦ ـ « المتلاعبون بالعقول »	تأليف : هربرت . أ . شيللر ترجمة : عبدالسلام رضوان
١٠٧ ـ الشركات عابرة القومية	تأليف : د/ محمد السيد سعيد
١٠٨ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) الجزء الثاني	ترجمة : د/ علي حسين حجاج مراجعة : د/ عطية محمود هنا
١٠٩ ـ العملية الإبداعية في فن التصوير	تأليف : د/ شاكر عبدالحميد
١١٠ ـ مفاهيم نقدية	ترجمة : د/ محمد عصفور
١١١ ـ قلق الموت	تأليف : د/ أحمد محمد عبدالخالق
١١٢ ـ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث	تأليف : د/ جون . ب . ديكنسون ترجمة : شعبة الترجمة باليونسكو
١١٣ ـ الفكر التربوي العربي الحديث	تأليف : د/ سعيد إسماعيل علي
١١٤ ـ الرياضيات في حياتنا	ترجمة : د/ فاطمة عبدالقادر الما
١١٥ ـ معالم على طريق تحديث الفكر العربي	تأليف : د/ معن زيادة

١١٦ ـ أدب أميركا اللاتينية
(قضايا ومشكلات)
القسم الأول
تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو
ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد
مراجعة : د/ شاكر مصطفى

١١٧ ـ الأحزاب السياسية في العالم الثالث
تأليف : د/ أسامة الغزالي حرب

١١٨ ـ التاريخ النقدي للتخلف
تأليف : د/ رمزي زكي

١١٩ ـ قصيدة وصورة
تأليف : د/ عبدالغفار مكاوي

١٢٠ ـ سيكولوجية اللعب
تأليف : د/ سوزانا ميلر
ترجمة : د/ حسن عيسى
مراجعة : د/ محمد عمادالدين إسماعيل

١٢١ ـ الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم
تأليف : د/ رياض رمضان العلمي

١٢٢ ـ أدب أميركا اللاتينية
(القسم) الثاني
تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو
ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد
مراجعة د/ شاكر مصطفى

١٢٣ ـ ثقافة الأطفال
تأليف : د/ هادي نعمان الهيتي

١٢٤ ـ مرض القلق
تأليف : د/ دافيد . ف . شيهان
ترجمة : د/ عزت شعلان
مراجعة : د/ أحمد عبدالعزيز سلامة

١٢٥ ـ طبيعة الحياة
تأليف : فرانسيس كريك
ترجمة : د/ أحمد مستجير
مراجعة : د/ عبدالحافظ حلمي

١٢٦ ـ اللغات الاجنبية (تعليمها وتعلمها)
تأليف : د/ نايف خرما
د/ علي حجاج

١٢٧ ـ اقتصاديات الإسكان
تأليف : د/ إسماعيل إبراهيم درة

١٢٨ ـ المدينة الإسلامية
تأليف : د/ محمد عبدالستار عثمان

١٢٩ ـ الموسيقا الأندلسية المغربية
تأليف : عبدالعزيز بن عبدالجليل

١٣٠ ـ التنبؤ الوراثي
تأليف : د/ زولت هارسيناي
ريتشارد هتّون
ترجمة : د/ مصطفى إبراهيم فهمي
مراجعة : د/ مختار الظواهري

١٣١ ـ مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الاسلام
تأليف : د/ أحمد سليم سعيدان

١٣٢ ـ أوروبا والتخلف في أفريقيا	تأليف : د/ والتر رودني ترجمة : د/ أحمد القصير مراجعة : د/ إبراهيم عثمان
١٣٣ ـ العالم المعاصر والصراعات الدولية	تأليف . د/ عبدالخالق عبدالله
١٣٤ ـ العلم في منظوره الجديد	تأليف : { روبرت م . اغروس جورج ن . ستانسيو ترجمة : د/ كمال خلايلي
١٣٥ ـ العرب واليونسكو	تأليف . د/ حسن نافعة
١٣٦ ـ اليابانيون	تأليف : إدوين رايشاور ترجمة : ليلى الجبالي مراجعة . شوقي جلال
١٣٧ ـ الاتجاهات التعصبية	تأليف : د/ معتز سيد عبدالله
١٣٨ ـ أدب الرحلات	تأليف . د/ حسين فهيم
١٣٩ ـ المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا	تأليف عبدالله عبدالرازق ابراهيم
١٤٠ ـ الانسان بين الجوهر والمظهر (نتملك أو نكون)	تأليف : إريك فروم ترجمة : سعد زهران مراجعة . د / لطفي فطيم
١٤١ ـ الأدب اللاتيني (ودوره الحضاري)	تأليف . د / أحمد عتمان
١٤٢ ـ مستقبلنا المشترك	إعداد : اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ترجمة محمد كامل عارف مراجعة علي حسين حجاج
١٤٣ ـ الريف في الرواية العربية	تأليف . د/ محمد حسن عبدالله
١٤٤ ـ الإبداع العام والخاص	تأليف : الكسندرو روشكا ترجمة . د/ غسان عبدالحي أبو فخر
١٤٥ ـ سيكولوجية اللغة والمرضى العقلي	تأليف د/ جمعة سيد يوسف
١٤٦ ـ حياة الوعي الفني (دراسات في تاريخ الصورة الفنية)	تأليف غيورغي غاتشف ترجمة : د/ نوفل نيوف مراجعة د / سعد مصلوح
١٤٧ ـ الرأسمالية تجدد نفسها	تأليف : د/ فؤاد مرسي

١٤٨ ـ علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية	تأليف : { ستيفن روز، ليون كامن، ريتشارد ليونتن ترجمة : د/ مصطفى ابراهيم فهمي مراجعة : د/ محمد عصفور
١٤٩ ـ ماهية الحروب الصليبية	تأليف : د/ قاسم عبده قاسم
١٥٠ ـ حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي «الجوانب البيئية والتكنولوجيات والسياسات»	(برنامج الامم المتحدة للبيئة) ترجمة : عبدالسلام رضوان
١٥١ ـ تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية	تأليف د. شوقي عبدالقوي عثمان
١٥٢ ـ التلوث مشكلة العصر	تأليف : د . أحمد مدحت إسلام